(الفتن الخمس من خلال سورة الكهف)

دراسة تفسيرية حديثية

إعداد

بكري أبو الهدى حلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين ، سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

و بعد :

يقول الله سبحانه و تعالى و هو يأمرنا أن نكون من المسلمين أولاً ، ثم نتلو القرآن الكريم : **{ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ }** [1] ، ثم بين لنا ثواب و أجر من يقرأ كلام الله تعالى ، كما جاء في الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يُسَلَّط عليه ، ومن توضأ ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رَقٍّ ، ثم طبع بطابع فلم يُكسر إلى يوم القيامة »** [2] .

ولا شك أن المسلم الذي يحافظ على الالتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ و يسعى لنيل الأجر و الثواب ، يقرأ كل جمعة سورة الكهف امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه كما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال »** [3] .

وسبب اختيار لهذا الموضوع : (الفتن الخمس من خلال سورة الكهف) دراسة تفسيرية حديثية . أنه عندما يتدبر المرء كلام الله و هو يتلوه بتَمَعُّنٍ ، يعلم علم اليقين أن الغاية من القراءة التفكر و التدبر ، و ليس التلاوة فحسب ، حتى يربط بين

---

[1] سورة النمل ، آية / ٩١ - ٩٢ / .

(٢) كما ورد في المستدرك ، لأبي عبد الله الحاكم ، ج ١ ص ٧٥٢ . و قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، **و قال في الدرر السنية الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف : قال الألباني في السلسلة الصحيحة : إسناده صحيح على شرط الشيخين .**

[3] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٥٥٥ ، والإمام أحمد في المسند ، ج ٤٥ ص ٥٢٦ ، و الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، و غيرهم .

الماضي الذي نزلت به السورة ، و الحاضر الذي ســـتصل إليه الأمة ، من خلال السـبب الذي أمرنـا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نقرأها من أجله - بعد الأجر والثواب و النور الذي يضيئ لقارئها - ليحفظ قارءها من فتن المسيح الدجال ، حيث إنه سيظهر قبل يوم القيامة بفتن أربع ، الدجال منفذها والشيطان محركها .

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى في القرآن الكريم ، التحذير و التنبيه من الفتنة قبل وقوعها أو حصولها ، كي يحذرها الناس ويجتنبوها ، فما هي الأمور التي تمَّ التحذير منها و التنبيه إليها في هذه السورة ؟

ولا بد هنا من طرح سؤال يقول : **ما هي الفتن الخمس التي أشارت إليها سورة الكهف ؟**

١- ظهور **المسيح الدجال** . مع أنه لم يذكر في القرآن الكريم كله ؛ بل أشارت سورة الكهف إليه إشارة ، من خلال الأحاديث الصحيحة في ذلك .

٢- يطلب من الناس عبادته من دون الله تعالى ، و هي **فتنة الدين** .

٣- سيأمر السماء بالمطر، و يُفتن الناس بما في يده من أموال ، و هي **فتنة المال** .

٤- يخبر الناس بأمور غريبة : يأمرُ السماءَ أن تُمْطِرَ فتمطر، و الأرضَ أنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِت ، و يبرئ الأكمه و الأبرص ، و يحيي الموتى ، ويَسْتَدْرِجُهُ الله بالمدد في الطغيان ، ليختبر به الناس و يمتحنهم ، و هي **فتنة العلم** .

٥- يسيطر على أجزاء كبيرة من الأرض ، و هي **فتنة السلطة** .

وهذا هو سبب اختياري للموضوع ، لأنه يلامس الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم بكل هذه الفتن التي حذّرنا الله تعالى منها بهذه السورة الكريمة ، و ستأتي كلها بالتفصيل إن شاء الله تعالى في هذه الرسالة .

وعندما يتفكر التالي لهذه السورة بهذه الفتن و المحن التي ضرب الله لنا مثلها بقصص يُعتبر بها - حتى تكون لنا قوارب نجاة -يجد أنه في وسط السورة تقريباً يُظهر لنا الله جل و علا **إبليس** بأنه هو المحرك لخيوط هذه الفتن ، فيحذرنا منه أن لا نتخذه و ذريته أولياء من دون الله لأنهم لنا عدو﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا** ﴾ [1] .

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٥٠ / .

ولقد فسر جهابذة العلماء الكبار هذه السورة الكريمة على المنهج المتبع في كتبهم رحمهم الله تعالى ، كأسلوب التاريخ و سرد القصة كما هي بالتفصيل ، مثل الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، أو بأسلوب الفقه و الأحكام التي تؤخذ منها ، والعبر التي تُستخلص بشكل إجمالي ، كالإمام القرطبي رحمه الله تعالى ، و الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى ، والذي أكَّدَ على اللغويات فيها و استخلص الحِكَم و العِبَرَ ، و غيرهم من الإئمة العظماء رحمهم الله تعالى .

و أما المنهج الذي اتبعته في هذا الموضوع :

فلقد سعيتُ بعون اللهجاهداً لأستفيد من كلِّ مَن كتبَ و فَسَّرَ في هذه السورة الكريمة ، و أسْتَخْلِصُ من كل بستان زهرةً تعبق في الأفق ، لأجعل له إسقاطاً على الواقع الذي نعيشه اليوم ، سالكاً بهذا دراسة تفسيرية حديثية ، ومحاولاً بيان السر الذي أمَرنا من أجله ربنا تبارك و تعالى أن نهْتَمَّ بهذه السورة المباركة ، لما فيها من عظاتٍ و عبر ، و وصايا وتحذير، وأجر وثواب ، متبعاً بذلك المنهج الوصفي لهذا البحث ، سائلاً المولى سبحانه و تعالى التوفيق والسداد لما طلبتُ منه جل وعلا، فإن أصبتُ في ذلك فمن الله تعالى و له الحمد ، و إن أخطأتُ فمن نفسي و أستغفرالله .

مخطط البحث :

لقد بدأت البحث بمقدمة شرحت فيها فضل سورة الكهف ، وسبب اختياري للموضوع ، و الفتن الخمس المشار إليها في السورة ، و الدراسات السابقة لهذا الموضوع ، و المنهج المتبع في ذلك ، ثم بدأت بفصل تمهيدي للموضوع ، ذكرت فيه الأحاديث الواردة في فضل سورة الكهف و مكانتها ، ثم قسمت العمل إلى أبواب وفصول و مباحث ، ثم جعلت له خاتمة لأبين فيها أهم النتائج المستخلصة من الموضوع ، و ذكرت المصادر و المراجع التي استعنتُ بها في كتابتي لهذه الرسالة ، راجياً من الله سبحانه وتعالى الإخلاص و القبول ، و الفائدة المرجوة في تفسير كلام الله جل و علا ، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم ، كلما ذكره الذاكرون و غفل عن ذكره الغافلون ، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، سيد الأولين والآخرين و على آله و صحبه أجمعين .

وبعد :

إن سور القرآن الكريم مليئة بالعبر والعظات ، ولكل سورة جمالها وجلالها ، دروسها وعبرها ، وسورة الكهف سورة كريمة ، ومكانتها جليلة ، يقرأها المسلم يوم الجمعة ، ابتغاءً للأجر وتحرياً للفضل ، وطلباً للنور الذي يضيء لقارئها ما بين الجمعتين ، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين »** [1] .

فلقراءتها فوائد عظيمة ، وفضائل كبيرة ، لأن من حفظها و تدبرها و عمل بها ، حفظه الله تعالى من الفتن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف -** وفي رواية **: من آخر الكهف - عُصِم من الدجال »** [2] .

بين يدي سورة الكهف ...

لقد جاءت سورة الكهف شاملة كاملة ، تتحدث عن كثير من القضايا ، الإنسانية منها ، و الإجتماعية ، و الأخلاقية ، و التربوية ، و المهنية ، و العلمية ، فأنذرت و حذرت ، و شجعت و بشرت ، و قصَّتِ العبر الكثيرة ، وسُمّيت بسورة الكهف لما ورد فيها من ذكر قصة أصحاب الكهف وما كان من شأنهم ، مع أنها حوتِ الكثير من العظات والفوائد ، والمعاني والفرائد ، التي يحتاج الناس إلى تذكرها والعمل بها ، فقد

---

[1] كما ورد في المستدرك ، للإمام أبي عبد الله الحاكم ، ج ٢ ص ٣٩٩ ، **و قال في الدرر السنية الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف : صححه الألباني في صحيح الجامع** ٦٤٧٠ .

[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٥٥٥ ، و الإمام أحمد في المسند ، ج ٤٥ ص ٥٢٦ ، و الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، و غيرهم .

ابتدأت بإنذار المعرضين ، وبشارة المؤمنين ، كما قال الله تعالى : **{ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا }** [١] .

فسورة الكهف هي : السورة الثامنة عشرة في ترتيب سور المصحف ، فقد سبقتها في الترتيب سور هي : الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران ، و النساء ، و المائدة ، و الأنعام ، و الأعراف ، و الأنفال ، و التوبة ، و يونس ، و هود ، و يوسف ، و الرعد ، و إبراهيم ، و الحجر ، و النحل ، و الإسراء .

وأما ترتيبها في النزول ، فهي السورة الثامنة والستون ، كما ذكر أصحاب التفاسير . و هي من أواخر السور المكية التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة . و **سورة الكهف هي إحدى السور الخمس** ، التي افتُتِحتْ بتقرير الحقيقة الأولى في كل دين ، وهي أن المستحق للحمد المطلق ، والثناء التام ، هو الله رب العالمين وحده لا شريك له سبحانه و تعالى . وأما السور الأربعة الأخرى التي افتتحت بقوله تعالى : **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ }** فهي : الفاتحة ، والأنعام ، وسبأ ، وفاطر .

ثم إن السورة الكريمة أمرتِ النبي صلى الله عليه وسلم ، برعاية الفقراء من أصحابه ، ومدحتهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه الله : **{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }** [٢] .

كما أمرته عليه الصلاة و السلام بأن يجهر بكلمة الحق ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإن الله سبحانه تعالى قد أعد لكل فريق ما يستحقه من ثواب أو عقاب : **{ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا }** [٣] .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٢ / .
[٢] سورة الكهف ، آية / ٢٨ / .
[٣] سورة الكهف ، آية / ٢٩ - ٣٠ / .

ثم إن السورة نَبَّهَتْ إلى أهمية الكلمة ، وما يترتب عليها من خطر عظيم ، وأثر جسيم على الفرد والمجتمع ، قال الله تعالى : **{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا }** [1] .

فإطلاق الكلام من غير تأكد ولا تثبت ، ودون نظر في عواقبه ومآلاته ، يجُرُّ على صاحبه الويل والهلاك ، وعلى المجتمع الفتن والبلاء ، فالحذر الحذر من الكلام بغير علم ولا بينة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إن العبد ليتكلم بالكلمة ، ما يتبين فيها ، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق »** . وفي رواية مسلم : **« إن العبد ليتكلم بالكلمة ، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب »** [2] .

ثم إن سورة الكهف جاءت تدعونا إلى تحقيق التوازن بين السعي في الدنيا وطلب الآخرة ، بأن نعمل لعمارة الدنيا ، ونجتهد للفوز بالآخرة ، فضربت السورة الكريمة مثلاً للشاكرين والجاحدين ، وصوّرت بأسلوب بليغ مؤثر تلك المحاورة الرائعة التي دارت بين صاحب الجنتين الغنى المغرور، وبين صديقه الفقير المؤمن الشكور، وختمت هذه المحاورة ببيان العاقبة السيئة لهذا الجاهل الجاحد . كما قال الله سبحانه و تعالى : **{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا }** [3] . فطغى حب الدنيا على قلب **أحدهما** ، حتى شك في اليوم الآخر فقال : **{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا}** [4] . وأما **الآخر** فكان إيمانه بالله راسخاً ، فقال : **{لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا }** [5] . ونصح صاحبه برفق ولين ، وذكّره بنعم الله تعالى عليه قائلاً : **{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}** [6] . **فما أجمل أن يستشعر المرء فضل الله عليه ، ويشكره على ما أكرمه به من عطاءٍ و نعم .**

ثم إن الله تعالى هيَّأ للإنسان في الأرض أسباب المعيشة والحياة الطيبة ، ليعبد ربه ، ويحسن إلى عباده ، ويبذل الخير والإحسان ، وينشر السلام والوئام ، وذكّره بأنه

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٥ / .

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١٠٠ ، و الثاني رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٩٠ .

[3] سورة الكهف ، آية / ٣٢ / .

[4] سورة الكهف ، آية / ٣٦ / .

[5] سورة الكهف ، آية / ٣٨ / .

[6] سورة الكهف ، آية / ٣٩ / .

محاسب على كل ما يعمل ، وأن أعماله محفوظة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، قال الله عز وجل : **{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }** [1] .

وقال الله سبحانه وتعالى في موضع آخر يبين فيه مسؤولية الإنسان و محاسبته على كل ما يتلفظ به من كلام و قول : **{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }** [2] .

فالجزاء في الآخرة من جنس العمل ، فمن اجتهد في دنياه ، واتقى مولاه ؛ فاز بأرفع الدرجات في أخراه ، قال الله تبارك و تعالى في سورة الكهف : **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا }** [3] .

فسورة الكهف تُعَلمنا كيف يكون الصبر على طلب العلم ، والمثابرة في تحصيله ، من خلال قصة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر عليه السلام : فقد سافر إليه ، ليتعلم على يديه، ثم وقف أمامه متواضعاً متأدباً أدب التلميذ مع أستاذه ، قائلاً له : **{قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا }** [4] . فكان نِعْمَ المتعلم المتأدب ، ونعم القدوة في الحرص على تحصيل العلم والتواضع في طلبه : **{قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا }** [5] .

فطالب العلم يكون متأنياً صابراً ،بل مصابراً متحملاً عناء طلب العلم ، متواضعاً للمعلم الذي يأخذ عنه العلم ، و يحفظ منه ، حتى يكتسب المعرفة والفائدة ، فإن العلم عصمة من الفتن ، وحصانة من الضلال .

و قد بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة المباركة أن في قصة ذي القرنين أنموذجاً لقائد مكنه الله تعالى في الأرض ، فنشر الأمان ، وأقام العدل ، ورفع الظلم ،

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٤٩ / .

[2] سورة ق ، آية / ١٨ / .

[3] سورة الكهف ، آية / ٣٠ – ٣١ /

[4] سورة الكهف ، آية / ٦٦ / .

[5] سورة الكهف ، آية / ٦٩ / .

ونصر المستضعفين الذين استنجدوا به ، كما أخبرتنا السورة :**{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا }** [1] ، فلبى نداءهم ، وهبَّ مسرعاً لنجدتهم ، بلا تردد و لا تأخر قائلاً لهم : **{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا }** [2] ، لأن نصرة المظلوم واجبة ، ومساعدته لازمة لردع المفسدين ، وحماية الدين و النفس و المال والعرض و الأرض و كل مكونات الحياة .

وقد حذّرنا الله تعالى في سورة الكهف من أهل الباطل والفتن ، الذين يفسدون في الأرض وهم يظنون أنهم يصلحون ، وهذا ينطبق على البعض من الجماعات الذين ينطقون باسم الدين و الإسلام ، ويرفعون الشعارات البراقة ، والكلمات الرنّانة، ظانّين أنهم يحسنون صنعاً ، كما قال الله تعالى : **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا }** [3] .

وقد ختم الله سبحانه و تعالى السورة ببيان جزاء الفريقين : الأخسرين أعمالاً ومصيرهم ، و الذين يعملون الصالحات و جزائهم ، فهما فريقان : فريق أطاع الله عزوجل فنال رضوانه ، وظفر بالسعادة الأبدية ، وفريق أعرض فكان جزاؤه أن سخط الله عليه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٩٤ / .
[2] سورة الكهف ، آية / ٩٥ / .
[3] سورة الكهف ، آية / ١٠٣ - ١٠٤ / .

<u>الباب التمهيدي</u>

فضائل السور بشكل عام

وهو تمهيد للموضوع بالتعرف على ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل قراءة بعض سور القرآن الكريم .

الفصل الأول : الأحاديث الواردة

مبحث أ - الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل سور القرآن الكريم بشكل عام .

مبحث ب - الأحاديث الضعيفة في هذا الباب .

مبحث ج - الأحاديث الموضوعة المتداولة على ألسنة بعض الناس .

الفصل الثاني : فضائل سورة الكهف بشكل خاص

مبحث أ - أحاديث وردت لبيان فضلها و مكانتها .

مبحث ب - بيان فضل حفظ عشر آيات من أولها أو آخرها .

مبحث ج - الرابط بين المسيح الدجال و سورة الكهف .

الباب التمهيدي

و هو تمهيد للبحث بالتعرف على ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل قراءة بعض سور القرآن الكريم .

فضائل السور بشكل عام :

لقد جاءت السنة النبوية الشريفة تبين لنا فضل قارئ القرآن الكريم في الدنيا ، و مكانته يوم القيامة بين الناس و عند الله تعالى ، و الأحاديث كثيرة في ذلك .

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **« اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه »** [١] .

وعن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه »** [٢] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : **« إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه »** [٣] .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« يُؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجّان عن صاحبهما »** [٤] .

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ٥٥٣ .

[٢] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ١٩٢ ، و الإمام أحمد في المسند ، ج ١ ص ٥٣٠ ، و الإمام أبو داود في سننه ج ٢ ص ٧٠ ، و غيرهم .

[٣] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ١٩٢ ، و الإمام أحمد في المسند ، ج ١ ص ٥٣٠ ، و الإمام أبو داود في سننه ج ٢ ص ٧٠ ، و غيرهم .

[٤] كما ذكره الإمام النووي في كتاب : رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣٠٩ نقلاً عن الإمام مسلم ، ج ١ ص ٥٥٤ بزيادة : وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ، قال : « كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما حزقان من طير صواف ، تحاجان عن صاحبهما » .

الفصل الأول

الأحاديث الواردة في ذلك

مبحث أ - الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل بعض سور القرآن الكريم بشكل عام :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »** [١] .

فإذا قرأ الإنسان القرآن الكريم ، نزلت عليه السكينة ، و غشيته الرحمة ، و حفّته الملائكة . فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف ، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين - الشطن : الحبل ، وجمعه أشطان - فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال : **« تلك السكينة تنزلت بالقرآن »** [٢] .

وعليه : فإن القرآن الكريم يكون حصناً منيعاً لصاحبه من كل أذى ، و شفيعاً له يوم القيامة ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين **البقرة** ، **وسورة آل عمران** ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ – الغمامة : السحاب الملتف ، وهو الغياية ، إذا كانت قريباً من الرأس ، وهي الظّلّة أيضاً ، والمعنى : أن قارئهما في ظل ثوابهما - تُحاجّان عن أصحابهما ، اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخْذها بركة ، وترْكها حسْرة ، ولا تستطيعها البطلة » [٣] - يعني السحرة - .

---

[١] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ١٧٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[٢] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ١٨٨ ، و الإمام مسلم في صحيحه : ج ١ ص ٥٤٧ .

[٣] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٥٥٣ .

جاء في فضل سورة الكهف :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال »** [١] .

و جاء في فضل سورتي السجدة و الملك :

عن جابر رضي الله عنه ، قال : **« كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بتنزيل السجدة ، وبتبارك »** [٢] . و في رواية أخرى : **« كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل السجدة ، و تبارك الذي بيده الملك »** [٣] .

و جاء في سورة الواقعة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أراك قد شِبْتَ . قال : **«شَيَّبَتْنِي هودٌ والواقعةُ وعَمَّ يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرَتْ »** [٤] . و ذلك لما فيهم من ذكر القيامة و أهوالها .

و جاء في فضل سورة الملك :

ما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غُفِر له : تبارك الذي بيده الملك »** [٥] .

و روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خِبَاءَهُ - أي خيمته - على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله إني ضربتُ خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٥٥٥ ، والإمام أحمد في المسند ، ج ٤٥ ص ٥٢٦ ، و الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، و غيرهم .

[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٤٧٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

[٣] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٢٣ ص ٢٦ .

[٤] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٤٠٢ ، و قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، ورواه : الإمام الحاكم في المستدرك ، ج ٢ ص ٣٧٤ ، و قال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

[٥] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٢٤٤ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر »** [١] .

و جاء في فضل المعوذات - الإخلاص و الفلق و الناس - :

ما أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : **« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها »** [٢] .

وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين ، بل يدل على الأولوية ، ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما ، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً ، **وقد أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط :** أن يكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثّر بذاتها بل بذات الله تعالى . و اختلفوا في كونها شرطاً ، و الراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة [٣] .

وروى البخاري وأهل السنن في الاستشفاء **بهذه السور الثلاث** ، كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم **« كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ، ثم نفث فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات »** [٤] .

---

[١] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ١٦٤ ، **و قال الألباني : حديث ضعيف** ، و إنما يصح منه قوله : هي المانعة .

[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٣٩٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام : ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، ج ١٠ ص ١٩٥ .

[٤] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٣١٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** ، و كذلك ورد في التفسير المنير للشيخ الدكتور : وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ٣٠ ص ٤٧١ .

و جاء في فضل آية الكرسي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : وكّلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ ، فجعل يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصّ الحديث ، فقال : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، لن يزال معك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **« صَدَقَكَ وهو كذوبٌ ، ذاك شيطان »** [1] .

مبحث ب ـ الأحاديث الضعيفة في هذا الباب :

لا شك أن أغلب الأحاديث الواردة في فضائل السور ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها ، لذا استَبْعَدْتُ ذكر هذه الأحاديث ، وأوردت بعضها هنا للتنبيه والبيان ، لا على سبيل الحصر والتمام .

و ورد في التفسير المنير ما نصه : **(** ذكر المفسرون أحاديث في فضل **سورة الدخان** مثلاً ، لكنها لا تخلو من ضعف ، منها ما رواه الدارمي في مسنده عن أبي رافع قال : «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة ، أصبح مغفوراً له ، وزُوّج من الحور العين » وفي لفظ آخر للترمذي : « من قرأ حم الدخان في ليلة ، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ، وعن أبي أمامة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وهكذا أغلب الأحاديث الواردة في فضائل السّور ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها كدليل قوي ، و لذا استبعدتُ ذكر هذه الأحاديث ، وأوردتُ بعضها هنا للتّنبيه والبيان فقط **)** [2] . انتهى كلام الزحيلي رحمه الله تعالى .

وهذا بعض من الأحاديث الضعيفة التي مرَّ الكلام عنها ، لتكون شاهد عيان على ما تقدم .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة تكاد لا تحصى .

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٤ ص ١٢٣ و ج ٦ ص ١٨٨ ، و فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام : ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، ج ٩ ص ٥٦ .

[2] التفسير المنير للشيخ الدكتور : وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ٢٥ ص ٢٠٤ ، بتصرف .

مبحث ج - الأحاديث الموضوعة المتداولة على ألسنة بعض الناس :

وهنا لا يجدر بي ولا يليق أن أنقل كذب الكاذبين على سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بوصفه حديثاً ، حتى لا أكون أنا أحد الكاذبين ، فمن حدَّث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، لأن من يروي الكذب و ينقله للناس يكون كاذباً ، ويجب على المحدّث أن لا يروي شيئاً من الأخبار المصنوعة من خيال الناس الواهمين، والأحاديث الباطلة الموضوعة على سيد المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، فمن فعل ذلك باء بالإثم المبين ، ودخل في جملة الكاذبين .

و ما أكثر الأحاديث الموضوعة التي وضعها الناس على سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلمكذباً و زوراً و افتراءً ، و ما زالوا يضعونها حتى يومنا هذا ، و يبتدعون ويخترعون ، ثم يجعلونها من أصول الدين ، و رسول الله صلى الله عليه و سلم منها برئ لا يدري بها ، و لا يعرفها ، و ما حدّث بها ، و ما ينبغي له ذلك ، لأن الله ما أنز ل بها من سلطان ! فهنالك الفرق الواسع و الشاسع ، و البيّن والواضح لمن كشف الله له الغشاوة عن قلبه و بصره ، ليميّز بين كلامٍألّفَه بشر يصيبون و يخطئون، و بين من قال الله عنه : **{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ }** [1] .

---

[1] سورة النجم ، آية / ٣ - ٤ / .

الفصل الثاني

فضائل سورة الكهف بشكل خاص

مبحث أ - أحاديث وردت لبيان فضلها و مكانتها :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة - و في رواية : ليلة الجمعة - أضاء له من النور ما بين الجمعتين »** [(١)] .

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يُسلَّط عليه ، ومن توضأ ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رَقٍّ ، ثم طبع بطابع فلم يُكسر إلى يوم القيامة »** [(٢)] .

والواضح من هذه الرواية أن قراءتها تتحقق في أي يوم من أيام الأسبوع ، دون تحديدٍ ليوم الجمعة بالذات ، والأجر حاصل لو قرأها ، وهذا من كرم الله تعالى .

و يبدأ وقت قراءة سورة الكهف : من مساء يوم الخميس - ليلة الجمعة كما رأينا في بعض الأحاديث التي مرّت آنفاً - **إلى غروب يوم الجمعة** ، لأن اليوم ينتهي بالغروب .

وكان السلف الصالح يتعاهدون تلاوتها زيادة عن ليلة الجمعة أو يومها ، كما ذكر الإمام ابن كثير في البداية و النهاية : أن الحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً،

---

(١) كما ورد في المستدرك ، للإمام أبي عبد الله الحاكم ، ج ٢ ص ٣٩٩ ، **و قال في الدرر السنية الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف : صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٧٠** ، وأورده القرطبي أيضاً : ج ١٠ ص ٣٤٦ ، و التفسير المنير : ج ١٥ ص ٢٠٠ ، و غيرهم .

(٢) كما ورد في المستدرك ، لأبي عبد الله الحاكم ، ج ١ ص ٧٥٢ . و قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، **و قال في الدرر السنية الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف : قال الألباني في السلسلة الصحيحة : إسناده صحيح على شرط الشيخين .**

كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب ، يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش [١] .

مبحث ب - بيان فضل حفظ عشر آيات من أولـها أو آخـرها :

جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه و سلم ، قال : **« من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال »** [٢] .

وفي رواية : **« من آخر سورة الكهف »** [٣] . و جاء في رواية أخرى : بزيادة كلمة : **« فتنة »** ، و لفظ : **« خواتيم »** ، أي : تكون الرواية على الشكل التالي : **« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، عُصِم من فتنة الدجال »** [٤] ، وقال الإمام أبو داود : إلا أنه قال : **« من حفظ من خواتيم سورة الكهف ، عُصِم من فتنة الدجال »** ، و قال شعبة عن قتادة : **« من آخر الكهف »** .

و سبب العصمة في قراءتها أو حفظ العشر من أوّلها أو آخرها ، كما قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى موضِّحاً القضية : " وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب ، فمن عَلِمَها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن ، أو لأن من تدبّر هذه الآيات وتأمل معناها حَذِرَهُ فأمِن منه ، أو هذه خصوصية أُوُدِعَتْ في السورة " .

فسورة الكهف لها شأن عظيم وفيها من العجائب والآيات الباهرات التي من تدبرها عُصِم من فتنة الدجال ، وقد ورد الحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » [٥] .

---

[١] البداية والنهاية ، للإمام المحدث أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله تعالى ، ج ٨ ص ٢١ .

[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٥٥٥ ، و الإمام أحمد في مسنده ، ج ٣٦ ص ٤٣ ، و الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين ، ج ٢ ص ٣٩٩ .

[٣] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** ، و كما أورد ذلك الإمام النووي في كتابه : رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣١٥ ،

[٤] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** ، و رواه : الإمام الترمذي في سننه ج ٥ ص ١٦٢ .

[٥] انظر كتاب : أشراط الساعة ، للشيخ عبد الله بن سليمان الغفيلي ، ج ١ ص ١٠١ ، نقلاً عن الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٩٣ ، **وقال عنه : حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .**

وعليه فإنه ينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها أو العشر الأولى منها أو الأخيرة على الأقل ، ليعصمه الله تعالى من هذه الفتن و أشباهها.

بل إنَّ النبي صلى الله عليه و سلم شجّع الأمة على أن تتمسك بهذه الفضيلة ، و لا تتركها ، ولو بقراءة ثلاث آيات من أولها كي لا يضيعوا فضلها ، و لا يُحْرَموا أجرها ، كما جاء الحديث يبين و يوضح ذلك ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصِم من فتنة الدجّال »** [1] .

فيكفي العبد فخراً ما يعطيه الله عز و جل من الكرامة ، و الحفظ ، و الحصانة ، والحماية من خطرعظيم ، إذا قرأ ثلاث آيات من هذه السورة الكريمة ! فكيف لو قرأ عشر آيات منها ! و كيف لو قرأ كل آياتها ! لا شك أنه حِفْظٌ و أمانٌ في الدنيا ، و خيرٌ وعطاءٌ و نورٌ في الآخرة .

مبحث ج - الرابط بين المسـيح الدجال و ســورة الكهف :

علماً بأن الدجال لم يذكر قط في سورة الكهف ، لا ... بل و لا حتى في القرآن الكريم كله ، - و سيأتي هذا كله مُفَصَّلاً في **مبحث ب -** تحت عنوان **: لماذا لم يذكر الدجال صراحة في القرآن الكريم ؟** - .

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري و غيره : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول : **« اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المَحْيَا والمَمَات ، ومن فتنة المسيح الدجال »** [2] .

و معنى الحديث بشكل عام : (أعوذ) ألتجىء وأستجير و أحتمي بالله من : (فتنة المَحْيَا) ما يكون في الحياة من الابتلاء بالمصائب مع عدم الصبر عليها ، و ما يعرض للمرء مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها ، وما يحدث من الإصرار على

---

[1] حديث حسن صحيح رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ١٦٢ ، و أورده الشيخ ، محمد الطاهر بن عاشور في كتابه : التحرير و التنوير ، ج ١٥ ص ٢٤١ ، **و قال الألباني : حديث صحيح بلفظ :** « من حفظ عشر آيات» وهو بلفظ الكتاب شاذ .

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ٩٩ .

الفساد وترك طرق الهداية ، و (المَمَات) ما يكون بعد الموت من أهوال القبر وسؤال الملكين ، و بعدها الجنة أو النار و ما فيهما ، و (فتنة **المسيح الدجال**) هو ما يكون معه من أسباب الفتنة و الغواية و إغراء الناس و إضلالهم ، و سُمِّيَ (المسيح)لأن إحدى عينيه ممسوحة ، و سيأتي تفصيل ذلك كله في سبب تسميته بهذا إن شاء الله تعالى .

و **أما عيسى بن مريم : -** عليه و على نبينا الصلاة و السلام **-** فسمي مسيحاً، لأنه ممسوح البدن بالبركة ، من الأدناس والآثام ، و عُوِّذَ من الشيطان هو و أمه مريم، ولأنه يجول في الأرض لينشر فيها شرع الله و يبحث عن الدجال ليقتله . **(الدّجّال)** الكذّاب المبالغ في كذبه .

و في رواية ابن ماجه و غيره : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلميُعلّمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن » [1] .

و في رواية الإمام مسلم : عن طاوس رضي الله عنه ، قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُوْذُوْا بالله من عذاب الله ، عُوْذُوْا بالله من عذاب القبر، **عُوْذُوْا بالله من فتنة المسيح الدجال** ، عُوْذُوْا بالله من فتنة المَحْيَا والمَمَات » [2] .

و في رواية الإمام النسائي : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يتعوذ من خمس يقول : « عُوْذُوْا بالله من عذاب القبر، ومن عذاب جهنّم ، ومن فتنة المَحْيَا والمَمَات ، **ومن شرّ المسيح الدجال** » [3] .

و جاء في الحديث الصحيح أيضاً : عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : **« ما بُعِثَ نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر »** [4] .

و بعد أن رأينا هذا التحذير الشديد من سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، بتعدد روايات الأحاديث و كثرتها ، و تنوّع التسميات للمُحَذَّر منه **(الدّجّال)** ، لا بُدَّ

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٢٦٢ ، **و قال الألباني : حديث حسن صحيح .**

[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٤١٣ .

[3] رواه : الإمام النسائي في سننه ، ج ٨ ص ٢٧٦ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[4] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٦٠ .

لنا أن نعلم أن الأمر جِدٌّ خطير ، و يجب أن يُؤخذ هذا التحذير بعين الاعتبار ، فالتعوذ لا يكون إلا من أذى و ضرر جسيم ، كما تقول : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

و قد وصفه النبي صلى الله عليه و سلم مرة بقوله : **فتنة** المسيح الدجال ، و مرة : **شر** المسيح الدجال ، و مرة : فتنة **الأعور** الدجال ، و مرة : **المسيخ** الدجال ، - من المسخ- **(فتنة ، شر ، أعور ، مسيح ، مسيخ) ، فما هو هذا الخطر الكبير ؟**

الباب الأول

الفتن المشار إليها في سورة الكهف التي يأتي بها الدجال .

الفصل الأول : فتنة المسيح الدجال .

مبحث أ - الأحاديث الواردة في الدجال وأوصافه .

مبحث ب - متى يكون زمن ظهور المسيح الدجال ؟

مبحث ج – أماكن محرمة على الدجال فلا يدخلها .

الفصل الثاني : دجالون كثيرون و علامات الساعة .

مبحث أ - للدجال أتباع كثرون فكم يلبث في الأرض .

مبحث ب - لماذا لم يذكر الدجال صراحة في القرآن الكريم ؟

مبحث ج - علامات الساعة بشكل عام كما وردت في الصحاح .

الباب الأول

الفتن المشـار إليها في سـورة الكهف التي يأتي بهـا الدجال :

وهو يتحدَّث عن الفتن المشـار إليها في سـورة الكهف ، التي يأتي بهـا الأعور الدجال ، في آخر الزمان ، و يكون الضلال الكبير و الفساد العريض في الأرض ، و ذلك من خلال فصول و مباحث تبين الأمر و توضحه .

الفصل الأول

فتنة المسيح الدجال . . . و من هو المسيح الدجال ؟

المَسِيْح : بفتح الميم ، و كسر السين . و هو القول الأشهر ، و عليه الأكثر .
المَسِيْخ : بفتح الميم ، و كسر السين ، و بالخاء بدل الحاء .
المِسّيْح : بكسر الميم ، و تشديد السين ، و كسرها .
المِسّيْخ : بكسر الميم ، و تشديد السين ، و كسرها ، و بالخاء بدل الحاء .
الدَّجَّال : الكذّاب ، مِنَ الدَّجَل ، و هو تَغْطية الحق بالباطل ، فيُخفي على الناس كفره .

واخْتُلِف في المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، فقيل : لأنه مسح الأرض ، أي ذهب فيها فلم يستَكِنَّ بكِنٍّ . فهو يسيح في الأرض و يطوفها ، ويدخل جميع بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس .

فالدجال يمســح الأرض مِحْنَةً ، وابن مريم يمســحها مِنْحَةً .

ذكر الإمام القرطبي في التفسير : (أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ ، فكأنه سُمِّيَ مسيحاً لذلك ، فهوعلى هذا فعيل بمعنى فاعل . **وقيل :** لأنه كان ممسوح الأخمصين . **وقيل :** لأن الجمال مسحه ، أي أصابه وظهر عليه . **وقيل :** إنما سمي بذلك لأنه مُسِحَ بالطهر من الذنوب .

وقال أبو الهيثم : المسيح ضد المسيخ ، يقال : **مسحه الله** أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً ، و**مسخه** أي خلقه خلقاً ملعوناً قبيحاً .

وقال ابن الأعرابي : المسيح الصِدِّيْق ، والمسيخ الأعور، وبه سمي الدجال .

وقال أبو عبيد : و كان أصله عندهم بالعبرية بالشين : **(مشيحا)** ، فعُرّب : **(مسيحا)** كما في : **(موشى)** عُرّبت إلى : **(موسى)** [1] . وأما الدجال فسمي مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين **)** [2] . انتهى كلام الإمام القرطبي رحمه الله تعالى .

ويقول الإمام ابن حجر : **(** إن من قاله بالخاء المعجمة **(المسيخ)** صَحَّفَ .

ثم يتلبع قائلاً : وحكى شيخنا مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس في اللغة أنه اجتمع له من الأقوال في سبب تسمية الدجال المسيح : خمسون قولاً .

ثم يتلبع قائلاً : وبالغ القاضي ابن العربي فقال : ضلَّ قوم فَرَوَوْهُ **(المسيخ)** بالخاء المعجمة ، وشدد بعضهم السين ، ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى بن مريم بزعمهم.

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فرق بينهما بقوله في الدجال : **(مسيح الضلالة)** فدلّ على أن عيسى : **(مسيح الهدى)** ، فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرَّفوا الحديث **)** [3] . انتهى كلام الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى . علماً بأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه و سلم تفسيرٌ لمعنى كلمة المسيح .

مبحث أ - الأحاديث الواردة في الدجال وأوصافه :

كيف وصف النبي صلى الله عليه و سلم الأعور الدجال :

جاء في الحديث الصحيح بروايات متعددة و متنوعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : **« أراني الليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلاً آدم ، كأحسن ما أنت راءٍ من أدْمِ الرجال ، له لِمَّةُ كأحسن ما أنت راءٍ من اللِمَم قد رَجَّهَا ، فهي تقطر ماء ، مُتَّكِئاً على رَجُلين ، أو على عواتق رجُلين ، يطوف بالبيت ، فسألتُ : من هذا ؟ فقيل : المسيح ابن مريم ، وإذا أنا برجل**

[1] كما ذكر هذا الإمام القرطبي في التفسير : ج ٤ ص ٨٩ .
[2] كما ذكر هذا الإمام القرطبي في التفسير : ج ٤ ص ٨٩ ، بتصرف .
[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام : ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، ج ١٣ ص ٩٤ .

جَعْدٍ قَطط ، أعور العين اليمنى ، - و في رواية الإمام أحمد : اليسرى - كأنها عِنَبَةٌ طافيةٌ ، فسألتُ : من هذا ؟ فقيل : المسيح الدجال » [١] .

المعنى العام لهذا الحديث الشريف :

رأى النبي صلى الله عليه و سلم رؤيا ، في ليلة من الليالي - و رؤيا الأنبياء حق [٢] -وهو عند الكعبة المشرفة ، رجلاً من أجمل ما رأى من جمال الرجال ، أسمر اللون، له شعرٌ متدلٍّ قد جاوز شحمتي أذنيه ، حتى بلغ منكبيه ، و قد سرَّحه بمشط و ماء حتى صار يلمع كأنه يتقاطر ماءً ، أو ربما يتقاطر ماءً بالفعل ، و هو أَجْعَد ، وهي صفة مدح، إذا كان الشعر طويلاً أَجْعدَ ، و أما إذا كان قصيراً أجعد فهي صفة ذمٌّ ، كما جاء في وصف الدجال ، فكان في أبهى صورالجمال و أحسنه ، يَحفُّه الناس ، و هو مُسْتَنِدٌ على أكتاف أصحابه ، يطوف بالبيت العتيق ، فسأل النبي صلى الله عليه و سلم : من هذا ؟ فقالوا له : **المسيح عيسى بن مريم** .

ثم رأى النبي صلى الله عليه و سلم في نفس الرؤيا رجلاً قصيرَ الشعر ، شديدَ الجعودة ، خَشْنَ الشَّعْر ، أعْورَ العين اليمنى ، أو اليسرى ، كما في بعض الأحاديث ، عينه ناتئة جاحظة كحبة عنب ظاهرة عن أخواتها ، فسأل النبي صلى الله عليه و سلم ، من هذا ؟ فقالوا له : **المسيح الدّجّال** .

و مما جاء في وصف الأعْور الدّجّال ، ما ورد عن سَمُرَةَ بن جُنَادة بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : **« إنَّ الدجال خارجٌ وهو أعْورُ العين الشمال ، عليها ظَفَرَةٌ غَلِظَةٌ** - وهي جِلْدَةٌ تغْشَى العين ، وإذا لم تُقْطَع عَمِيَتِ العينُ ، وعليه : فالْعَوَرُ فيهما عند الدجال حاصل ، لأن الظفرة مع غلظها تمنع الإدراك أيضاً ، فيكون الدجال أعْمى أو قريباً من العمى ، أوهي لحمة تنبت عند المآقي- **وإنه يبرىء الأكْمَهَ** - الذي ولد أعمى - **والأبرص** - مرض جلدي معروف - **ويحيي الموتى ، ويقول أنا ربكم ، فمن قال أنتَ ربّي فقد فُتِنَ ، ومن قال ربّي الله حتى يموت،**

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٧ ص ١٦١ ، و الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ١٥٤ ، و انظر مسند الإمام أحمد ، ج ٣٨ ص ٢٨٦ و غيرهم .

[٢] كما قال بذلك الكثير من الأئمة : كالإمام الطبري ، و الإمام القرطبي ، و الإمام أثير الدين الأندلسي ، و الإمام ابن حجر العسقلاني ، و غيرهم ، وكلهم يستدل برؤيا الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، في سورة : الصافات ، **{يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}** آية / ١٠٢ / ، و الدليل : أنه قام لينقذ أمر الله الذي رآه في المنام ، إلى أن فداه الله بذبح عظيم : {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} سورة الصافات ، آية / ١٠٧ / .

فقد عُصِمَ من فتنته ، ولا فتنة عليه ولا عذاب ، فيلبث في الأرض ما شاء الله ، ثم يجيء عيسى ابن مريم مِنْ قِبَلِ المَغْرِب مُصَدِّقاً بمحمد - صلى الله عليه و سلم - وعلى مِلَّتِهِ ، فيَقْتُلُ الدّجّال ، ثم إنما هو قيام الساعة » [1] .

فإذا أردنا الجمع بين الحديثين **(اليمنى)** و **(اليسرى)** يكون **(الظَّفَر)** موجوداً على عينيه الاثنتين معاً .

فالمسيحُ يَقْتُلُ المسيحَ . . .

ولشدَّة خطورته و أذاه ، فإنه ما مِنْ نبي إلا و كان يُحذِّر و ينذر أمته من الأعور الدجال ، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس و أبي هريرة و ابن عباس رضي الله عنهم جميعاً ، قالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : **« ما بُعِثَ نبيٌّ إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعْور، وإنَّ ربكم ليس بأعْور، وإنَّ بين عينيه مكتوبٌ كافر »** [2] .

وعن عبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إني قد حَدَّثْتُكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا ، إن مسيح الدجال رجل قصير أفْحَج - متباعد ما بين الساقين ، أو الفخذين - جَعْد أعْور ، مطموس العين ليس بناتئة ولا حَجْرَاء ، فإنْ أُلبِسَ عليكم ، فاعلموا أنّ ربكم ليسَ بأعور»** [3] .

وبعد كل ما ورد في اختلاف صفات الدجال بما ذُكِرَ من النقص و الضعف ، إنما هو بيانٌ ساطعٌ و واضحٌ لكل ذي عقلٍ و لبٍّ ، أنّ مَنْ فيه كل هذه الصفات التي تدل على النقصان و الضعف و الحرمان ، و هو لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ، و لا بحال من الأحوال ، وهو محكوم عليه في نفسه ، و ليست عنده القدرة على الحكم أو التَّصَرُّف ، و لا يتبعه إلا كل من أعمى الله بصيرته عن رؤية النور والصلاح ،

---

[1] النهاية في الفتن و الملاحم ، للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ١ ص ١٤١ ، **و قال في الدرر السنية الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : رواه : الإمام أحمد و رجاله رجال الصحيح ، و رواه : البزار بإسناد ضعيف .**

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٦٠ .

[3] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٦ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .** و ذكره الإمام القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة ، ج ١ ص ١٢٧٩ ، وورد أيضاً في مسند الإمام أحمد ج ٣٧ ص ٤٢٣ ، و ورد أيضاً في النهاية في الفتن و الملاحم ، للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ١ ص ١٤١ .

و طريق الهداية و الفلاح ، و انغمس في ظلمات الجهل و الضلال و الطغيان ، لأن الغشاوة غطَّتْ عينيه و قلبه ، حتى رَانَ القلب و أظلم و هو مستعد لاتِبَاعِ كل من يُزَيِّفُ له الحقائق أو يغطِّيها ، أو يُزَيِّنُ له الحياة الدنيا و يُحَلِيّها ، **{وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ }** [(١)] ، فهو من أتباعه و جنوده لا محالة ، إن لم يكن هو هو .

جاء في الحديث عن ثوبان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إن الله زَوَى لي الأرض »** - أو قال : - " إن ربي زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن مُلْكَ أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ، وأعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال لي : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاء ، فإنه لا يرد ، ولا أهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً ، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق - قال ابن عيسى : « ظاهرين » ثم اتفقا - لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله " » [(٢)] ، أي سيكون دجالون كثيرون ، ولا يبدأ ظهورهم إلا إذا ضعف إيمان البشر، وبدؤوا بالانحراف عن دينهم و عقيدتهم ، وصاروا سنداً للظالمين و طغيانهم و دجلهم .

ولذلك فإن النبي صلى الله عليه و سلم ، كان حريصاً أشدَّ الحرص على غَرْسِ هذه العقيدة في قلوب أمته ، ليكونوا مُستعدِّين لحرب الباطل ، و دَحْر أهله ، و الوقوف مع الحقِّ ، أمام كل طغيان و ظُلمٍ و جَوْر ، فأمرهم أن يَدْعوا نهاية كل صلاة متعوّذين من شرّ المسيح الدجال ، لتكون عداوته و حربه ، و عدم طاعته فطرةً عاشوا عليها ، و عبدوا الله من خلالها ، و أيقنوا باعتقادها ، و لا خوفٌ عليهم بعد ذلك و لا هم يفتنون.

---

(١) سورة الحج ، آية / ٣ - ٤ / .

(٢) رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ٩٧ ، و **قال الألباني : حديث صحيح .**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المَحْيَا والمَمَات ، ومن شَرِّ المسيح الدجال »** [١] .

و ما هذا كله ، إلا لخطورة أذاهُ ، و شدة تأثيرهِ على عقيدة المرء ، و على عُنْصُر الشباب بالذات ، الذين قالوا آمنا ، وهم في بداية الطريق ، لم يعرفوا الإسلام و أحكامه ، حتى يذوقوا الإيمان و حلاوته ، مع أن الله عزَّ و جلَّ نهاهم أن يقولوا آمنَّا قبل أن يتحققوا بالإسلام أولاً ، بالقول و الفعل ، **{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }** [٢] .

فالدَّجَّال يأمرُ السماءَ أن تُمْطِرَ فتمطر، و الأرضَ أنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِت ، و يبرئ الأكمه و الأبرص ، و يحيي الموتى ، ويَسْتَدْرِجُهُ الله بالمدد في الطغيان ، ليختبر به الناس و يمتحنهم ، **{ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }** [٣] . فضُعفاءُ الإيمان يُخْدَعون بالمادِّيات التي هم يبحثون عنها ، فيجدون فيه ضالَّتَهُم ، فهو يبرىء الأكْمَهَ والأبرص ، بل الأدهى و أمَرّ أنه يحيي الموتى، فكيف لا يتبعه الدَّجَّال من الناس الحمقى ، و هو يقول لهم : أنا ربكم ،وهم يهلِّلُوْنَ له و يُكبِّرون ، و يعبدونه و له يسجدون ، قال الله تعالى : **{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }** [٤] . فمن قال أنتَ ربّي فقد فُتِنَ ، ومن قال ربّي الله حتى يموت ، فقد عُصِمَ من فتنته ، **{ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }** [٥] . فلا يتبع الدجال إلا من حُرِمَ حلاوة الإيمان ، و سار في طريق الغواية و العصيان ، فيتبعونه و يأتمرون بأمره و ينتهون بنهيه ، و يصبحون كالأداة في يده ، يُحَرِّكُهم كيف يشاء ، و متى شاء، و رُبَّمَا يُصبح لهم القوة و السيطرة و النفوذ ، و لا غرابة في ذلك و لا عجب ، **{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ }** [٦] . كما هو حال البعض - و للأسف - في هذه الأيام ، لا يُعْمِلُوْنَ عقولهم ، و لا يفكرون أبداً ، مُغْلِقِيْنَ حمقى العقول ، كأنما سُكِرتْ أبصارهم ، **{ وَارْتَابَتْ**

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ١ ص ٤١٢ .
[٢] سورة الحجرات ، آية / ١٤ / .
[٣] سورة البقرة ، آية / ١٥ / .
[٤] سورة يوسف ، آية / ١٠٣ / .
[٥] سورة سبأ ، آية / ١٣ / .
[٦] سورة الأعراف ، آية / ١٨٢ / .

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } [1] . غطَّتِ الغشاوةُ على العيون و القلوب ، و وضعوا أصابعهم في آذانهم ، حتى لا يسمعوا النصيحة من أحد ، بل يكرهون كلمة الحق لو قِيْلَتْ ، و يحقدون على أهلها ، {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [2] ، بل إنهم يعتقدون أنهم هم أهل الحق و الصواب و الطريق السوي ، و كل من خالف رأيهم ، و لم يوافق هواهم ، فهو على الباطل و الضلال ، { الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [3] ، وما أكثرهم اليوم في مجتمعات المسلمين ، الذين فسَّروا الدين و الإسلام على هواهم ، وتركوا حقيقة الإسلام و روحه ، فلبسوا ثوبه ، و تغطُّوا بعباءته ، و نحروا قلبه ، و قطَّعوا شرايينه ، فأماتوه ليُحْيُوا شهواتهم و ملذّاتهم و أهواءَهم ، و يُرضوا أسيادهم و أربابهم و من يفتي لهم ، حتى و لو أسخطوا الله و أغضبوه { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ } [4] ، {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [5] . فهم يُهَيِّئُون الوقت و يُعِدُّون لظهور دجَّالِهِمُ الأكبر، لأن الزمان و المكان و الظرف سيصير مُهَيَّأً لوجوده بينهم زعيماً و قائداً وحاكماً و مفتياً و و و ...

فهل تتصور أن يخرج الدجال و لا يجد له أعواناً قد أعَدُّوا له عُدَّتَهُ ؟ ! { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [6] .

---

[1] سورة التوبة ، آية / ٤٥ / .
[2] سورة البقرة ، آية / ٢٠٦ / .
[3] سورة الكهف ، آية / ١٠٤ / .
[4] سورة التوبة ، آية / ٣١ / .
[5] سورة الجاثية ، آية / ٢٣ / .
[6] سورة الأعراف ، آية / ١٧٩ / .

مبحث ب - متى يكون زمن ظهور المسيح الدجال ؟

ولا شك أنه قد تبين لنا بعد هذه الآيات و الأحاديث ، أن الدجال رآه أحد الصحابة ، و كلمه و حاوره ، وسأله فأجابه و أخبره ، فمتى حدث ذلك ، و كيف ، و أين ؟

متى وُجِدَ الأعْوَرُ الدَّجّال ؟ و أينَ هوَ الآنَ ؟ و متى سيظهر ؟

والذي يَحُلُّ لنا هذا الإشكال ، و يُبَيِّنُ لنا جواب السؤال ، هو رسول الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام ، حيث إنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يُوحَى ، والأحاديث في ذلك كثيرة و غزيرة ، و لكن أبلغ ما فيها ، ما ورد في صحيح الإمام مسلم ما عُرِفَ بحديث **قصة الجَسَّاسَة** ، و التي جاءت تشرح القضية بالتفصيل ، من خلال رحلة الصحابي الجليل : تميم بن أوس الداري ، رضي الله عنه ، فمن هي الجساسة و ما هو خبرها و قصتها ؟

حَدَّثَ عامر بن شراحيل الشعبي ، أنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس . وكانت من المهاجراتِ الأُوَل . فقال : حَدِّثِيْنِي حديثاً سَمِعْتِيْهِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تُسْنِدِيْهِ إلى أحد غيره . فقالت : لئن شئتَ لأفْعَلَنَّ . فقال لها : أَجَل ، حَدِّثِيْنِي . فقالت : نكحتُ - أي تزوجتُ - ابن المغيرة . وهو من خيار شباب قريش يومئذٍ . فأُصِيْبَ في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما تَأَيَّمْتُ خَطبني عبدالرحمن بن عوف ، في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخطَبني رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَوْلاهُ أسامة بن زيد - أي خطبني رسول الله صلى الله عليه و سلم لأسامة بن زيد خادمه - وكنتُ قد حَدَّثتُ ؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن أحبَّنِي فَلْيُحِبَّ أسامةَ » فلما كلَّ مني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أمْري بيدِكَ . فأنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ . – أي أنتَ وَلِيُّ أمري فزوّجني لمن تريد يا رسول الله - فقال : « انتقلي إلى أم شريك » - كي تقضيَ عدَّةَ الوفاة عندها - وأمُّ شريك امرأة غنية ، من الأنصار. عظيمةُ النفقة في سبيل الله . ينزل عليها الضِّيْفَان . فقلتُ : سأفعلُ . فقال : « لا تفعلي . إنَّ أم شريك امرأة كثيرة الضيفان . فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القومُ منك بعض ما تكرهين . و لكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم »

- وهو رجل من بني فهرأعمى ، فهر قريش وهو من البطن الذي هي منه - فانتقلتُ إليه . فلمَّا انقضتْ عِدَّتِي سمعتُ نداء المنادي ، منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي : الصلاةُ جامعة . فخرجتُ إلى المسجد. فصليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكنت في صَفِّ النساء التي تلي ظهور القوم . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، و هو يضحك ، فقال : « لِيَلْزَمْ كل إنسان مُصَلَّاهُ » ، ثم قال : « أتدرونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: « إني والله ما جَمَعْتُكُم لرغْبةٍ ولا لرهبةٍ ، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحَدَّثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدِّثكم عن مسيح الدجال ، حدَّثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً مِنْ لَخْمٍ وجُذَامْ ، - اسم بعض القبائل المستعربة - فلَعِبَ بهم الموج شهراً في البحر، - أي تاهوا و ضاعوا - ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، - أي التجؤوا إليها - فجلسوا في أقْرُبِ السفينة - الأقْرُبُ جمع قارب على غير قياس والقياس قوارب وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم - فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابّةٌ أَهْلَبُ كثير الشعر- الأهلب غليظ الشعر كثيره - لا يدرون ما قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، من كثرة الشعر، فقالوا : ويلكَ ما أنتَ ؟ فقالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر، فإنه إلى خَبَرِكم بالأشواق ، قال : لمَّا سَمَّتْ لنا رجلاً فَرِقْنَا منها - أي خفنا - أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا سراعاً ، حتى دخلنا الدَّيْرَ، فإذا فيه أعْظم إنسان رأيناه قَطُّ خَلْقاً، وأشَدُّهُ وَثاقاً ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد - أي جثته ضخمة و هو مربوط و مقيد الأيدي و الأرجل - قلنا : ويلك ما أنتَ ؟ قال : قدْ قَدَرْتُمْ على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادَفْنا البحر حين اغْتَلَمَ - أي هاج وجاوز حده المعتاد - فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتِكَ هذه - أي وصلنا - فجلسنا في أقْرُبِها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابّةٌ أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا : ويْلَكِ ما أنتِ؟ فقالت : **أنا الجساسة** ، قلنا : و**ما الجساسة** ؟ قالت : اعْمَدُوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليكَ سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة ، **فقال : - أي الدجال -** أخبروني عن نخْل بيسان - و هي قرية في الشام - قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر؟ قلنا له : نعم ، قال : **أما إنه يوشك أن**

لا تثمر ، قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية - و هي بحر صغير معروف بالشام - قلنا : عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء ، قال : **أما إن ماءها يوشك أن يذهب** ، قال : أخبروني عن عين زُغَرَ - و هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام - قالوا : عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال : هل في العين ماء ؟ و هل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها ، قال : أخبروني عن نبيّ الأمّيين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقَاتَلَهُ العربُ ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظَهَرَ على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إنَّ ذاك خيرٌ لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني ، إني أنا المسيح -أي المسيح الدجال- وإني أوشك أنْ يُؤْذَنَ لي في الخروج ، فأخرجَ فأسيرَ في الأرض فلا أدع قرية إلا هبَطْتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة - و هي المدينة ، ويقال لها أيضا طابة - فهما مُحَرَّمَتَان عليَّ كِلْتاهُما ، كُلَّمَا أردتُ أن أدخلَ واحدةً - أو واحداً - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً - أي مسلولاً من غمده - يَصدُّني عنها ، و إن على كل نَقبٍ منها ملائكةً يحرسونها ، قالت : - فاطمة بنت قيس - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ في المنبر : « **هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة** » - يعني المدينة و كأنه عليه الصلاة و السلام يتباهى بها - « **ألا هل كنتُ حَدَّثْتُكُمْ ذلك ؟** » فقال الناس : نعم ، « **فإنه أعجبني حديث تميم ، أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه ، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشَّأمْ ، أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ، ما هو** » وأوْمَأَ بيده إلى المشرق ، قالت : فحفظتُ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

فهذا هو الدجال و هذا خبره ، من حيث وجوده ، و المكان الذي هو فيه الآن الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، و لم يبينه النبي صلى الله عليع و سلم ، فما هي أفعاله و أعماله ؟

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٦٢ ، و ذكره الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٨ ، و ذكره الإمام ابن كثير في كتاب : الفتن و الملاحم ج ١ ص ١١٠ ، و الإمام القرطبي في التذكرة ج ١ ص ١٢٨٥ ، و غيرهم .

مبحث ج – أماكنُ مُحَرَّمَةٌ على الدجال فلا يدخلها :

ويحفظ الله **المدينة المنورة** و **مكة المكرمة** من شرّه فلا يستطيع دخولهما ، ولا الوصول لهما ، و يأمن أهلهما من فتنه و أذاه ، جاء في الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، لكل باب ملكان » [١] .

وإذا كان في المدينة كافر ، أو فاسق ، أو منافق ، فإن الله يجعل المدينة المنورة يومئذٍ ترجف ثلاث رجفات ، فيخافون و يهربون فارّينَ منها ، و يبقى المؤمنون الصادقون ، فإنهم يعفرون ذلك كله ، فلا تخيفهم تلك الرجفات . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ليس من بلد إلا سيَطَؤُهُ الدجال،إلا مكة ، والمدينة ، ليس له من نقابها نقب ، إلا عليه الملائكة صاقّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيُخْرِجُ الله كل كافر ومنافق » [٢].

و هناك خاصية لبعض الأماكن و المساجد أيضاً ، لا يستطيع الدجال دخولها ، فإذا دخلها المؤمنون ، احتَمَوْا بها و تحصنوا من شر و فتنة المسيح الدجال ، كما أخبر النبي صلى الله عليه و سلم ، فما هي تلك المساجد المباركة .

أربعة مساجد لا يدخلها الدجال :

ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم أحاديث و روايات متعددة ، منها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قامخطيباً في أصحابه فقال: **« أنذرتُكم المسيح وهو ممسوح العين ـ قال : أحسبه قال اليسرى ـ يسير معه جبَالُ الخبز ، وأنهار الماء ، علامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى ، والطور،**

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٣ ص ٢٢ ، و الإمام أحمد في مسنده ، ج ٢٤ ص ١٢٠ .

[٢] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٣ ص ٢٢ ، والإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٦٥ ، و غيرهما .

ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله ليس بأعور ـ قال ابنُ عونٍ وأحسبه قد قال ـ يُسَلَّطُ على رجلٍ فيَقْتُلُهُ ، ثمَّ يُحْيِيْهِ ، ولا يُسَلَّطُ على غيره » [1] .

ويمكث الدجال في الأرض أربعين صباحاً ، يَرِدُ فيها كل منهل ، و يبلغ سلطانه كل مكان إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس و الطور ، فيحاصر الدجالُ المؤمنين في بيت المقدس ، إلى أن يأتي المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، فيقتله و يهلكه الله تعالى . و لكنه عندما يأتي المدينة المنورة ، قبل ذهابه لبيت المقدس ، يجد الملائكة يحرسونها ، فلا يستطيع أن يدخلها الدجال إن شاء الله ، و كلما أراد دخولها تلقاه بكل نقب من أنقابها ملك مَصلِتٌ سيفه ، يمنعه عنها ، و تكون الملائكة مشتبكة بالملائكة ، على كل نقب من أنقابها ملكان يحرسانها ، لأن المدينة لا يدخلها الطاعون و لا الدجال ، كما جاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « **على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال »** [2] .

وقال القاضي عياض : (في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال وأنه شخص مُعَيَّنٌ يبتلي الله به العباد ، ويُقْدِرُهُ على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله ، وظهور الخِصْب والأنهار ، والجنة والنار ، واتِّبَاع كنوز الأرض له ، وأمره السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، وكل ذلك بمشيئة الله سبحانه و تعالى ، ثم يُعْجِزُهُ الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ، ولا غيره ، ثم يُبْطِلُ أمْره نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام و يقتله . وإنما ادعى الإلهية وصورة حاله تكذبه ، لعجزه ونقصه ، فلا يَغْتَرُّ به إلا رَعَاْعُ الناس، إما لشدة الحاجة والفاقة ، وإما تَقِيَّةً وخوفاً من أذاه وشره ، مع سرعة مروره في الأرض ، فلا يمكث حتى يتأمَّلَ الضعفاءُ حالَهُ ، فمن صدَّقه في تلك الحال ، فقد هوى و غوى ، ولهذا يقول له الذي يحييه بعد أن يقتله : ما ازْدَدْتُ فيكَ إلا بصيرة . فلذلك فإنه يبدأ الأمر ، **فيقول : أنا نبي** ، ثم يَغْتَرُّ باتباع الناس له و كثرتهم ، **فيقول : أنا ربكم** . ثم يبدأ بإظهار الخوارق بعد قوله الثاني ، كما جاء في حديث أبي أمامة : « وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إنْ بعثتُ لك أباك وأمك ، أتشهد

---

[1] رواه : الإمام أحمد في مسنده ، ج ٣٨ ص ١٨٠ ، و قال عنه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد و منبع الفوائد : **رجاله رجال الصحيح** ، ج ٧ ص ٣٤٣ ، **و قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : نقلاً عن الوادعي : هو حديث صحيح .**

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٣ ص ٢٢ .

أني ربك ؟ فيقول : نعم فيُمَثِّلُ له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، يقولان له : يا بُنَيَّ اتبعه فإنه ربك ، وإن من فتنته : أن يمر بالحي فيكذبونه ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، ويمرُّ بالحي فيصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر والأرض أن تنبت ، فتمطر وتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظم ، وأمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، وأدَرَّهُ ضُرُوْعَاً » [1]) . انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى .

---

[1] انظر : فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ، للإمام ابن حجر ، ج ١٣ ص ١٠٥ ، بتصرف . **و قال الإمام الحاكم في المستدرك : هذا حديث صحيح على شرط الإمام مسلم ، ولم يخرجاه بهذه السياقة** ، ج ٤ ص ٥٨٠ ، **وقال الألباني : إسناده ضعيف** . أي : بهذا السياق ، وفي رواية الإمام مسلم مايغني ويشفي و يكفي ، كما سترى في الحديث التالي الذي رواه : النواس بن سمعان رضي الله عنه ، فاقرأه هنا بتمعن و تدبر ففيه تفصيل القضية كلها .

الفصل الثاني

دجالون كثيرون و علامات الساعة :

ومن أعظم ما ورد في **وصف الأعور الدجال الحقيقي** ، و أتباعه الدَّجَّالين الذين يظهرون قبله ليُمَهّدُوا ظهوره ، و الدَّجَّالين الذين يكونون معه مُؤَيِّدِيْنَ له ، و مساندين و مساعدين لضلاله ، -و هم كثيرون جداً - **كما روى الإمام مسلم في صحيحه :** عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، - مكان في المدينة المنورة ، وهو كناية عن شدة قربه - فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسول الله ذكرتَ الدجال غداة ، فخفضتَ فيه ورفعتَ ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولستُ فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط ، - شديد الجعودة لِحَدِّ الشذوذ - عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، - و هو رجل من بني المصطلق من خزاعة و هلك في الجاهلية - فمن أدركه منكم ، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يميناوًعاث شمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا » قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال : **« أربعون يوماً ، يوم كسنة ، و يوم كشهر، و يوم كجمعة ، و سائر أيامه كأيامكم »** قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، اقْدُرُوا له قدره » قلنا : يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : " كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذُرًا ، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، - وهو كناية عن كثرة الخيرات - ثم يأتي القوم ، فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، - أصابهم المحل و هو قلة المطر و قلة الخير - ويمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، - أي يقسمه قطعتين و يجعلهما بعيدتين عن بعضهما - ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح

ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين ، - أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران - واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ ، فيقتله - الباب الشرقي لبيت المقدس - ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عباداً لي ، لا يدان لأحد بقتالهم ، - أي لا قدرة لأحد على مقاتلتهم - فحرز عبادي إلى الطور ، و يبعث الله **يأجوج ومأجوج** ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمُرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى و أصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، - دود يقتل المواشي - فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر و لا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، - أي كالمرآة - ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، - أي الجماعة - و يستظلون بقحفها ، ويبارك في الرّسْل ، - اللبن - حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، - المولودة الصغيرة من الإبل تكفي الجماعة - واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، - و هذا كله كناية عن كثرة الخيرات - فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن و كل مسلم ، و يبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة » [١] .

وجاء في الحديث الصحيح : عن ربعي بن حراش رضي الله عنه ، قال : انطلقتُ مع أبي مسعود الأنصاري إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم ، فقال له أبو مسعود : حَدِّثْنِي ما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الدجال ، قال : **« إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً ، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق ، وأما**

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٢٥٠ ، و غيره .

الذي يراه الناس ناراً ، فماءٌ باردٌ عذبٌ ، فمن أدركه منكم ، فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ » فقال أبو مسعود : وأنا قد سمعتُهُ [1] .

مبحث أ - للدجال أتباع كثيرون فكم يلبث في الأرض حتى يتكاثروا ؟

لا شك أنه لما يظهر الدجالون الكذابون ، و يعيثون في الأرض فساداً ، و ينسبون للدين ما ليس منه ، فاعلم أن الساعة قد اقترب وقتها ، و حان أجلها ، جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« يكون في آخر الزمان دجَّلون كذّ ابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ، ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ، ولا يفتنونكم »** [2] .

وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **« لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجَّلون كذّ ابون قريبٌ من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله »** [3] .

و **روى الإمام البخاري :** عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **« لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة ، - كما هو حال المسلمين اليوم - ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون ، قريباً من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله »** [4] .

و **جاء في رواية الإمام الترمذي :** عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »** [5] .

---

[1] متفق عليه ، و كما ورد أيضاً في كتاب : رياض الصالحين ، للإمام النووي ، ج ١ ص ٥٠٣ ، و رواية الإمام مسلم ، ج ٤ ص ٢٢٥٠ .
[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ١٢ .
[3] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٣٩ .
[4] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٠ .
[5] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٤٩٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

وهذا حاصل هذه الأيام ، فما أكثر دجَّالي هذا العصر ، و ما أكثر أتباعهم و أغباهم ، ففي كل يوم نسمع و نشاهد الكثير ممن ينتسبون لهذا الدين ومن أبناء جلدتنا ، و يتكلمون بلساننا ، ويفتون للناس و هم لا يعرفون كيفية الوضوء ، لا بل لا يعرف الواحد منهم كيف يستنجي ، و لكنه يقضي بين الناس ، و له أتباع يُقدِّسُونه ، و يتبادرون لتنفيذ أوامره ، دون أن يعرفوا شرعية ما يفعلون ، **و لا حول و لا قوة إلا بالله** .

و أما الفترة الزمنية لمكوث الدجال في الأرض فهناك روايتان :

١- **أربعين سنة** ، كما تقدم آنفاً من رواية الإمام : ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، و فيها : **« وإنَّ أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة ... »** . و لكن الحديث ضعيف كما قال أهل الحديث ، و يجب أن لا نأخذ به لأن الصحيح بين أيدينا موجود و موضح ، و إنما ذكرته لأبين ضعفه ، لأنه مشهور بين الناس ، و متداول على ألسنتهم .

٢- **أربعين يوماً** ، يوم كسنة ، و يوم كشهر ، و يوم كأسبوع ، و باقي أيامه كأيامكم ، كما ورد في صحيح الإمام مسلم و غيره : **« يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري : أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً ... »** [١] .

فكم يمكث الدجال في الأرض ؟

ويمكث الدجال في الأرض **أربعين** ، لا خير فيها و لا بركة ، تَمُرُّ مَرَّ السحاب على عُجَالةٍ، السَّنَةُ تَمُرُّ كالشهر لِسُرْعَتِهَا ، و الشهر يَمُرُّ بسرعته كالأسبوع ، و الأسبوع يَمُرُّ مسرعاً كاليوم لا بركة فيه و لا خير ، و اليوم يَمُرُّ كالشرارة ، أوكإشعال ورق الشجر في النار ، و يلقى المؤمنون منه شِدَّة شديدة ، كما جاء في الحديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون **السنة** كالشهر، **والشهر** كالجمعة ، وتكون **الجمعة** كاليوم، ويكون **اليوم** كالساعة ، وتكون **الساعة** كالضرمة بالنار » [٢] .

و **جاء في رواية الإمام مسلم :** إنه يمكث **(أربعين)** دون تحديد يوم أو شهر أو سنة ، فعن النعمان بن سالم رضي الله عنه ، قال : سمعتُ يعقوب بن عاصم بن

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٥٨ .

[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٥٦٧ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

عروة بن مسعود الثقفي ، يقول : سمعتُ عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل ، فقال : ما هذا الحديث الذي تُحَدِّثُ به ؟ تقول : إنَّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا ، فقال : سبحان الله ، أو : لا إله إلا الله - أو كلمة نحوهما - لقد هممتُ أنْ لا أحَدِّثَ أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلتُ : إنكم سَتَرَوْنَ بعد قليل أمراً عظيماً ، يُحَرَّقُ البيتُ ، ويكون ويكون ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال في أمتي فيمكث **أربعين** - لا أدري : **أربعين يوماً** ، **أو أربعين شهراً** ، **أو أربعين عاماً** ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيَطْلبُهُ فيُهْلِكُهُ ، ثم يمكث الناس **سبع سنين** ، ليس بين اثنين عداوة، ثم يُرْسِلُ الله ريحاً باردةً من قِبَلِ الشأم ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبَضتْهُ ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل - أي وسطه و داخله - لدخلته عليه ، حتى تقبضه » ، قال : سَمِعْتُهَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فيبقى شرارُ الناس في خِفَّةِ الطَّيْرْ وأحلامِ السباع ، - أي يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع المتعدية الباغية - لا يَعْرِفُوْنَ معروفاً ولا يُنْكِرُوْنَ منكراً، فيَتَمَثَّلُ لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دَارٌّ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، - أي في رغد من العيش و سعة - ثم يُنْفَخُ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى لِيْتَاً ورفع لِيْتَاً ، - الليت : هي صفحة العنق ، يعني أمال صفحة وجهه ليسمع - قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبِلِهِ ، - يُطَيِّنُهُ و يصلحه - قال : فيُصْعَقُ ، ويصعق الناس ، ثم يُرْسِلِ الله - أو قال ينزل الله - مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظل - الشك من الراوي نعمان والمقصود به ما يشبه المادة المنوية -فَتَنْبُتُ منه أجساد الناس ، ثم يُنفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال : يا أيها الناس هَلُمَّ إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسؤولون ، قال : ثم يقال : أخرجوا بعث النار، فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال فذاكَ يومَ يَجْعَلُ الولدانَ شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق » [١] .

حَدَّثَ عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، عن أبيه ، أنه سمع النواس ابن سمعان الكلابي ، رضي الله عنه ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع - أي بالغ في تقريبه واستعمل فيه كل فن من خفض

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٥٨ .

ورفع- حتى ظنناه في طائفة النخل - مكان قريب منهم توقعوا أنَّ الدجال وصل إليه - فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فسألناه فقلنا : يا رسول الله ، ذكرتَ الدجال الغداة ، فخفضتَ فيه ورفعتَ ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، قال : « غيرُ الدجال أخوفُ مني عليكم - أي أخوف مخوفاتي عليكم - فإن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، - أي أنا المدافع عنكم - وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه ، واللهُ خليفتي على كل مسلم ، إنه شابٌ جعد قطط ، عينه طافئة ، وإنه يخرج خَلَّة بين الشام ، والعراق - أي طريق بينهما - فعاث يميناًوشمالاً ، يا عباد الله اثبتوا » . قلنا : يا رسول الله ، ما لُبْثُهُ في الأرض ؟ قال : « **أربعين يوماً** : يوم كسنة ، ويوم كشهر، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي هو كسنة ، أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : « لا، اقْدُرُوا له قدره » ، قلنا : يا رسول الله ، فما إسراعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح » . قال : « فيمر بالحي فيدعوهم ، فيستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ، وتروح عليهم سارحتهم ، - ترجع آخر النهار- وهي أطول ما كانت ذرًا ، - أعلى سنام البعير - وأمَدُّهُ خَوَاصِرَ، - لكثرة امتلائها من الشبع - وأسْبَغُهُ ضُرُوْعَاً ، - لكثرة اللبن -ويَمُرُّ بالحي فيدعوهم ، فيردوا عليه قوله ، - أي يكذبونه - فَتَتْبَعُهُ أموالهم ، فيصبحون مُمْحِلِين — مُجْدِبينَ من المحل - ليس لهم من أموالهم شيءٌ، ويَمُرُّ بالخَرِبَة - أي الأرض الخراب - فيقول لها : أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل » - أي كجماعة النحل - قال : « ويأمرُ برجلٍ فَيُقْتَلُ ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جَزْلَتَيْن - أي قطعتين - رَمْيَةَ الغَرَض ، - أي يجعل بين الجزلتين مقدار رميته - ثم يدعوه فيقبل إليه ، يتهلل وجهه » ، قال : « فبينا هو على ذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين ، - أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران - واضعاً يده على أجنحة ملكين، فيتبعه ، فيدركه ، فيقتله عند باب لُدٍّ الشرقي » ، قال : « فبينا هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى بن مريم : إني قد أخرجتُ عباداً من عبادي ، لا يَدَانْ لك بقتالهم ، - أي لاقوة ولاقدرة ولاطاقة - فَحَرّزْعبادي إلى الطور، - أي اجمع المؤمنين - فيبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم كما قال الله :**حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ }** [1] ، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم نَغَفاً في رقابهم، - و هو دود يوجد في أنوف الإبل و البقر و الغنم - فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة،

[1] سورة الأنبياء ، آية / ٩٦ / .

فيهبط عيسى وأصحابه ، فلا يجدون في الأرض بيتاً إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم ، - أي رائحة لحمهم الكريهة - فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، قال ابن جابر : فحدثني يزيد بن عطاء السكسكي ، عن كعب ، أو غيره قال : « فتطرحهم بالمهبل » ، قال ابن جابر، فقلت : يا أبا يزيد ، وأين المهبل ؟ قال : « مطلع الشمس » ، قال : « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت ، مدر، ولا وبر أربعين يوماً ، - أي تنظف الأرض منهم - فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ، - أي كالمرآة لصفائها و نقائها - ويُقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، قال: فيومئذ يأكل النفر من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، - وهو مقعر قشرها . شبَّهَهَا بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ - ويُبَارَكُ في الرِّسْل ، - اللبن - حتى أن اللقحة - أي الناقة القريبة العهد بالنتاج الصغيرة - من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، - أي الجماعة الكثيرة - واللقحة من البقر تكفي الفخذ - والشاة من الغنم تكفي أهل البيت . قال : فبينا هم على ذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مسلم ، - أو قال: كل مؤمن - ويبقى شرار الناس ، يتهارجون تهارج الحمير، وعليهم ، - أو قال : وعليه - تقوم الساعة » [١] .

مبحث ب - لماذا لم يذكر الدجال صراحة في القرآن الكريم ؟

وهنا لا بد أن تظهر الحكمة في أن الدجال مع كثرة شَرِّهِ وفجوره ، وانتشار أمره ودعواه الربوبية ، وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء ، وقد حَذَّر منه جميع الأنبياء ، لم يُذْكَرْ في القرآن ويُحَذَّرْ منه ويُصَرَّحْ باسمهِ ويُنَوَّهْ بكذبهِ وعناده ؟

وخير من أجاب على هذا كله بالدليل و التفصيل ، هوالإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه : النهاية في الفتن و الملاحم ، ما نَصُّهُ : **(** أن الجواب يكون من عدة وجوه :

---

[١] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٥١٠ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** ، والإمام أحمد في مسنده ، ج ٢٩ ص ١٧٢ ، و اللفظ هنا له ، و الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٣٥٦ ، و الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٥٣٧ ، و قال : **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .**

أحدها : أنه قد أُشِيْرَ إلى ذكر الدجال في قوله تعالى : **{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }** [1] .

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسيرها : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنهم جميعاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل : **الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب** أو من مغربها » [2] .

الثاني : أنَّ نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة و السلام ، ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما عرفنا ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم نزوله في قوله تعالى : **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا }** [3] .

وقد تقرر في التفسير أن الضمير في قوله : **{ قَبْلَ مَوْتِهِ }** عائد على عيسى عليه الصلاة و السلام ، أي سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً ، فمِنْ مُدَّعٍ الإلهية كالنصارى ومن قائل فيه قولاً عظيماً ، وهو أنه وَلَدُ ريبة وهم اليهود ، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء .

<u>وعلى هذا :</u> فيكون ذكر نزول المسيح عيسى بن مريم إشارةً إلى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال وهو ضد مسيح الهدى ، ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر كما هو مقررٌ و معروفٌ .

الثالث : أنه لم يُذْكَرْ بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له ، حيث يدعي الإلهية وهو ليسر ينافي حالة جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص ، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يُذْكَرَ ، وأصغر وأدخر من أن يحكي عن أمر دعواه ويحذر، ولكن انتصر الرسل بجناب الرب عز وجل فكشفوا لأممهم عن أمره ، وحَذَّرُوْهُم ما

---

[1] سورة النحل ، آية / ١١١ / .

[2] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ١ ص ١٦٧ ، وقال : **هذا حديث حسن صحيح ، و قال الألباني : حديث صحيح .**

[3] سورة النساء ، آية / ١٥٧ - ١٥٨ -١٥٩ / .

معه من الفتن المضلة ، والخوارق المُضْمَحِلَّة ، فاكتفى بإخبار الأنبياء ، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام ، عن أن يذكرأمره الحقير ، بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم ، ووَكَلَ بيان أمره إلى كل نبي كريم .

فإنْ قلتَ : لقد ذكر الله فرعون في القرآن الكريم ، مع أنه ادعى ما ادَّعَاهُ من الكذب والبهتان حيث قال : **{أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ }** [١] ، وقال : **{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي }** [٢] .

أقول :- و الكلام ما زال للإمام ابن كثير - إنَّ أمرَ فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل ، وهذا أمر كائن فيما يُستقبل فتنةً واختباراً للعباد ، فترك ذكره في القرآن احتقاراً له ، وامتحاناً به، إذ الأمر في كذبه أظهر من أن ينبه عليه ويُحَذَّر منه ، وقد يترك الشيء لوضوحه ، فالدجال واضح الذَّمِّ ، ظاهرُ النقص بالنسبة إلى المقام الذي يدعيه وهو الربوبية ، فترك الله ذكره والنص عليه لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين ، أن مثل هذا لايهدهم ولا يزيدهم إلا إيماناً وتسليماً لله ورسوله صلى الله عليه و سلم ، وتصديقاً بالحق ، ورَدّاً للباطل ، ولهذا يقول ذلك المؤمن الذي يسلط عليه الدجال فيقتله ثم يحييه ، والله ما ازددتُ فيك إلا بصيرة. أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شِفَاهَاً) [٣] . انتهى كلام الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

و بالطبع هذا ليس حكماً قطعياً ، و ليس فيه دلالة واضحة ، لأنه وجهة نظر للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، نحترمها و نشيد بها ، و لكن ربما لا يكون فيها فائدة بهذا التفصيل كله ، لأنه لو كان كذلك لفصَّل الله لنا أمر الدجال تفصيلاً ، و لم يشر لنا به إشارة ، مع أنه لم يذكر في القرآن الكريم كله .

---

[١] سورة النازعات ، آية / ٢٤ / .

[٢] سورة القصص ، آية / ٣٨ / .

[٣] انظر كتاب : النهاية في الفتن و الملاحم ، للإمام المحدث : ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ١ ص ١٦٩ ، بتصرف.

مبحث ج - علامات الساعة بشكل عام كما وردت في الصحاح :

قال الله تبارك وتعالى :{ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ**} [١] ، و قال أيضاً : { **إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**} [٢] ، وقال أيضاً : { **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** } [٣] .

وهناك آيات قرآنية كثيرة جاءت تتحدث عن الساعة و أهوالها : { **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** } [٤] . و توعَّدَ الله تعالى المكذبين بالساعة عذاباً أليماً : { **بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**} [٥] .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم ، أن بعثته صلى الله عليه وسلم علامة من علامات الساعة ، ودليل على قرب قيامها ، حيث إنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده ، وقد دلَّتْ على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة عنه عليه الصلاة والسلام ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **بعثتُ أنا والساعة كهاتين** » [٦] - و أشار إلى أصبعيه - .

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » ، قال شعبة : وسمعتُ قتادة يقول في قصصه : « **كفضل إحداهما على الأخرى** » [٧] . فلا أدري أذكره عن أنس ، أم قاله قتادة - وضم السبابة والوسطى - .

فهذه الأحاديث وغيرها مما هو في معناها تدل على أن بعثته صلى الله عليه وسلم **أول أشراط الساعة** ، فهو خاتم النبيين وآخر المرسلين ولا نبي بعده ، وإنما يليه

---

[١] سورة الحج ، آية / ٧ / .
[٢] سورة غافر ، آية / ٥٩ / .
[٣] سورة القمر ، آية / ١ / .
[٤] سورة الحج ، آية / ٢ / .
[٥] سورة الفرقان ، آية / ١١ / .
[٦] رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١٠٦ .
[٧] رواه الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٦٨ . و الإمام أحمد في مسنده ، ج ٢١ ص ٣٦٥ .

قيام الساعة ، كما يلي في الأصابع السبابة الوسطى ، كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه و سلم في الأحاديث السالفة .

روى الإمام البخاري : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تقوم الساعة **حتى** تقتتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة ، **وحتى** يبعث دجالون كذابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، **وحتى** يقبض العلم وتكثر الزلازل ، **ويتقارب** الزمان ، **وتظهر** الفتن ، ويكثر الهرج : وهو القتل ، **وحتى** يكثر فيكم المال فيفيض حتى يَهم رب المال من يقبل صدقته ، **وحتى** يعرضه عليه ، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به ، **وحتى** يتطاول الناس في البنيان ، **وحتى** يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه ، **وحتى** تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس - يعني آمنوا – أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً، **ولتقومَنَّ** الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، **ولتقومَنَّ** الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، **ولتقومَنَّ** الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، **ولتقومَنَّ** الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » [1] .

و من علامات الساعة : انشقاق القمر .

كما قال الله تعالى :**{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْاآيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ }** [2] .

وقد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وكانت إحدى المعجزات الباهرات التي حصلت في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية .

جاء في الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : **« بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِنًى إذ انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا »** [3] .

---

[1] رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٥٩ .
[2] سورة القمر ، آية / ١ - ٢ / .
[3] رواه الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢١٥٨ ، و الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٣٩٧ .

ومنها **حديث** أنس رضي الله عنه : **« أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر »** [١] .

و من علامات الساعة : نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل بِبُصْرَى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : **« لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى »**[٢].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى : (خرجتْ في زماننا نارٌ بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت ناراً عظيمةً جداً ، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان ، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة) [٣] .

و من علامات الساعة : كثرة الفتن .

وقد جاءتِ السنة الصحيحة تدل على أن من علامات الساعة كثرة الهرج ، وهو القتل واللغط وظهور الفتن وانتشارها ونزولها في البلاد ، وكبر بلائها وهولها ، حتى يمسي المرء المسلم من شدة وقعها كافراً ، ويصبح مؤمناً ، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، وتجيء الفتنة تِلْوَ الأخرى ، فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتظهر أخرى، فيقول هذه هذه إلى أن يشاء الله ، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه ، وكلما طال الزمان بأهله وبعد بهم كانت الفتن أشدَّ ومصائبها أعظم ، كما شهدت بذلك نصوص الشرع الحنيف ، ودلّتْ عليه الحوادث والوقائع ، فعن الزبير بن عدي رضي الله عنه ، قال : **« أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقي من الحَجَّاج فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم »** [٤].

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٦ .
[٢] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٥٨ ، و الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٢٧ .
[٣] أشراط الساعة للشيخ عبد الله الغفيلي ، ج ١ ص ٥١ .
[٤] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٩ ، وذكره : الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين ، ج ١ ص ٦٤ ، و كذلك ورد في كتاب : أشراط الساعة للشيخ عبد الله الغفيلي ، ج ١ ص ٥٥ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه ، و منا من ينتضل ، ومنا من هو في جشره ، إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم ، وإنَّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن فيرقق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف فيقول المؤمن هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وْلِيَأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر، فدنوتُ منه ، فقلت له : أنشدك الله آنتَ سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه ، وقلبه بيديه ، وقال : «سمِعَتْهُ أذنَاي ، ووعاه قلبي » [١] .

و من علامات الساعة : خروج الدجالين الكذابين .

خروج الدَّجَّالين والكذّابين أدعياءُ النبوة من أمارات الساعة وأشراطها ، الذين يَدَّعُون النبوة ويثيرون الفتنة بأباطيلهم ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عدد هؤلاء قريبٌ من ثلاثين كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »** [٢] .

وقد تحققت ووقعت هذه الآية ، والعلامة من علامات الساعة ، فخرج كثير من أدعياء النبوة قديماً وحديثاً ، ولا يستبعد أن يظهر دجَّالون آخرون إلى أن يظهر الدَّجَّالُ الأعور الكذاب - نعوذ بالله من فتنته و شره - فقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : **« لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً ، كلهم يكذب على الله و على رسوله »** [٣] .

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٧٢ .
[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٣٩ .
[٣] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١٢١ ، **و قال الألباني : حديث حسن الإسناد** ، و ورد أيضاً في أشراط الساعة للشيخ عبد الله الغفيلي ، ج ١ ص ٥٧ .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون ، كلهم يزعم أنه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي »** [1] .

يقول الشيخ عبد الله الغفيلي في كتابه أشراط الساعة : **(** وقد ظهر من هؤلاء عدد كبير في الماضي ، فادَّعى النبوة في آخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الأسود العنسي في اليمن ، حيث كانت ردَّتُهُ أولَ ردة في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تَحَرَّك بمن معه من المقاتلين ، واستولى على جميع أجزاء اليمن ، وبعد أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث ، بعث برسالة إلى المسلمين هناك يحثهم فيها على الوقوف في وجهه ومقاتلته ، فاستجابوا لذلك وقتلوه في منزله بمعاونة زوجته التي تزوجها قسراً بعد أن قتل زوجَها ، وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله ، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه ، وقد دامت فترة ملك هذا الكذاب من حين ظهوره إلى أن قُتِل ثلاثة أشهر ، وقيل أربعة أشهر **)** [2] .

و من علامات الساعة : أن تَلِدَ الأمة رَبَّتَهَا ، و أن ترى الحفاةَالعراةَ العالة رعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان .

ولادةُ الأَمَةِ رَبَّتَهَا وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان من علامات الساعة التي ظهرت ، وأخبر عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الأمة الرقيقة تلدولداً يكون له السيادة عليها و على الناس ، ويتفاخر الناس بالبنيان الشاهق ، وزخرفة البيوت بعد أن كانوا حفاة عراة ، يعيشون في خيام الشعر ويرعون الشياه والبعير، كما دَلَّ على ذلك الحديث المشهور عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة ، « قال له جبريل عليه السلام : فأخبرني عن الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما المسؤول

---

[1] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٤٩٩ ، و قال : هذا حديث صحيح ، **و قال الألباني : حديث صحيح.**
[2] أشراط الساعة للشيخ عبد الله الغفيلي ، ج ١ ص ٥٨ .

عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » [1] .

ومضمون ما ذُكِر من أشراط الساعة في هذا الحديث هو أن تنقلب الموازين ، وتصبح الأمور في غير محلها اللائق بها ، كأن يصبح الولد سيداً ومولى لأمه ، ويحدث هذا عندما يتسع الإسلام ، ويكثر السراري - الإماء - ، ويتخذ الناس السراري ويكثر منهن الأولاد ، فيكون الرجل من أَمَتِه في معنى السيد لأمِّهِ ، إذا كانت مملوكة لأبيه ، وملك الأب راجع إلى الولد ، وكذلك ابنتها ؛ لأنها في الحَسَبِ كأبيها . وكذلك بالنسبة للحفاة العراة رعاء الشاء ، أهل الجهل والجفاء ، عندما تَخْتَلُّ الموازين بكثرة الأموال بين أيديهم ، يصبحون هم رؤوس الناس ، فيتطاولون في البنيان ويتنافسون على وجه التفاخر والخيلاء ، في زخرفة العمارات وعدد أدوارها بعد أن كانوا أهل تنقل وترحال لا تستقر بهم دار .

و من علامات الساعة : قَبْضُ العلم وظهور الجهل .

قَبْضُ العلم وظهور الجهل من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إن بين يدي الساعة لأيَّامَاً يَنزل فيها الجهل ، ويُرفع فيها العلم ، ويَكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل »** [2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، و يثبت الجهل ، و يشرب الخمر، و يظهر الزنا »** [3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : لأُحَدِّثَنَّكُمْ حديثاً لا يُحَدِّثُكُمُوْهُ أحد بعدي ، سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، سمعتُ النبي صلى الله عليه و سلم يقول : **« لا تقوم الساعة » وإما قال : « من أشراط الساعة ، أن يرفع العلم ، ويظهر**

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ٣٦ .
[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٨ .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ١ ص ٢٧ .

الجهل ، ويُشْرب الخمر، ويظهر الزنا ، ويقِلَّ الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القَيِّمُ الواحد » [1] .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :
« يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويُلْقَى الشُّحُّ ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهَرْجُ ، قالوا : يا رسول الله ، أيُّمَ هوَ؟ ، قال : القتلُ القتلُ » [2] .

و من علامات الساعة : تكليم السباع والجماد للإنس .

تكليم السباع والجماد للإنسان ، هو من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وإخبارُ فخذ الرجل بما يُحْدِثُ أهلُه بعده ، وكلامُ النعل والسوط لصاحبهما .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : **« صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل على الناس فقال : " بَيْنَا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نُخْلَقْ لهذا ، إنما خلقنا للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تَكَلَّمُ ؟ فقال : فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثَمَّ ، - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب ، فذهب منها بشاة ، فطلب حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب يا هذا : استنقذتَها مني فمن لها يوم السَّبُعِ؟ يوم لا راعي لها غيري " ! فقال الناس : سبحان الله ! ذئب يَتَكَلَّمُ ؟ قال : فإني أومن بهذا أنا و أبو بكر و عمر و ما هما ثَمَّ »** [3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : **« عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذَنَبِهِ ، قال : ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ ، فقال : يا عجبي ! ذئب مُقْعٍ على ذَنَبِهِ يكلمني كلام**

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١٦٤ .
[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٨ .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٤ ص ١٧٤ .

الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فَزَوَاْهَا إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاةُ جامعةٌ ، ثم خرج ، فقال للراعي : " أخبرهم " ، فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صَدَقَ ، والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلمَ الرجلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وشِرَاك نعله ، ويخبره فَخِذُهُ بما أحْدَثَ أهلُه بعده » [1] .

و من علامات الساعة : قطيعةُ الأرحام و سوءُ الجوار و حكم الرويبضة .

قطع الأرحام وسوء الجوار وظهور الفساد و الفحش ، من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن الأحاديث الدالة على ذلك : ما رواه الإمام ابن ماجه في سننه ، عن أبي بكرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أن يُعَجِّلَ الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة ، من البغي ، وقطيعة الرحم »** [2] .

و جاء في الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدَّقُ فيها الكاذب ، ويُكَذَّبُ فيها الصادق ، ويُؤتمنُ فيها الخائن ، ويُخوَّنُ فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة » ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : « الرجل التافه في أمر العامة »** [3] .

وقد حصل كل ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وها هو قد ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبتْ أيدي الناس ، وكما نرى اليوم قطيعة الأرحام، وسوء الجوار حاصلاً بين الناس ، وحلَّ التباغض والتنافر بينهم مَحَلَّ المحبة والصلة

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده ، ج ١٨ص ٣١٥ ، و قال الإمام ابن كثير في البداية و النهاية : وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقي ، ج ٦ ص ١٥٨ ، **و قال الألباني : إسناده صحيح و رجاله ثقات .**

[2] رواه الإمام ابن ماجه ، ج ٢ ص ١٤٠٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[3] رواه الإمام ابن ماجه ، ج ٢ ص ١٣٣٩ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

والمودة ، حتى إن الجار لا يعرف جاره ، والقريب لا يعرف عن بعض أرحامه و أقربائه شيئاً ، و هل هم من الأموات أم من الأحياء ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، مع أن الله تعالى حذَّرنا من خلال الكتاب والسنة من قطيعة الرحم ، وأن ذلك يكون سبباً للعنةِ والحرمان من دخول الجنة ، كما قال الله تعالى : **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ }** [١] .

وجاء في الحديث عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **« لا يدخل الجنة قاطع رحم »** [٢] .

و من علامات الساعة : كثرة الزلازل وظهور الخسف والقذف والمسخ .

كثرة الزلازل ، وظهور الخسف ، والقذف ، والمسخ الذي يعاقب الله به بعض هذه الأمة من علامات الساعة وأماراتها التي أخبر عنها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقد دلَّتْ على هذا الأحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل »** [٣] .

وقد حصل ذلك و كَثُرَ في عصرنا الحاضر في أماكن متعددة من العالم ، وهذا مصداقٌ لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« يكون في آخر هذه الأمة خسف ، ومسخ ، وقذف " قالت : قلتُ : يا رسول الله ، أنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم ، إذا ظهر الخَبَثُ »** [٤] . و هل هناك خبث أكثر من الذي نحن فيه اليوم !

جاء في الحديث : عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف »** ، **فقال رجل من**

---

[١] سورة محمد صلى الله عليه و سلم ، آية / ٢٢ -٢٣ /

[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٩٨١ .

[٣] رواه : الإمام البخاري و غيره في صحيحه ، ج ٢ ص ٣٣ .

[٤] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٤٧٩ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** ، وكما ورد أيضاً في فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام العسقلاني ، ج ٨ ص ٢٩٢ .

المسلمين : يا رسول الله ، ومتى ذاك ؟ قال : « إذا ظهرت القَيْنَاتُ و المعازِفُ و شُرِبَتْ الخمورُ » [1] .

و من علامات الساعة : خروج المهدي .

خروج المهدي من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ، والذي يخرج في آخر الزمان ، ويلي أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها ، و هو من ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، و صلى و سلم على أبيها .

والمهدي : رجل يخرج في زمن يكثر فيه الظلم و الطغيان ، فيحكم بالإسلام ويملأ الأرض عدلاً بعد أنْ مُلِئَتْ جَوراً وظلماً ، تنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها قط .

و من اسمه تعرفونه و تعرفون عمله ، فلكل اسم من مُسَمَّاهُ نصيب ، و المهدي مأخوذ من الهدى و الهداية و الرشاد . و هذا ما أكده النبي صلى الله عليه و سلم عندما أوصى أمته أن يتبعوا الخلفاء الراشدين المهديين ، فقال : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » [2] .

وصف المهدي كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« المهدي مِنِّي ، أجْلَى الجبهة** ، - أي ليس على جبهته شعر نازل ، لأن شعره مرفوع على رأسه - **أقنى الأنف** ، - أي أنفه طويل و دقيق و مرتفع من الوسط - **يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئَتْ جوراً وظلماً ، يملك سبع سنين »** [3] .

ويخرج المهدي في زمان ساد فيه الجَوْرُ والظلم ، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة ، حيث يسقيه الله الغيث فتمطر السماء كثيراً ، لا تدخر السماء شيئاً من قطرها ، وتؤتي الأرض أكلها لا تدخرعن الناس شيئاً من نباتها ، وتكثر المواشي بسبب الخيرات ، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية ، كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن

---

[1] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٤٩٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**
[2] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ١٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**
[3] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١٠٧ ، **و قال الألباني : حديث حسن .**

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتُخْرِجُ الأرض نباتها ، ويُعْطي المالَ صِحَاحاً ، و تكثر الماشية ، و تَعْظُمُ الأمة ، يعيش سبعاً ، أو ثمانياً ، يعني حججاً »** [١] .

و يكون خروج المهدي **قبل** نزول نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام على أظهر الأقوال ، ويصلي نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام مقتدياً بالمهدي في بيت المقدس ثم يخرجان لقتل الأعور الدجال ، و القضاء عليه و على شره [٢] .

و من علامات الساعة : نزول نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام .

قال الله تعالى و هو يخبرنا عن نزول نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، و أنه علامة من علامات الساعة :**{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }** [٣] ، و جاء في قراءة **{وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ }** بفتح العين و اللام ، أي: خروجه علم من أعلام الساعة وشرط من شروطها وأمارة على قرب قيامها [٤] .

و مع ذلك فعندما ينزل من السماء ، على المنارة البيضاء ،يكون تابعاً لتشريع الدين الإسلامي، ويحكم بكتاب الله عز وجل القرآن الكريم ، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يقضي على كل الشرائع التي تحكم الناس سوى الإسلام ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، فإن شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها ، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، قال الله تعالى**{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ }** [٥] .

---

[١] رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، ج ٤ ص ٦٠١ ، و قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، و قال عنه الإمام الذهبي : **حديث صحيح** ، ج ٤ ص ٦٠١ ، **و قال الألباني : إسناده صحيح و رجاله ثقات .**

[٢] انظر كتاب : الصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال و الزندقة ، للإمام ابن حجر الهيتمي ، ج ٢ ص ٤٨٠ .

[٣] سورة الزخرف ، آية / ٦١ / .

[٤] كما جاء في كتاب : أشراط الساعة ، ج ١ ص ١١١ .

[٥] سورة آل عمران ، آية / ١٨ / .

جاء في الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ليس بيني و بينه نبي - يعني عيسى - و إنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين مُمَصَّرَتَيْن ،** - أي ثيابه فيها صفرة خفيفة - **كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيَدُقُّ الصليب ، ويقتل الخنزير، و يضع الجزية ، و يهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، و يهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون** » [1] .

وجاء في فتح الباري : أنه يتزوج في الأرض ، و يعيش فيها تسع عشرة سنة ، ثم يُتَوَفَّى ، و يدفنه المسلمون بعد أن يصلوا عليه ، و الله تعالى أعلم .

و من علامات الساعة : ظهور الأعور الدجال .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة مكثه في الأرض بعد خروجه ، وأن قتله يكون على يد نبي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، كما تقدم في الأحاديث السابقة ، والتي تبين شدة فتنته وهول محنته ، وبلاء الناس به ، وبما يجري على يديه من علامات الساعة العظيمة ، وأشراطها الجسيمة ، وقد بينا وصفه و أفعاله من خلال إيراد الأحاديث النبوية في شأنه والخبر عنه ، والتحذير منه ، وذكرنا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ في صلاته من فتنة المسيح الدجال وشره .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه ، إذ حادتْ به فكادت تلقيه ، وإذا أَقْبُرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعةٌ - قال : كذا كان يقول الجريري - فقال : « **من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟** » فقال رجل : أنا ، قال : « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا في الإشراك ، فقال : « **إنَّ هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا ، لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه** » ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : «**تَعَوَّذُوا بالله من عذاب النار** » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار، فقال : « **تعوذوا بالله من عذاب القبر**»

[1] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١١٧ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر، قال : **« تعوذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن »** قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : **« تعوذوا بالله من فتنة الدجال »** قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال [١] .

و من علامات الساعة : هلاك يأجوج ومأجوج .

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان عند كثرة الفساد و الفتن ، من علامات الساعة الكبرى التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما يَقتل نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام الأعور الدجال ، و يقضي عليه و على وفتنته ، يُفْسِدُ هؤلاء القوم في الأرض فساداً كبيراً ، كما أخبر القرآن الكريم بذلك في سورة الكهف : **{ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ }** [٢] ، فيتضرع نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيُهلكهم شرَّ هلكة ، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد على قيد الحياة .

وقد ورد في خبرهم : أنه لا قدرةَ لأحدٍ على قتالهم من كثرتهم ، و أن ذا القرنين لما استغاث به الناس منهم و من شرهم ، بنى عليهم السدَّ ، و حبسهم خلفه ، و هم ما يزالون داخله ، إلى أن يأذن الله لهم بالخروج فيخرجوا ، و ذلك عند مقتل الأعور الدجال ، ثم إنهم يحاصرون نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام و المهدي ، ومن معهما من المؤمنين الذين نجوا من الدجال و قتلوه ، و قضوا عليه و على فتنته ، فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنغف - وهو دود في رقابهم - فَيُؤْذُون الأرض والمؤمنين بكثرة جُثَثِهِم ، و نَتْن ريحهم ، فيدعو نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام هو وأصحابه ربهم فيرسل الله طيراً فتحملهم حيث شاء الله ، وقد بنى ذو القرنين سَدَّ يأجوج ومأجوج ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم ، كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم بالقصة ، فقال جلَّ شأنه **{ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ**

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢١٩٩ .

[٢] سورة الكهف ، آية / ٩٤ / .

سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } [١] .

و سيأتي الحديث عنهم مفصلاً في الباب الخامس : فتنة الملك و السلطان و الحكم ، الفصل الثاني .

و من علامات الساعة : طلوع الشمس من مغربها .

وهو ثابت في الكتاب و السنة و الإجماع ، كما أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم عندما قال جلَّ شأنه: **{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ}** [٢] .

ونقل الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة ، عن أبي جعفرقوله : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، ما تظاهرتْ به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« ذلك حين تطلع الشمس من مغربها »** [٣] .

وجاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنَ مَنْ عليها ، فذاك حين : {لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ }** [٤] **»** [٥] .

وجاء في الحديث الصحيح أيضاً : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيْءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسِيْءُ الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها »**[٦].

وجاء أيضاً في الحديث الصحيح عن زر بن حُبَيْش ، قال : أتيتُ صفوان بن عسال المرادي ، أسأله عن المسح على الخفين ، فقال : ما جاء بك يا زر ؟ فقلت : ابتغاء العلم ، فقال : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب ، فقلت :

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٩٤ - ٩٥ / .
[٢] سورة الأنعام ، آية / ١٥٨ / .
[٣] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، ج ١٢ ص ٢٦٦ .
[٤] سورة الأنعام ، آية / ١٥٨ / .
[٥] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ٥٨ .
[٦] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢١١٣ .

إنه حَكَّ في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول ، وكنتُ امرأً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجئت أسألك هل سمعته يذكر في ذلك شيئاً ، قال : نعم ، كان يأمرنا إذا كنا سفراً أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن من غائط وبول ونوم ، فقلت : هل سمعته يذكر في الهوى شيئا ؟ قال : نعم ، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحوٍ من صوته هَاؤُم وقلنا له : ويحك اغْضُضْ من صوتك فإنك عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهيتَ عن هذا ، فقال : والله لا أغضض . قال الأعرابي : المرء يحب القوم ولمَّا يلحق بهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : **« المرء مع من أحب يوم القيامة »** ، **فما زال يحدثنا حتى ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة عرضه ، أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً ، قال سفيان : قبل الشام خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحا - يعني للتوبة - لا يغلق حتى تطلع الشمس منه** [1] .

و من علامات الساعة : خروج الدابة لتُكَلِّمَ الناس .

قال الله تعالى **{ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ }** [2] . وإذا وجب العذاب عليهم و الغضب ؛ لتماديهم في المعاصي والطغيان ، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه ، حين يتركون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، حتى صاروا من شرار الناس ، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى ، وهي : **" الدابة "** ، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث و الحساب و لقاء الله تعالى ، كانوا لا يصدقون ولا يعملون بالقرآن ولا بدين محمد صلى الله عليه وسلم .

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال : « ما تذاكرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة ، قال : **« إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** - فذكر - **الدخان ، والدجال ، والدَّابَّة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، ويأجوج ومأجوج،**

---

[1] رواه : الإمام الترمذي و غيره في سننه ، ج ٥ ص ٥٤٥ ، و قال : **هذا حديث حسن صحيح** ، و **قال الألباني : حديث حسن** ، و أورده الإمام النووي في كتاب : رياض الصالحين ، ج ١ ص ٣٥ .

[2] سورة النمل ، آية / ٨٢ / .

وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم » [1] .

قال المفسرون : هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا ، و قال البعض : هي الجساسة نفسها التي ورد ذكرها عن المسيح الدجال في صحيح الإمام مسلم .

و **قال البعض :** هي فصيل ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة و السلام ، عندما عقروا أمها هربتْ و دخلتْ الصخرة لتخرج في آخر الزمان فتطبع على جبين الناس ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجيء إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ويكتب بين عينيه كافر ، وتمسح على جبين المسلم غرّة فتسمه فتنير وجهه ، فيعيش الناس زماناً يقول هذا : يا مؤمن ، وهذا : يا كافر [2] .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٢٥ .

[2] انظر كتاب : جامع البيان في تأويل القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، ج ١٩ ص ٤٩٧ ، بتصرف .

الباب الثاني

فتنـة الـديـن . . .

الفصل الأول : افتتان المرء بدينه ، و الصبر على الأذى .

مبحث أ - حكم الخروج من البلد التي يحارب فيها أهل الدين و يفتتنون .

مبحث ب - ثبات المؤمن عند الفتنة و الامتحان .

مبحث ج - هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة الكرام .

مبحث د - كلمة الحق عند سلطان جائر .

الفصل الثاني : الحكم و الحكام

مبحث أ - حكم الخروج على الحكام .

١ - حكم الخروج على الحاكم المسلم .

٢ - حكم الخروج على الحاكم الفاسق .

٣ - حكم الخروج على الحاكم الكافر .

مبحث ب - صفـات الحاكـم الذي يجـب أن يطـاع أمره و لا يُخرج عليه .

مبحث ج - الحاكم مرآة عن رعيته و كما يكونـون يولى عليهم .

الباب الثاني

فتنـة الـديـن . . .

تكررت كلمة الفتنة في القرآن الكريم كثيراً ، و في كل مرة يكون لها معنى مختلفاً عن الآخر ، فمرة أطلقت و أريد بها الكفر و الإشراك بالله ، و مرة أطلقت و أريد بها النفاق و المنافقون ، و مرة أطلقت و أريد بها الامتحان و الاختبار و الابتلاء، ومرة أطلقت و أريد بها الضلال ، ومرة أطلقت و أريد بها الجزاء و العقوبة ، ومرة أطلقت و أريد بها غير ذلك . وهذا أنموذج لبعض المعاني التي وردت في معنى كلمة (**الفتنة**) في القرآن الكريم :

فقد وردت كلمة : **الفتنة** في آيات كثيرة من القرآن الكريم و أريد بها : الكفر والإشراك بالله تعالى ، كما في قوله تعالى : **{ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }** [(١)] . أي : كُفرُكُمْ بالله تعالى و الإشراك به وصَدُّكم عن الإسلام ، هو أشد وأكبرُ من قتالنا أولئك الكفار في المسجد الحرام ، كما جاء في الآية الثانية بلفظ :**أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** .

فمِنْ أكبر الذنوب عند الله تعالى الكفر به جلَّ و علا ، " و الفِتنةُ أشدُّ من القتل " و كذلك " الفتنةُ أكبرُ من القتل " ومعنى هذا كله هو : أن الشِرْك أشدُّ و أكبر منَ القتل ، كما قال الله تعالى : **{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }** [(٢)] ، وقال تعالى : **{ والكافِرونَ هُم الظّالمونَ }** [(٣)] ، فيكون : أكبرُ الظُّلمِ هوَ الكفرُ بالله تعالى ، وليس معناهُ أنَّ مُجَرَّدَ الإفسادِ بينَ اثنين أشَدُّ منْ قَتل المسلِمِ ظلمًا ، وليسَ هذا معناه كما يفهمه الكثير من الناس، و كما في قوله تعالى : **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ**

[(١)] سورة البقرة ، آية / ١٩١ / .
[(٢)] سورة لقمان ، آية / ١٣ / .
[(٣)] سورة البقرة ، آية / ٢٥٤ / .

عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [١] .

وقال الله تعالى أيضاً :{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } [٢] . أي : استمروا أيها المؤمنون في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله ، ويبقى الدين لله وحده خالصًا لا يُعْبَد معه غيره . فإن كفُّوا عن الكفر والقتال فكُفُّوا عنهم .

وقال أيضاً :{ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } [٣] . مضوا في شهواتهم و ملذاتهم، وعمُوا عن الهدى فلم يبصروه ، وصَمُّوا عن سماع الحقّ فلم ينتفعوا به ، فأنزل الله بهم بأسه ، فتابوا فتاب الله عليهم ، ثم عَمِي كثيرٌ منهم، وصمُّوا ، بعدما تبين لهم الحقُّ، والله بصير بأعمالهم ، و سيجازيهم على أفعالهم .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الامتحان و الاختبار و الابتلاء ، كما في قوله تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ } [٤] . وما جعلنا ذلك العدد إلا اختبارًا للذين كفروا بالله ؛ وليحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأنَّ ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، لأنه وافق ذلك كتبهم ، ويزداد المؤمنون تصديقًا بالله ورسوله ، ولا يشك في ذلك الذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى و لا المؤمنون بالله و رسوله ؛ وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون : ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب ؟ فهنا اختبار و ابتلاء .

---

[١] سورة البقرة ، آية / ٢١٧ / .
[٢] سورة البقرة ، آية / ١٩٣ / .
[٣] سورة المائدة ، آية / ٧١ / .
[٤] سورة المدثر ، آية / ٣١ / .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الضلال ، كما في قوله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** [1] . إنَّ هؤلاء المنافقين واليهود الذين لم يُرِدِ الله أن يطهّر قلوبهم من دنس الكفر، لهم الذلُّ والفضيحة في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، لأنهم هم من اختار طريق الضلال و الغواية .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الجزاء و العقوبة ، كما في قوله تعالى: **{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ }** [2] . أي جزاء لهم ، و عقوبة على اعتقادهم الكفر و اختيارهم له .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها المحنة و البلاء و الشر و العذاب ، كما في قوله تعالى : **{ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** [3] . فليَحْذَرِ الذين يخالفون أمر رسول الله أن تنزل بهم محنة وشر، أو يصيبهم عذاب مؤلم موجع في الدنيا والآخرة .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الاختبار و الابتلاء ، كما في قوله تعالى : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا }** [4] . أي جعلنا بعضكم لبعض ابتلاءً واختبارًا بالهدى والضلال ، والغنى والفقر، والصحة والمرض ، هل تصبرون ، فتقوموا بما أوجبه الله عليكم ، وتشكروا له ، فيثيبكم الله و يأجركم ، أو لا تصبرون ، فتستحقوا العقوبة ؟ وكان ربك بصيرًا بمن يجزع أو يصبر، وبمن يكفر أو يشكر .

---

(١) سورة المائدة ، آية / ٤١ / .

(٢) سورة الصافات ، آية / ٦٣ / .

(٣) سورة النور ، آية / ٦٣ / .

(٤) سورة الفرقان ، آية / ٢٠ / .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الإحراق بالنار ، كما في قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}** [١] . أي : إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله ، ثم لم يتوبوا ، فلهم في الآخرة عذاب جهنم ، ولهم العذاب الشديد المحرق ، جزاءً وفاقاً لما فعلوه بالمؤمنين .

ومرة أطلقت كلمة " **الفتنة** " و أريد بها الجنون ، كما في قوله تعالى: **{بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ}** [٢] . أي : عن قريب سترى يا رسول الله ، من هو المفتون المجنون ، و سيرى المشركون هذا واضحاً لديهم ، وهكذا في بقية الآيات .

وعليه فإن معاني الفتنة في القرآن الكريم و السنة هي :

الابتلاء و الاختبار ، و الشرك و الكفر ، و الصد عن سبيل الله ، و العذاب ، والوقوع في المعاصي و النفاق ، و القتل و الأسر ، و اشتباه الحق بالباطل ، و الجنون ، والحرق بالنار ...

علماً بأن الإسلام الحنيف اعتنى بحفظ الضروريات الخمس التي اتفقت عليها الشرائع السماوية كلها ، و قامت على حفظها ، وهي :

حفظ الدين ، و حفظ النفس ، و حفظ العقل ، و حفظ العرض ، و حفظ المال . واعتبر الإسلام التعدي عليها جناية وجريمة تستلزم عقاباً مناسباً ، وبحفظ هذه الضروريات و الكليات الخمس يسعد المجتمع ، ويطمئن كل فرد فيه ، و يعيش بسعادة و أمان .

---

[١] سورة البروج ، آية / ١٠ / .

[٢] سورة القلم ، آية / ٦ / .

تأمُّلات و نَظَرَات في الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف ؛ التي تحدثت عن الفتية الذين آمنوا بربهم ، و زادهم الله هدىً عندما حاول قومهم أن يفتنوهم عن دينهم ، و يعيدوهم إلى الكفر و الضلال .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا * وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ

وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [1] .

بين يدي الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف :

﴿ ٩ ﴾ هل كنتَ تظن يا رسول الله أن قصة أصحاب الكهف واللوح الذي كُتِبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة ؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجب من ذلك بكثير .

﴿ ١٠ ﴾ واذكر للناس يا رسول الله حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف ؛ خشية من فتنة قومهم لهم ، وإرغامهم على عبادة الأصنام ، فقالوا : ربنا أعطنا مِن عندك رحمة ، تثبتنا بها ، وتحفظنا بها من كل شر، ويسِّر لنا الطريق الصحيح الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحبه و ترضاه ، فنكون راشدين غير ضالين ، و لا مضلين .

﴿ ١١ ﴾ ألقينا عليهم النوم العميق ، فبقوا في الكهف سنين كثيرة .

﴿ ١٢ ﴾ ثم أيقظناهم مِن نومهم ؛ حتى يرى كل الناس علم الله و قدرته ؛ فتتميَّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء ، وما لبثوه من مدة اختفائهم عن عيون الناس في نومهم ، يومًا أو بعض يوم ، أو مدة طويلة .

﴿ ١٣ ﴾ نحن نقصُّ عليك يا رسول الله خبرهم بالصدق كما وقع و حصل . إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره ، وزِدْناهم هدى وثباتًا على الحق .

﴿ ١٤ ﴾ وقوَّينا قلوبهم بالإيمان ، وشددنا عزيمتهم به ، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له : ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض ، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولاً جائرًا بعيدًا عن الحق فيه الشطط .

﴿ ١٥ ﴾ ثم قال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا اتخذوا لهم آلهة غير الله ، فهلا أتَوْا على عبادتهم لتلك الآلهة بدليل واضح ، فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب بنسبة الشريك إليه في عبادته سبحانه و تعالى .

﴿ ١٦ ﴾ وأنتم أيها الفتية عندما اعتزلتم قومكم و فارقتموهم فارّين بدينكم ، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله ، فالجؤوا إلى الكهف داخل الجبل لعبادة ربكم

---

[1] سورة الكهف ، آية / من ٩ إلى ٢٦ / .

وحده ، يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب المعيشة و الحياة المؤقتة .

﴿ ١٧ ﴾ ودخلوا الكهف و ألقى الله عليهم النوم وحَفِظهم . ولوترى كيف تطلع الشمس عليهم من المشرق بحيث تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين ، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في مُتَّسَعٍ من الكهف ، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء ، و ما ذلك إلا دلالة على قدرة الله تعالى . فمن يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق ، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق ؛ لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده لا شريك له .

﴿ ١٨ ﴾ ولو نظرت إلى أهل الكهف تظنهم أيقاظًا ، وهم في الواقع نيام ، ونتعهدهم بالرعاية ، فنُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض ، وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف ، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا ، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا .

﴿ ١٩ ﴾ وبما أننا استطعنا أن نحفظهم عن أعين الناس و هم نائمون كل هذه المدة ، و نتركهم على هيئتهم دون تغيُّر ، فنحن قادرون على إيقاظهم من جديد ؛ لكي يسأل بعضهم بعضًا : كم من الوقت مكثنا نائمين هنا ؟ فقال بعضهم : مكثنا يوماً أو بعض يوم ، وقال آخرون بعد أن التبس عليهم الأمر: فَوِّضوا عِلْم ذلك لله ، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه ، فأرسِلوا أحدكم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا فلينظر : أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا ؟ فليأتكم بقوْتٍ منه ، وليتلطف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف ، ويظهر أمرنا ، ولا يُعْلِمَنَّ بكم أحدًا من الناس .

﴿ ٢٠ ﴾ إن قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة ، فيقتلوكم ، أو يردوكم إلى دينهم ، فتصيروا كفارًا ، ولن تفوزوا بمطلبكم بدخول الجنة أبدًا إن عدتم إلى ملة قومكم وأهليكم .

﴿ ٢١ ﴾ وقصة نومهم واختفائهم وغيابهم سنين كثيرة ، وإيقظاهم بعدها ، أطْلَعنا عليهم أهل ذلك الزمان و أعلمناه بخبرهم ، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم ؛ ليعلم الناس أنَّ وَعْدَ الله بالبعث حق ، وأن القيامة آتية لا شك فيها ، إذ يتنازع المطَّلِعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمِن مُثْبِتٍ لها ومِن مُنْكِر، فجعل الله إطْلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين . وبعد أن انكشف أمرهم ، وماتوا قال فريق من المشاهدين للحدث : ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم ،

واتركوهم وشأنهم ، ربهم أعلم بحالهم ، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم : لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة . و هذا الحكم كان في الشرائع التي كانت قبلنا ، و أما في تشريع أمتنا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَن فَعَلَ ذلك في وصاياه لأمته عليه الصلاة و السلام .

﴿ ٢٢ ﴾ سيقول بعض المطلعين على قصتهم و خبرهم من أهل الكتاب : هم ثلاثةٌ ، رابعهم كلبهم ، ويقول فريق آخر : هم خمسة ، سادسهم كلبهم ، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل ، ويقول آخرون : هم سبعة ، وثامنهم كلبهم ، قل أنتَ للناس يا رسول الله : ربي هو الأعلم بعددهم ، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه . فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالاً ظاهرًا لا عمق فيه ، بأن تَقُصَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب ، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم ؛ فإنهم لا يعلمون ذلك .

﴿ ٢٣ ﴾ ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله : إني فاعل ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة ، فتقول : إن شاء الله .

﴿ ٢٤ ﴾ واذكر ربك عند النسيان بقول : إن شاء الله ، وكلما نسيت فاذكرالله ؛ فإن ذِكْرَ الله يُذهِب النسيان ، وقل : عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد .

﴿ ٢٥ ﴾ ومكث الشُّبَّان نيامًا في كهفهم ثلاثمائة ، سنة على حساب السنة الشمسية وتسع سنين زيادة ، على حساب السنة القمرية .

﴿ ٢٦ ﴾ وإذا سُئلتَ يا رسول الله عن مدة لبثهم في الكهف ، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله ، فلا تتقدم فيه بشيء ، بل قل لهم : الله أعلم بمدة لبثهم ، له غيب السموات والأرض، أَبْصِرْ به وأسمع ، أي : تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء ، فليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه ، سبحانه وتعالى .

الفصل الأول

افتتان المرء بدينه ، و الصبر على الأذى :

و بعد أن تعرفنا على معاني كلمة " **الفتنة** " من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، لا بد لنا أن نرى أنموذجاً من الناس الذين افتُتِنُوا بدينهم ، فصبروا و تحملوا أذى الكافرين و الظالمين الطغاة ، فمنهم من قضى نحبه أثناء افتتانه شهيداً صابراً محتسباً ، حتى ينال رضوان الله تعالى ، لأنه من أعظم الشهداء عند الله تعالى ، و أفضل الجهاد في سبيل الله جلَّ و علا ، كما جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجلٌ قال - و في رواية قام - إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »** [1] .

وكما جاء في الحديث الصحيح : عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : عَرَضَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ عند الجمرة الأولى ، فقال : يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ فسكتَ عنه ، فلما رمى الجمرة الثانية ، سأله ، فسكت عنه ، فلما رمى جمرة العقبة ، وضع رجله في الغرز ليركب ، قال : « أين السائل ؟ » قال : أنا ، يا رسول الله ، قال : « **كلمة حق عند ذي سلطان جائر** » [2] .

فالتعريف في الفتنة ليس تعريف العهد ، إذ لا معهود هنا ، ولكنه تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرف في جنسه ، أي في الفتنة العظيمة ، فأي وجه فرض في المراد من الفتنة حين قال قائلهم : **{ ولا تفتني }** كان ما وقع فيه أشد مما تَقَصَّى منه ، فإن أراد فتنة الدين فهو واقع في أعظم الفتنة بالشرك والنفاق ، وإن أراد فتنة سوء السمعة بالتخلف فقد وقع في أعظم بافتضاح أمر نفاقهم ، وإن أراد فتنة النكد بفراق الأهل والمال فقد وقع في أعظم نكد بكونه ملعوناً مبغوضاً للناس .

---

[1] رواه : الإمام الحاكم في المستدرك ، ج ٣ ص ٢١٥ ، و قال عنه : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، **و قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف في الدرر السنية : نقلاً عن الألباني أنه قال : حديث صحيح** .

[2] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٣٣٠ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

وهنا لا بد لنا أن نذكر أمثلة من الماضي البعيد و القريب ، عن الذين افتتنوا من أجل دينهم فصبروا حتى نالوا الشهادة في سبيل الله تعالى :

ومن ذلك قصة أصحاب الأخدود : الذين قال الله تعالى مخبراً عنهم : **{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ }** [1] . ما جاء في الصحاح - كما يذكر الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى - :عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: « أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضمّ إليه غلاما ليعلّمه السّحر، وكان في طريق الغلام راهب يتكلّم بالمواعظ لأجل الناس ، فمال قلب الغلام إلى حديثه ، فرأى في طريقه ذات يوم دابة أو حية قد حبست الناس ، فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان الراهب أحبّ إليك من الساحر، فاقتلها بهذا الحجر، فقتلها .وكان ذلك الغلام بَعْدَئِذٍيتعلّم من الراهب إلى أن صار بحيث يبرئ الأكمه والأبرص ، ويشفي من الداء . وعمي جليسٌ للملك فأبرأه ، فأبصره الملك فسأله: مَنْ ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربي ، فغضب، فعذّبه ، فدلَّ على الغلام، فعذّب الغلام حتى دل على الراهب ، فلم يرجع الراهب عن دينه، فَقُدَّ بالمنشار، وأتى الغلام ، فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته ، فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا ، فذهبوا به إلى قرقور - وهي سفينة صغيرة - ، فلَجَّجُوا به ليغرقوه ، فدعا ، فانكفأتْ بهم السفينة ، فغرقوا ونجا ، وقال للملك : لستَ بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد ، وتصلبني على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول : بسم الله ربّ الغلام ، ثم ترميني به . فرماه فوقع في صدغه ، فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فقيل للملك : نزل بك ما كنت تحذر، فأمر بأخاديد في أفواه السّكك وأُوُقِدَتْ فيها النيران ، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها ، حتى جاءت امرأة معها صبي ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال الصبي : يا أمّاه ، اصبري فإنك على الحق ، وما هي إلا غميضة ، فصبرتْ واقتحمتْ » [2] .

وكثير من الصحابة الكرام أُكْرِهُوا على الكفر وعُذِّبوا على اعتناقهم الإسلام، أمثال خبابِ بن الأرتّ ، وصهيبٍ الرومي ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر، وأبويه ياسر وسمية ، والكثير الكثير منهم ، عُذِّبُوا على إسلامهم فقتل ياسر وسمية ، **وهما**

---

[1] سورة البروج ، آية / ٤ / .

[2] انظر كتاب : التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، للشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ٣٠ ص ١٥٣-١٥٤ ، **و قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : نقلاً عن الألباني أنه قال : حديث صحيح .**

أول قتيلين في الإسلام ، وعُذِّبَ بلالٌ وهو يقول : (أحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ ، لا والد و لا ولد ، ربي جبيني له قد سجد) وعُذِّبَ خباب بن الأرتِّ بالنار فما أطفأها إلا ودك ظهره. **{ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ }** [١] .

ومن ذلك أيضاً الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه : كما أخرج الإمام البيهقي ، عن أبي رافع ، قال : وَجَّهَ عمر - بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين - جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه ، فقال له ملك الروم : تنصّر أشركك في ملكي ، فأبى ، فأمر به فَصُلِبَ ، وأمر برميه بالسهام ، فلم يجزع ، فأُنْزِلَ وأُمِرَ بقدر فصبّ فيها الماء وأغلي عليه ، [وأمر بإلقاء أسير فيها ، فإذا عظامه تلوح] ، فأمر بإلقائه إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به بكى . قال : ردّوه . فقال : لَمَ بكيتَ ؟ قال : تمنيتُ أنَّ لي مائة نفس تلقى هكذا في الله ، فعجب . فقال : قَبِّلْ رأسي وأنا أخلّي عنك . فقال : وعن جميع أسارى المسلمين ؟ قال : نعم . فَقَبَّلَ رأسه ، فخلّى بينهم ، فَقَدِمَ بهم على عمر ، فقام عمر فقبّل رأسه [٢].

ومن ذلك ما تَمُرُّ به الأمة الإسلامية هذه الأيام : في جميع أنحاء العالم ، من تعذيب و تنكيل و تجويع و اضطهاد للإنسانية بصفة عامة ، و للمسلمين بشكل خاص، مع أن الله سبحانه وتعالى كرَّم بني آدم جميعاً ، ولم يخص فئة منهم ، أو يميّزها على فئة أو مجموعة في التكريم ، كما قال جلَّ وعلا : **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }** [٣] . فالكل عنده سواء ، و لا تكريم عنده لأحد إلا بالتقوى ، و هي الصفة التي لا يعلمها أو يعرفها أو يطّلع عليها إلا اللطيف الخبير سبحانه و تعالى ، **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** [٤] . و سبب حقد بني الإنسان على أخيه الإنسان هو واضح وضوح الشمس في ضحاها ، قال تعالى : **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ**

---

[١] سورة البروج ، آية / ١٠ / .

[٢] انظر كتاب : الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام : ابن حجر العسقلاني ، ج ٤ ص ٥٠ ، و كذلك ورد في الكنز ، ج ١٣ ص ٤٩١ ، و غيرهما ، **و قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف في الدرر السنية : له شاهد موصول و مرسل .**

[٣] سورة الإسراء ، آية / ٧٠ / .

[٤] سورة الحجرات ، آية / ١٣ / .

الْحَمِيدِ } [١]. مع أن الله تعالى حذّرنا منهم ، و نبّهنا عنهم ، و أخبرنا بهم عندما قال: **{مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }** [٢] . فا لكافرون من أهل الكتاب و المشركون منهم ، لا يريدون لنا الخير مهما قلَّ أو صغُر ، و يظهر غيظهم و حقدهم حتى لو رأوه نازلاً بنا ليردُّونا عن ديننا كفاراً إلى دينهم ، و ما ذلك كله إلا حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ، **{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ}** [٣] . و لذلك فإنهم لن يرضوا عنكم حتى تتبعوا دينهم و ملتهم ، و هذا نص قرآنيٌّ صريح لا يحتاج للتفسير أو التأويل ، أننا إذا وجدنا في الكون كله مسلماً قد رضي عنه اليهود و النصارى، فإنه لا شك مراوغ منافقٌ يتبع ملتهم و دينهم ، إما حقيقة ، و إما في الباطن ، **{ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }** [٤] . و لن نكون نحن أتقى من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مع ذلك خاطبه الله بهذا.

فهم لم يرضوا عنه صلى الله عليه و سلم **لأنه لم يتبع مِلَّتَهُمْ ، فكيف يرضون عنكم دون اتباع ملتهم !!!**

ولذلك فإن الصبر في سبيل الله على الأذى من أعظم القربات إلى الله تعالى ، وقد جعل الله ثواب من أُوذي في سبيل الله ثم صبر و احتسب ، أن يُكَفِّرَ عنه سيئاته و يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، ثواباً له و مكافأة و جزاءً ، لأن الله تعالى هو خير من يجزي و يعطي الأجر و الثواب ، **{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ }** [٥] .

فالذين يؤذون المؤمنين هم يعلمون حقيقة أن محمداً رسول الله ، ولكنهم يعارضون الحق ويقاومونه عناداً منهم واستكباراً وحفاظاً على مراكزهم بين الناس .

---

[١] سورة البروج ، آية / ٨ / .
[٢] سورة البقرة ، آية / ١٠٥ / .
[٣] سورة البقرة ، آية / ١٠٩ / .
[٤] سورة البقرة ، آية / ١٢٠ / .
[٥] سورة آل عمران ، آية / ١٩٥ / .

لهذا فلا تحزن أيها الرسول عليهم ، واصبر على تكذيبهم وإيذائهم ، كما صبر رسل الله قبلك وكما أوذوا ، حتى يتوج الله جهودك بالفوز والغلبة ، ويكلل مساعيك بتبليغ دعوتك بالنصر و الانتقام من أعدائك المكذبين ، كما نصر رسله الكرام السابقين .

مبحث أ - حكم الخروج من البلد التي يحارب فيها أهل الدين و يفتتنون :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن قصة أصحاب الكهف ، بأنهم فتية آمنوا بربهم و زادهم الله هدى ، وثبَّتَ قلوبهم و قَوَّاها ، و شدَّ عزيمتهم و حماها ، عندما أراد قومهم أن يعيدوهم إلى ملة الكفر و الضلال التي كانوا عليها ، تشاروا فيما بينهم أن يعتزلوا قومهم ، و يهجروا أرضهم و أهلهم ، ليخرجوا هاربين بدينهم ، كي لا يردهم أعداء الدين إلى ملة الضلالة و الغواية ، **فخرجوا قاصدين الكهف في الجبل** ، بعيدين عن العيون و الأنظار ، متَفَرّغِيْنَ لعبادة الواحد الغفار سبحانه و تعالى ، **{فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا }** [1] ، مُسَلِمِّيْنَ أمرهم لله تعالى ، معتمدين عليه جلَّ و علا لينشر لهم من رحمته الخير و الفلاح ، و يبسط لهم أسباب المعيشة و النجاح .

وممن سنَّ الهجرة و الخروج في سبيل الله نبي الله خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، عندما وجد قومه عاكفين على عبادة الأوثان ، ودعاهم بكل أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، ثم إنهم خافوا على دينهم البالي أن يبيد ، و خشوا أن يتبع الناس إبراهيم الذي حاججهم فأقام الحجة عليهم ، **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }** [2] . فأرادوا أن يصُبُّوا جام غضبهم و حقدهم على إبراهيم ، لأنه يريد لهم الخير و الفلاح و النجاح في الدنيا قبل الآخرة ، فقالوا : اقتلوه أو حرّقوه ، لتنصروا آلهتكم التي حطَّمها الفتى إبراهيم، ثم اختاروا التحريق بالنار ،لأنه أشدُّ إيلاماً و انتقاماً ، و ظلوا يجمعون الحطب شهراً كاملاً ليحرقوا الفتى إبراهيم ، وظلت النار مشتعلة لأيام ، حتى إنه لا يستطيع الطير أن يمرَّ في السماء من فوقها لشدة لهبها ، ثم قذفوه بالمنجنيق إلى قلب النار ، **{فَأَنجَاهُ اللَّهُ**

---

[1] سورة الكهف ، آية / ١٦ / .

[2] سورة العنكبوت ، آية/ ٢٤ / .

مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [١] ، و جاء الحفظ و النصر من الله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } [٢] ، فهم أرادوا حرقه ، و الله أراد نجاته فكانوا الخاسرين ، {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } [٣] ، كما في سورة الأنبياء، لأن كل من يعاند الله و يعاديه ، لا شك خاسر بل هو من الأخسرين الأسفلين الأذلاء ،{ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ } [٤] ، كما في سورة الصافات .

فلما نجَّاهُ الله تعالى منهم ، كان لا بُدَّ من الهجرة في سبيل الله للتخلص من أذى الحاقدين على الدين و أهله ، قبل أن يقتلوه ليقضوا عليه و على دعوته و رسالته،{وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [٥] .

مبحث ب - هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة الكرام :

وممن سنَّ الهجرة و الخروج في سبيل الله رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وذلك عندما بدأ بالدعوة إلى الله تعالى و إبلاغ رسالته ، كان الردُّ من قريش ، ضرب و قتل و اضطهاد و تعذيب ، ثم اعتزالٌ و مقاطعة و حصارٌ وتجويع ، حتى أكلوا ورق الأشجار، فأمرهم النبي صلى الله عليه و سلم بالهجرة إلى الحبشة ، بأمر من الله تبارك و تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون } [٦] . أي إذا أردتم أن تعبدوا الله تعالى وحده دون أن يلحقكم أذى المشركين ، فإن أرض الله واسعة فهاجروا إليها ، لتعبدوه بكامل حريتكم و إرادتكم و أنتم آمنون مطمئنون ، وهذا أمرٌ بالهجرة من دار الكفر . ومناسبته لما قبله أن الله لما ذكر عناد المشركين في تصديق القرآن وذكر إيمان أهل الكتاب به آذن المؤمنين من أهل مكة أن يخرجوا من دار المكذبين إلى دار الذين يصدقون بالقرآن وهم أهل المدينة ، فإنهم يومئذ ما بين مسلمين وبين يهود فيكون المؤمنون في جوارهم آمنين من الفتن يعبدون ربهم غير مفتونين . وقد كان فريق من أهل مكة مستضعفين قد آمنوا بقلوبهم ولم يستطيعوا إظهار إيمانهم خوفاً من المشركين مثل الحارث بن ربيعة بن الأسود ، وكان لهم العذر حين كانوا لا

---

[١] سورة العنكبوت ، آية /٢٤ / .
[٢] سورة الأنبياء ، آية / ٦٩ / .
[٣] سورة الأنبياء ، آية / ٧٠ / .
[٤] سورة الصافات ، آية / ٩٨ / .
[٥] سورة العنكبوت ، آية /٢٦ / .
[٦] سورة العنكبوت ، آية /٥٦ / .

يجدون ملجأً سالماً من أهل الشرك ، وكان فريق من المسلمين استطاعوا الهجرة إلى الحبشة من قبل ، فلما أسلم أهل المدينة زال عذر المؤمنين المستضعفين إذ أصبح في استطاعتهم أن يهاجروا إلى المدينة فلذلك قال الله تعالى **إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ، فقوله تعالى **إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ** ، كلام مستعمل مجازاً مركباً في التذكير بأن في الأرض بلاداً يستطيع المسلم أن يقطنها آمناً ، فهو كقول إياس بن قبيصة الطائي :

ألم تر أن الأرض رحب فسيحة * * * فهل تعجزني بقعة من بقاعها

ألا تراه كيف فرع على كونها رحباً قوله : فهل تعجزني بقعة . وكذلك في الآية فرع على كونها واسعة الأمر بعبادة الله وحده للخروج مما كان يفتن به المستضعفون من المؤمنين إذ يُكرهون على عبادة الأصنام من دون الله تعالى [١] .

فإن الصحابة الكرام قاموا بالهجرة الأولى إلى الحبشة ، عندما قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم : **« إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظْلَم أحدٌ عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه »** [٢] . فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له : " **النجاشي** " لا يُظلم أحدٌ بأرضه ، وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يتَّجرون فيها ، وكانت مسكناً لتجارهم ، يجدون فيها رَفَاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً، فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قُهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، وكانت الفتنة الأولى هي التي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة ، فراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخي عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم ، تحدث باسترخائهم عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه : قد استرخي عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون ، فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون ويكثرون . وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما رأت قريش ذلك ، تآمرت على أن

---

[١] انظر كتاب : التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد » للشيخ : محمد الطاهر بن عاشور ، ج ٢١ ص ٢١ ، بتصرف .

[٢] ذكره المحدث ابن كثير في كتابه : البداية و النهاية ، ج ٣ ص ٩٢ ، **و قال الألباني : إسناده جيد .**

يفتنوهم ويشتدوا ، فأخذوهم ، فحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهدٌ شديدٌ ، فكانت الفتنة الثانية ، **فكانت فتنتان : فتنة** أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم في الخروج إليها ، **وفتنة** لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة . ثم إنه جاء أناسٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيباً ، رؤوس الذين أسلموا ، فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم على أنا منك وأنت منا ، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة المنورة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ}** [1] .

وهاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى يثرب التي سماها : طابة فطابت به، بعد أن أرسل أكثر أصحابه قبله ، و صارت الآيات القرآنية تنزل لتشجِّع المؤمنين على الهجرة ، **{ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }** [2] . أي الذين تركوا ديارهم مِن أجل الله ، فهاجروا بعدما وقع عليهم الظلم ، لنسكننهم في الدنيا دارًا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر؛ لأن ثوابهم فيها الجنة . لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله ، ما تخلـَّف منهم أحد عن ذلك . لأن مَن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فرارًا بدينه ، راجيًا فضل ربه ، قاصدًا نصرة دينه، يجد في الأرض مكانًا ومتحولاً ينعم فيه بما يكون سببًا في قوته وذلة أعدائه ، مع السعة في رزقه وعيشه ، ومن يخرج من بيته قاصدًا نصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإعلاءَ كلمةِ ربه سبحانه و تعالى ، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده ، فقد ثبت له جزاء عمله على الله ، فضلاً منه وإحسانًا . وكان الله غفورًا رحيمًا بعباده ، لأن هذه المكافأة من الأجر و الثواب العظيم ، لم يعطها الله لمخلوق **فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** " بأي عبادة قام بها إلا المهاجر في سبيل الله تعالى ، **{ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ**

---

[1] سورة الأنفال ، آية / ٣٩ / .

[2] سورة النحل ، آية / ٤١ -٤٢ / .

مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } [1] .

ثم توعَّد الله تعالى الذين ظَلُّوا جالسين في أرض الظلم و الطغاة الظالمين ، و لم يهاجروا ، و كان عندهم القدرة و مع ذلك لم يخرجوا ، حتى قصَّرُوا في القيام بأمور دينهم على الوجه الذي يريده الله منهم ، و تنازلوا عن مبادئ دينهم خوفاً من الظلمة ، وقد سمَّاهم الله : **ظالمين** لأنهم قعدوا معهم حتى جاء أجلهم دون أن يهاجروا ، خوفاً على مصالحهم و بيوتهم و أموالهم ، أو غيرها من أعذار الدنيا ،إن الذين توفَّاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة ، تقول لهم الملائكة توبيخًا لهم : في أي شيء كنتم من أمر دينكم ؟ فيقولون : كنا ضعفاء في أرضنا ، عاجزين عن دفع الظلم والقهر عنا ، فيقولون لهم توبيخاً : ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم ؟ فأولئك مثواهم النار، ساء هذا المرجع والمآب ، **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }** [2] .

إِذَنْ : فكلُّ مَن لم يهاجر من أجل دينه بعد أن فُتِنَ من أجله ، و هو قادرٌ مستطيعٌ ، دون عجز أو إعاقة أو مرض أو هرم ، فسوف يقول الله عزَّ و جلَّ له هذا القول : **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** " فهلهيَّأَ نفسه للجواب في مثل ذلك اليوم ؟ لأن المأوى جهنم و ساءت مصيراً ...

---

[1] سورة النساء ، آية / ١٠٠ / .

[2] سورة النساء ، آية / ٩٧ / .

مبحث ج - ثبات المؤمن عند الفتنة و الامتحان :

لا شك أن الله سبحانه و تعالى جعل الأجر و الثواب العظيمين ، لكل من لم يستطع الهجرة في سبيل الله تعالى ، و كان عنده عذر مادِّيٌّ أو معنوي ، كإعاقة وعجز ، أو مرض و هرم ، و أمسك به أعداء الدين و فتنوه في دينه و عذَّبوه ليُثْنُوه عن دينه و إسلامه ، فصبر عند البلاء و الامتحان و لم يرتَدَّ أو يكفر ، لأن الصحابة الكرام شَكَوا حالهم و ضعفهم و البلاء الذي يلاقونه من مشركي مكة ، كما جاء في الحديث الصحيح: عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان مَنْ قبلكم ، يُؤخذ الرجلُ فيُحفر له في الأرض ، فيُجعل فيها ، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويُمَشَّط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ، فما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » [1] .

والحديث يحكي ما وجده المسلمون الأوائل من الأذية من كفار قريش في مكة، و مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم يشكون من شدة ما وجدوه ، و عناء العذاب الذي ينزل بهم كل يوم ، و كان النبي متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فبيّن لهم النبي أن من كان قبلنا ابتُلي في دينه و عُذِّب أشد و أعظم منكم بكثير ! ، حيث كان الرجل منهم يُحفَر له الحفرة ، ثم يُلقى فيها و يؤتى بالمنشار على مفرق رأسه ، و يُشَقُّ به جسده نصفين، ثم يمشط بأمشاط الحديد ما بين جلده وعظمه ، يمزقونه ليرجع عن عقيدته و دينه ، و ما كان هذا كله ليرده عن دينه و لا ليثنيه عن عقيدته التي اعتنقها و آمن بها .

ثم أقسم لهم النبي صلى الله عليه و سلم ، إنَّ الله سبحانه وتعالى سيتم الإسلام حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف أحداً إلا الله تعالى ، و الذئب على غنمه . فاصبروا و انتظروا فرج الله تعالى فإنه آتٍ لا محالة ، و لكن الإنسان عجولٌ و لجوجٌ لحوحٌ . وقد حصل ما وعد به رسول الله صلى الله عليه و سلم ، في خلافة المسلمين لما فتحوا البلاد ، و أيقظوا عقول العباد ، و حكموا بشرع الله تعالى ،

(١) رواه : الإملم البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٢٠ .

ولذلك فإنه يجب على المسلم في زمن الفتن والأزمات أن يصبرعلى الأذية و البلاء و يتحمل ، فإذا صبر ظفر ، و قد يبتلي الله المؤمنين بتسليط الكفار عليهم ، بالأذى و القتل والتشريد و التدمير ، وهم في ذلك ليسوا وحدهم فقد أوذي قبلهم الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، والصالحين و كل من نهج نهجهم ، فمنهم من قُتِل و منهم من عُذِّبَ و أُوذِي كما أخبر الله سبحانه و تعالى { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [١] . فعلى المؤمن أن يثبت و يتحمل و يبقى راسياً كالجبال الراسيات ، لا يمل و لا يكل ولا يضجر ، فما خبَّأه الله له من الأجر و الثواب، والعطايا و الجزاء ، يجعله يحتسب مصيبته و محنتحه و فتنته عند الله سبحانه و تعالى. فالصابرون يُعْطَون أجرهم بغير حساب ، لأنهم ما حاسبوا الله في الدنيا على البلاء الذي نزل بهم ، بل صبروا و تحملوا ، فإنه كافأهم بدخول الجنة دون أن يحاسبهم .

ومع ذلك فالأنبياء هم أشد الناس ابتلاءً ، ثم الصالحون الذين ينهجون نهجهم ، ثم الأمثل فالأمثل ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ } [٢] .

مبحث د - كلمة الحق عند سلطان جائر :

من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، و بعد أن رأينا أنموذجاً من الناس الذين افْتُتِنُوا بدينهم ، فصبروا و تحملوا أذى الكافرين و الظالمين الطغاة ، فمنهم من قضى نحبه أثناء افتتانه شهيداً صابراً محتسباً ، حتى نال رضوان الله تعالى ، لأنه يعلم أنه سيكون من أعظم الشهداء عند الله تعالى ، فأفضل الجهاد في سبيل الله جلَّ و علا ، كما جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[١] سورة البقرة ، آية / ٢١٤ / .

[٢] سورة الأنعام ، آية / ٣٤ / .

قال : **« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، و رجلٌ قال - و في رواية قام - إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله »** [١] .

وكما ورد في الحديث الصحيح : عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : عَرَضَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ عند الجمرة الأولى ، فقال : يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ فسكتَ عنه ، فلما رمى الجمرة الثانية ، سأله ، فسكت عنه ، فلما رمى جمرة العقبة ، وضع رجله في الغرز ليركب ، قال : « أين السائل ؟ » قال : أنا ، يا رسول الله ، قال : **« كلمة حق عند ذي سلطان جائر »** [٢] .

فَلِلْكَلِمَةِ موقعٌ و أثر كبير في النفس ، و لا يستطيع قول الحق إلا من مُلِئَ قلبه إيماناً ، و فاضت بالتقوى جوارحه ، ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم : **(وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب)** ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام النسائي في سننه قال : حدَّث عطاء بن السائب ، عن أبيه ، قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة ، فأوجز فيها ، فقال له بعض القوم : لقد خففتَ أو أوجزتَ الصلاة ، فقال : أما على ذلك ، فقد دعوتُ فيها بدعواتٍ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي ، غير أنه كنى عن نفسه ، فسأله عن الدعاء ، ثم جاء فأخبر به القوم : **« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمتَ الوفاة خيراً لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضاء بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين »** [٣] .

فكلمة الحق صعبةٌ ، و قولها مرٌّ ، ولن تُبْقي لك صديقاً أو صاحباً ، و قد أرسل الله تعالى رسله بالحق ، و أمرنا أن نتَّبعهم لأنهم على الحق ، **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ**

---

[١] رواه : الإمام الحاكم في المستدرك ، ج ٣ ص ٢١٥ ، و قال عنه : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، **و قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف في الدرر السنية : نقلاً عن الألباني أنه قال : حديث صحيح** .

[٢] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٣٣٠ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

[٣] رواه : الإمام النسائي في سننه ، ج ٣ ص ٥٤ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ } [١] ، ثم أمرنا الله تعالى أن نقول الحق لأنه منه ، **{ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ }** [٢] ، و لما أنزل الله القرآن الكريم إلينا قال لنا : **{ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }** [٣] .

وقد أخبرنا الله سبحانه عن بعض الأنبياء الذين قالوا كلمة حق عند سلطان جائر، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، أراد أن يتحدى النمرود و يحجّه { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } ، وقصَّ الله علينا الحوار كاملاً بقوله : **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }** [٤] .

ثم بيَّنَ الله تعالى لنا في أكثر من موطن في القرآن الكريم ، يحكي كيف قال كلمة الحق لأبيه و قومه ، ساخراً من عملهم و صنيعهم : **{ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا }** [٥] ، **{ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }** [٦] **{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }** [٧] ، **{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ }** [٨] . ثم بيَّن لنا الحق سبحانه و تعالى موقف نبي الله موسى عليه الصلاة و السلام عندما علا فرعون في الأرض و جعل أهلها شيَعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم ، لأنه كان من المفسدين فقال له موسى كلمة حق متحدياً أكبر طاغية عرفه التاريخ : **{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

---

[١] سورة النساء ، آية / ١٧٠ / .
[٢] سورة الكهف ، آية / ٢٩ / .
[٣] سورة الإسراء ، آية / ١٠٥ / .
[٤] سورة البقرة ، آية / ٢٥٨ / .
[٥] سورة مريم ، آية / ٤٢ / .
[٦] سورة الأنبياء ، آية / ٥٢ / .
[٧] سورة الأنعام ، آية / ٧٤ / .
[٨] سورة الزخرف ، آية / ٢٦ / .

بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [1] . و ذلك بعد أن قال له القول اللين ، لعله يتذكر أو يخشى ، و لكنه تكبر و تجبر و طغى ، ولم ينفع معه الكلام الطيب اللين .

وهناك الأمثلة الكثيرة في القرآن الكريم عن الأنبياء و الصالحين الذين قالوا كلمة الحق عند السلطان الجائر .

[1] سورة الإسراء ، آية / ١٠٢ / .

الفصل الثاني

الحكم و الحكام :

أورد الإمام البخاري في صحيحه عن الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال : « أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا الناس ، ولا يشتروا بآياتي ثمنا قليلاً ، ثم قرأ **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }** [1] ، وقرأ : **{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }** [2] ، **{ بِمَا اسْتُحْفِظُوا }** : استودِعوا من كتاب الله ، وقرأ : **{ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }** [3] ، « فَحَمِدَ سليمان ولم يَلُمْ داود ، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيتَ أن القضاة هلكوا ، فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده » وقال مزاحم بن زفر : قال لنا عمر بن عبد العزيز : " خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة ، كانت فيه وصمة : أن يكون فَهِمَاً ، حليماً ، عفيفاً ، صَلِيْبَاً ، عالماً ، سَؤُوْلاً عن العلم " [4] .

المعنى العام : (أخذ الله) ألزمهم أن لا يتبعوا (الهوى) و هو كل ما تحبه النفس وتشتهيه وإن خالف الحق والعدل ، و (لا يخشوا الناس) فلا يخافوهم عند إصدار الحكم بالحق وإنما يخافون الله عز وجل وحده ، و (لا يشتروا بآياته) فلا يستبدلوا بالعمل والحكم بمقتضاها عَرَضَاً من أعراض الدنيا الفانية لأنه قليل و حقير لا شأن له عند الله تعالى مهما عَظُمَ أو كثر . (جعلناك خليفة) صيرناك خلفاً عمن قبلك على الملك من الأرض والحكم فيها . (بالحق) بالعدل . (سبيل الله) شريعته وما بينه فيها وشرعه من الأحكام . (بما نسوا) بسبب نسيانهم . (هدى) بيان . (نور) إيضاح كاشف

---

[1] سورة ص ، آية / ٢٦ / .

[2] سورة المائدة ، آية / ٤٤ / .

[3] سورة الأنبياء ، آية / ٧٨ - ٧٩ / .

[4] انظر : صحيح الإمام البخاري ، ج ٩ ص ٦٧ .

للشبهات ، ومزيل لظلمات الجهل والضلال . (أسلموا) انقادوا لحكم الله تعالى وأسلموا أنفسهم له . (هادوا) تابوا ورجعوا من الكفر والعصيان إلى الطاعة والإيمان . (الربانيون) جمع رباني وهو العالم بالرب تعالى ، المواظب على طاعته ، المعلم للناس طريق الخير . (الأحبار) العلماء والفقهاء جمع حبر . (الحرث) الزرع . (نفشت) رعت ليلاً بلا راعٍ . (ففهمناها سليمان) ألهمناه الحكم الصواب في تلك القضية . (آتينا) أعطينا ، (فحمد) أي أثنى عليه . (ولولا) أي لولا ما بينه الله تعالى في قضية داود وسليمان عليهما السلام من الثناء عليهما في الحكم مَنْ أصاب الحقيقة ومن أخطأها عن غير عمد لكان في ظني أن قضاة الزمان محكوم عليهم بالهلاك لأن أحدهم ربما لم يكن قضاؤه هو الصواب وعين الحق ، فينطبق عليه أنه لم يحكم بما أنزل الله تعالى سواء كان عامداً أم غير عامد ، ولكن قصتهما أظهرتْ أنه لا إثم على من أخطأ الصواب عن غير قصد وبعد اجتهاد منه . (أخطأ) تجاوزها وفاتته . (خطة) صفة . (وصمة) عيب وعار . (فهماً) صيغة مبالغة من الفهم . (عفيفاً) يتنزه عن القبائح ويكف عن الحرام . (صليباً) من الصلابة أي قوياً شديداً يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى ويستخلص الحق ممن هو عليه ولا يتهاون فيه . (سؤولاً) كثير السؤال عنه والمذاكرة له مع العلماء [1] .

مبحث أ - حكم الخروج على الحكام :

إن الله سبحانه و تعالى أمرنا في القرآن الكريم أن نطيعه و نُنَفِّذَ كل أوامره ، وأن نطيع نبيه عليه الصلاة و السلام ونُنَفِّذَ كل أوامره ، و أن نطيع أولي الأمر منا و نُنَفِّذَ أوامرهم إذا كانت لا تخالف شرع الله تعالى أو سنة نبيه عليه الصلاة و السلام ، و ذلك عملاً بقوله تعالى :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }** [2] .

---

[1] انظر : صحيح الإمام البخاري ، ج ٩ ص ٦٧ ، في الحاشية ، تعليق الدكتور : مصطفى البغا بتصرف .
[2] سورة النساء ، آية / ٥٩ / .

فالواضح من الآية الكريمة : أن الإمام المطاع أمره يجب أن يكون من المسلمين أولاً ، وأنه إذا وقع خلاف بينه وبين رعيته ، فالحَكَمُ في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة و السلام ، لا هواه وبطشه ، فدل ذلك على تقييد سلطته بإتباع الكتاب والسنة. و لا يجوز طاعة الإمام في كل ما يأمر به ، بل لا يجب طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة ، فلا يجوز طاعته في معصية الله وإن كان إمامًا عادلاً ، فإذا أمر بطاعة الله أطاعوه ، مثل أن يأمر بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصدق ، والعدل، والحج ، والجهاد في سبيل الله . فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله .

والكافر والفاسق إذا أمرا بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ، ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله ذلك الفاسق أو الكافر .

فحينما أوجب الله عز وجل على الرعية أن تطيع ولاة الأمور المسلمين لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد ، وذلك لأن الحاكم والمحكوم كلهم عبيد لله عز وجل ، وواجب عليهم جميعاً طاعته وامتثال أوامره ، لأنه هو الحاكم وحده سبحانه و تعالى ، فإذا قَصَّرتِ الرعية في حق من حقوق الله تعالى ، فعلى الحاكم تقويمها بالترغيب والترهيب حتى تستقيم على الطريق المستقيم ، وكذلك الحاكم إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له ، وإنما على الأمة نصحه وإرشاده ، والسعي بكل وسيلة إلى إرجاعه إلى الحق شريطة ألا يكون هناك مفسدة أعظم من مصلحة تقويمه ، وإلا فعلى الرعية الصبر حتى يقضي الله فيه بأمره ويريحهم منه .

وهذا بالطبع كله موجز ، و يحتاج إلى شيئ من التوضيح و التفصيل ، كما جاء به القرآن الكريم ، و السنة النبوية الصحيحة ، و ذلك من خلال بنود و فقرات أهمها :

١ - حكم الخروج على الحاكم المسلم :

ولا شك أن هذا الأمر و أشباهه ، يحتاج إلى شيئ من التأني و الدقة ، قبل أن نصدر فيه الأحكام ، أو نبني عليه الأمور ، لأن القضية سيتبعها دماءٌ و أرواحٌ ، و تقتيل و تنكيل و تشريد و ما إلى غير ذلك ، و من الذي سيتحمل مسؤولية ذلك كله أمام الله

تعالى ! وقد جاء في الحديث : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل »** [1] ، فيجب أن يصدر الحكم الشرعي من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، بقول كلمة الحق ، و نبذ العنصرية و التحزبية ، كي لا تأخذنا العاطفة لتثنينا عن الحق و العدل و الصواب ، إلى الهوى و الظلم و الضلال ، فننال الغضب من الله و المقت و العقاب ، لأن كل ما سيصدر منك أيها الإنسان ، فأنت محاسب و مسؤول عنه و عن تبعاته و ما سيؤول إليه في الدنيا قبل يوم القيامة أمام الله تعالى ، فقد قال النبي عليه الصلاة و السلام : **« مَنْ سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنةً سيئةً ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ »** [2].

أوْرَدْتُ في كتابِي : **الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر** ما ملخصه باختصار ما يلي [3] : لا خلاف بين العلماء من أهل السنة أن الحاكم المسلم يجب عليه أن يكون عادلاً مقسطاً ، ملتزماً بشرع الله تعالى ، لأن الله تعالى يأمر بالعدل و الإحسان ، و ينهى عن الظلم و الجور و الطغيان ، و قد وعد الله تعالى كل إمام عادل أن يُظِلَّهُ تحت ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، و قد أوجب علينا طاعته في غير معصية طالما هو ملتزم بشرع الله تعالى ، لأنه حرَّم علينا طاعته إذا أمرنا بمخالفة شرع الله تعالى ، كما جاء في الحديث : عن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه ، قال : دخلنا على عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وهو مريض ، قلنا : أصلحك الله ، حدث بحديث ينفعك الله به، سمعتَهُ من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا : **« أنْ بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان »** [4] ، و في رواية الإمام مسلم : **« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ،**

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٣٠٣ .
[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٢ ص ٧٠٥ .
[3] انظر كتاب : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لـ بكري أحمد حلاق ، ص ٤٨ - ٤٩ .
[4] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٧ .

وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » [1] .

وقد أوجب علينا الشرع الحنيف النصح لهم ، و أن نوجههم ، و نرشدهم إلى طريق الحق و الصواب ، إن أخطؤوا أو انحرفوا ، كما جاء في الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر » [2] .

وعلى الرغم من كل هذا فإني أقول : إنَّ علماء أهل السنة و الجماعة متفقون على أن الخروج على الحاكم المسلم مرفوض شرعاً ، و أن القول بتكفيره تكفيراً يخرجه عن دين الله تعالى مرفوض أيضاً بشرط : إذا كان ما دام يؤدي فرائض الله فيقيم الصلاة، و ينفذ شرع الله ، و كان من أهل القبلة .

وإقام الصلاة هنا لا يُقصد منه الصلاة لمرة أو مرتين في السنة كصلاة العيدين مثلاً ، أو غيرها من المناسبات الدينية ، فهذه صلاة لا إقامة فيها ، ولا يُعتبر مُؤدِّيها مقيماً للصلاة ، و إنما المقصود بإقامتها أن نراه في أغلب الأحيان يرتاد المساجد ليقيم الصلاة على الدوام . فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتُصلُّونَ عليهم ويصلون عليكم ، - أي تدعون لهم و يدعون لكم - وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم »** ، قالوا : قلنا : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : **« لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا مَنْ وَلِيَ عليه والٍ ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، - أي معصية تخصه لوحده و لا تَضُرُّ أمته و رعيته فكل ابن آدم خَطَّاءٌ - فليَكره ما يأتي من معصية الله ، ولا يَنْزِعَنَّ يداً من طاعة »** [3] . و يجب أن ننتبه إلى كلمة : **ما أقاموا فيكم الصلاة** ، أي يجب أن يظهروا مصلين معنا و بيننا و فينا ، وليس لوحدهم في بيوتهم أو قصورهم ، فوجودهم فينا وهم يصلون يثبت لهم الإيمان ، و يوجب علينا الطاعة لهم ، و لا يكون هذا رياءً ، وإن كنا نعلم أن الله يعلم السر و أخفى بنوايا كل إنسان ، و سيجازي الكل بما

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٧٠ .

[2] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ١٢٤ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[3] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٨٢ .

نوى ، و إنما يكون لهم به أجر و ثواب لتنفيذهم أمر الله و رسوله صلى الله عليه و سلم بإقامة الصلاة فينا و معنا و بيننا .

وعليه : فلا يجوز الخروج على الحاكم المسلم ، ما دام لم ينهانا عن المعروف ولم يأمرنا بالمنكر ، و يقيم الصلاة فينا و معنا .

٢ - حكم الخروج على الحاكم الفاسق :

ويجب هنا أن نعرف معنى **الفسق** حتى نبني عليه أحكام الفُسَّاق ، قال الله تعالى مخبراً عن إبليس عندما خلق الله آدم عليه الصلاة و السلام ، وأمرالملائكة أن يسجدوا له سجود تحيةٍ لا عبادة ، و أمر إبليس بما أمر به الملائكة الكرام : **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا }** [١] . فمعنى كلمة : **فَفَسَقَ** أي خالف أمر ربه ، و عصاه و لم يطعه . وقال الله تعالى مخبراً إيانا عن مصير الفاسقين يوم القيامة : **{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ }** [٢] . ثم أخبرنا أيضاً عن حال عقيدتهم عندما استحلوا محارم الله و جهروا بمعصيته فقال : **{كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }** [٣] . لأن المؤمنين حقاً هم الذين يكرهون الكفر و الفسوق و العصيان ، **{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ }** [٤] .

وقد بيَّنَ الله سبحانه و تعالى لنا في بعض الآيات بعضاً من صفات الفاسقين ، فقال : **{يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** [٥] .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٥٠ .
[٢] سورة السجدة ، آية / ٢٠ .
[٣] سورة يونس ، آية / ٣٣ .
[٤] سورة الحجرات ، آية / ٧ .
[٥] سورة البقرة ، آية / ٢٦ - ٢٧ .

فالفاسق لا عهدَ له ، لأنَّ ديدنه نقض العهود ، و الله عز وجل عهد إلينا أن نأكل المال الحلال ، وعهد الله إلينا أن نَقْصُرُ طرفنا على زوجاتنا وعلى محارمنا ، وعَهدَ الله إلينا أن نكون صادقين ، وعهد الله إلينا أن نكون أ ُمناء ، وعهد الله إلينا أن نُؤدِّي الأمانات إلى أهلها ، وعهد الله إلينا ألا نظلم بني البشر، وألا نكذب ، وألا نأخذ ما ليس لنا ، وأن لا نخون الأمانات ، لأن نقض العهد يكون بعدم العمل بما في الكتاب والسنة ، فكل أمرٍ في القرآن هو عهدٌ عَهدَ الله به إلينا ، و كل أمرٍ في القرآن ، وكل أمرٍ في سنة النبي صلى الله عليه و سلم هو عهدٌعهد الله به إلينا لنطَبِّقَهُ ، فإن طبَّقناه فقد وفَّينا بهذا العهد ، وإن لم نطبقه فقد نقضناعهدنا مع الله ، فكل إنسان يعصي الله فقد نقض عهده مع الله ، و نقض العهد مع الله عدم تطبيق أمره والوقوع في نهيه ، فهذا هو نقض العهد ، فالفاسقون لماذا هم فاسقون ؟ لأنهم نقضوا عهدهم مع الله تعالى .

والفاسق يقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فأي إنسان دعا إلى معصية ، أو رَوَّج لها ، أو دعا إلى دنيا مُغْريةٍ ، أو رَغَّب الناس بشيءٍ لا يُرضي الله ، فهو يدعو إلى شيء يقطع عن الله ، وأكبر كلمة وأكبر جريمة يرتكبها الإنسان أن يكون قاطعا ً عن الله تعالى ، فأنواع المعاصي كلها تقطع عن الله ، فإذا كانت حرفة إنسان مَبْنِيَّةً على معصية الله تعالى، كأن يملك ملهى مثلا ً ، فهو يقطع الناس عن الله عزَّ وجل ، و أي حرفة مبنية على معصية الله ، فهي في حقيقتها قطع الناس عن رَبِّهم ، فهذا الذي يُروِّج للشهوات ويُحَبِّبُهَا للناس إنما يقطعهم عن الله بشكل أو بآخر ، و من باب أولى قطيعة الرحم التي أمر الله بها أن توصل ، و عقوق الوالدين ، و غيرها من القطيعة .

والفاسق يفسد في الأرض ، و الله لا يحب الفساد ، و أهل الفسق يفسدون العلاقات ، و يفسدون الأخلاق ، و يفسدون براءة الصِغار، فهناك أعمال فنية مستوردة تُعْرَض على الصغار فيها كل شيء من الفسق والفجور والعلاقات الغرامية ، فهناك جهات بعيدة و قريبة تَكِيْدُ للإسلام والمسلمين .

والفاسق هو الخاسر في الدنيا قبل الآخرة ، و الحاكم الفاسق إذا كان فسقه لنفسه من خلال تقصيره و معاصيه ، و لا يتعدى فسقه لغيره ،كأَنْ يأمر الناس أن يفعلوا ما يفعله هو من فسق و فجور ، فإنه يُطاع أمره ما دام لا يأمرنا بمعصة الله تعالى ، أو مخالفة شرعه ، أو مخالفة سنة نبيه عليه الصلاة و السلام ، فإذا أمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة ، فإذا أكره الناس على فعل المحرمات ، أو نهاهم عن إقامة شعائر دينهم وجب

الخروج عليه عندئذٍ . و هذه الطاعة ليست مشروطة بِكَوْن الإمام عادلاً أو غير عادل ، بل حتى ولو كان فيه شيء من الجور والفسق على نفسه ، كأن يكون فيه تقصير في حق الله تعالى ، أو بعض حقوق الآدميين ، لأن العادل الخائف المراقب لله عز وجل قَلَّ أن يأمر بمعصية وهو يعلم أنها معصية ، أما الذي قد يأمر بمعصية لله تعالى فهو الجائر والفاسق ، فهذا يُطاع في طاعة الله ويُعصَى في معصية الله ، ما لم يصل به جوره وفسقه إلى الحد الذي يوجب عزله .

٣ - حكم الخروج على الحاكم الكافر :

من خلال كل ما مرَّ معنا من النصوص الشرعية والأدلة القرآنية ، لا بُدَّ لنا أن نصل إلى نتيجة واضحة و بينة بأنه : **لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين :**

أحدهما : وجود كفر بواح عندهم من الله فيه برهان .

الثاني : القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر منه ، وبدون ذلك لا يجوز، لأن القاعدة الشرعية المجمع عليها معروفة لدى الجميع أنه :

[**لا يجوز إزالة الشَّرّ بما هو أشر منه**] بل يجب دَرْءُ الشر بما يزيله أو يُخَفِّفُهُ ، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين ، فإذا كانت طائفة تريد إزالة السلطان الذي فعل كفراً بواحاً ، وعندها قدرة تزيله بها ، وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين ، وشرٌّ أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس .

أما إذا كان الخروج على الحاكم يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن ، وظلم الناس واغتيال من لا يستحق الاغتيال ظلماً ، إلى غير هذا من الفساد العظيم ، فهذا لا يجوز ، بل يجب الصبر عليه والسمع والطاعة في المعروف ، ومناصحته ما أمكن ، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله قدْرَ المستطاع ، وتكثير الخير و تنميته بأكبر حجم ممكن .

<u>والخلاصة في الخروج على الحكام بشكل عام :</u>

ما جاء في الحديث الصحيح : عن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه ، قال : دخلنا على عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وهو مريض ، قلنا : أصلحك الله ، حدث بحديث ينفعك الله به، سمعتَهُ من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا : **« أنْ بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان »** [١] ، و في رواية الإمام مسلم : **« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم »** [٢] .

فيجب أن نفهم حديث رسول الله صلى الله علهٍ و سلم فهماً صحيحاً و دقيقاً ، ونأخذ منه الحكم كما أراده الله و رسوله صلى الله عليه و سلم ، و ليس كما يملي علينا هوانا ، لأننا غداً سنقف بين يدي الله عز وجل ، و هو الذي يعلم السر و أخفى ، و يعلم ما تكنُّه الصدور و تنطوي عليه .

مبحث ب ـ صفات الحاكم الذي يجب أن يطاع أمره و لا يُخرج عليه :

الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام ، وقاعدة أساسية من قواعد نظامه السياسي ، وهي من الأمور الضرورية لتمكين الإمام من القيام بواجباته الملقات على عاتقه ، وضرورية أيضًا لتمكين الدولة من تنفيذ أهدافها وتحقيق أغراضها ، وإن من أهم ما يميز نظام الإسلام عن غيره من النظم الأرضية التي وضعها البشر ، هو ذلك الوازع الديني في ضمير كل إنسان مؤمن ، لأنه يستشعر أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب عليه الطاعة لهذا الإمام المسلم العادل الحاكم بشرع الله تعالى ، الذي قام بواجبه تجاه رعيته و شعبه ، فيؤنبه ضميره ويردعه وازعه الديني عن الإخلال بنظام الدولة ، أو التمرد والعصيان على أي أمر من أمور الدولة التي وضعتها لصالح الأمة و الشعب، وإن غابت عنه عين الرقيب والحارس لهذا النظام ، لأنه يشعر بأن الرقيب الذي لا تخفى

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٧ .
[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٧٠ .

عليه خافية ، حيّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو مطلع عليه ، وعالم بأحواله في كل لحظة وأوان ، و هو بكل شيئ عليم . وهذا ما لا وجود له في النظم الأرضية ، فكل منهم يراقب عين الرقيب وحارس النظام ، ولكنه هو بشر مثلهم ، ومن طبيعة البشر الضعف والغفلة والتقصير ، فإن غاب عنه فلا رقيب ولا حارس ولا وازع ديني أو خلقي يردعه من التمرد على هذا النظام المراد حفظه .

وكذلك المؤمن إذا اتخذ هذه الطاعة قربة لله سبحانه وتعالى وعبادة ، فله عليها الأجر و الثواب الجزيل ، لأنه يطيعهم امتثالاً لأمر الله ورسوله عليه الصلاة و السلام بذلك ، لا لأشخاصهم . فيرجو من الله الثواب على هذا كله . أما النظم الأخرى فلا رجاء ولا أجر ، إلا ما يصيبه في هذه الحياة الدنيا من حطامها .

جاء في الحديث الصحيح : عن حذيفة رضي الله عنه قال : **« قلتُ : يا رسول الله : إنا كنا بِشَرِّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلتُ : وهل وراء هذا الشر خير ؟ قال : نعم ، قلتُ : فهل وراء هذا الخير شر؟ قال : نعم ، قلت : كيف ؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بِـ هُدَايَ ، ولا يَسْتَنُّونَ بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال ، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ، قال : قلتُ : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك ؟ قال : تسمعُ وتطيعُ وإن ضُربَ ظهرك وأُخِذَ مالك فاسمعْ وأطعْ »** [(١)] . فيجب أن لا تأخذنا العزة بالإثم فنُحَكِّم الهوى ، و نتغافل عن تحكيم شرع ربنا ، و الذي بيَّن لنا كل شيئ في كتابه المجيد ، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه و سلم ، إن أردنا أن نكون من المؤمنين المفلحين ، **{ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** [(٢)] .

فهذه الأحاديث و الآيات ، تَدُلّ في جملتها على أن الطاعة في المعروف واجبة على المسلم للإمام ، وإن منع بعض الحقوق واستأثر ببعض الأموال ، بل ولو تعدى ذلك إلى الضرر بالجسم كالضرب ، أو إلى أخذ المال ونحوه من الأمور الشخصية ، فعلى المؤمن القيام بما أوجبه الله عليه من الطاعة في المعروف ، وأن يحتسب حقه عند الله

---

(١) رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٧٦ .

(٢) سورة النور ، آية / ٥١ / .

عز وجل، فعند الله تجتمع الخصوم ، وذلك سدًّا لفتح باب الفتن والاختلاف المذموم الذي قد يحصل أو ربما حصل و وقع .

كما تدل الأحاديث و الآيات أيضاً على أن المؤمن ينبغي ألا يغضب ولا ينتقم إلا لله عز وجل ، لا لنفسه و دنياه أو هواه ، و ذلك أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في الصحيح : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت : **« ما خُيِّرَ النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه ، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط ، حتى تُنْتَهَكَ حرمات الله، فينتقم لله »** [1] . فإذا قصَّرَ الإمام في حقٍ من حقوق الدنيا لأحد من الرعية فعليه أن يطيعه في طاعة الله ، ولا يعصيه بسبب منعه هذا الحق ، وإن كان يرتكب شيئًا من المعاصي في نفسه ، وعنده تقصير في أداء بعض الواجبات لدينه هو ، ففي هذه الحال على المؤمن نصحه وطاعته في طاعة الله عزَّ و جل .

يقول الصباح بن سوادة الكندي : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾** [2] ، ثم قال : إلا أنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ؟

- إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يَهديكم للتي هي أقوم ما استطاع .
- وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة و لا المستكرهة ، ولا المخالف سرها علانيتها [3] .

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١٦٠ .
[2] سورة الحج ، آية / ٤١ / .
[3] انظر : تفسير القرآن العظيم ، للإمام المحدث ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ٥ ص ٤٣٧ .

و أخيراً أقول :

وتلخيصاً لكل ما ورد ، فإنني أحببتُ أن أنقل ما كَتَبْتُهُ منذ أكثر من عشر سنوات في كتابي : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر نقلاً عن كتاب : الجهاد و القتال في السياسة الشرعية ، للدكتور : محمد خير هيكل ، تحت عنوان : القتال ضد الحاكم المنحرف ،و بعد ذكر خلاصة أقوال الفقهاء القدامى و الكتَّاب الإسلاميين المعاصرين في مسألة مشروعية القتال ضد الحاكم المنحرف ما نصه ، و هو من أروع ما كُتِبَ . و بعد هذا سأذكر الرأي الذي أرُجِّحُهُ في هذه المسألة و هو أن الذي يُفهم من النصوص الشرعية ما يلي :

وجوب الصبر و المنع من قتال الحاكم ، إذا انحرف بفسقٍ ، أو ظلمٍ ، أو أمَرَ بمعصيةٍ ، عملاً بالأحاديث التي سقنا الكثير منها بصدد هذه المسألة ، إلا في حالات معينة من الانحرافات فإنه يُشْرع فيها القتال ، و هي و إن لم تصل إلى درجة الكفر البواح إلا أن الشارع اعتبرها بمنزلة الكفر البواح في مشروعية قتال الحاكم معها ، و ذلك لما يُرى من الخطورة على المجتمع الإسلامي إذا وُجِدَتْ فيه !

و هذه الانحرافات هي :

* ترك الحاكم للصلاة .

* ترك الحاكم للصوم .

للحديث الذ ي جاء فيه : **« ألا نقاتلهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، دعوهم ما صاموا و صلوا »** [١] .

* عدم إقامة الحاكم للصلاة في الأمة .

للحديث الذي جاء فيه : **« قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة »** [٢] .

---

[١] قال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف في الدرر السنية : رواه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ٥ ص ٢٢٧ ، و فيه بكر بن يونس و بقية رجاله رجال الصحيح ، و أنا لم أجده بهذا اللفظ إلا نقلاً عن كتاب : الجهاد و القتال في السياسة الشرعية ، للدكتور : محمد خير هيكل .

[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٨٢ .

* وهناك حالة رابعة من حالات الانحراف ما دون الكفر البواح ، و لكنها تأخذ حكم الكفر في مشروعية استخدام القوة المسلحة معها ، في مواجهة السلطة الحاكمة ، إذا برزت في المجتمع ، و هي حالة " **المعصية البواح** " أي المعصية السافرة الظاهرة التي تجري بين الناس مستعلنة لا تُقَابَلُ بتغييرٍ و لا نكير و ذلك للحديث الذي أورده ابن حجر " في الفتح " **« و أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تكون معصية الله بواحاً »** [1] .

* وهناك حالة خامسة من حالات الانحراف التي تأخذ حكم الكفر البواح و إن لم تكن كفراً بواحاً ، و هي التي تتمثل في رواية : **« ما لم يأمرك بإثم بواحاً »** فهذه الحالات الخمس دلت النصوص الشرعية على مشروعية استخدام القوة المسلحة معها لإسقاط الحكم حين صدور واحدة منها . و هي كلها لا تصل بالحاكم و لا بالنظام إلى درجة الكفر البواح ، ما دامت لم تقترن بما يدل على كفر الحاكم ، أو كفر النظام الحاكم، و لكن رغم ذلك فإن النصوص الشرعية أعطتها حكم الكفر البواح في الثورة على الحاكم إذا ظهرت ، و ذلك لما لها من آثار خطيرة تهدد المجتمع الإسـلامي كما يهدد الكفر البواح .

وأشارت النصوص الشرعية أيضاً إلى وجوب استعمال الثورة المسلحة عند ظهور الكفر البواح ، للحديث الذي جاء فيه : **« و أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان »** [2] ، و مفهوم هذا الحديث : نازعوا الأمر أهله أي قاتلوا أصحاب السلطة لنزع الحكم من أيديهم إذا رأيتم الكفر البواح الذي لا شك فيه.

و يتمثل الكفر البواح في ثلاثة أشياء :

* في الكفر البواح من الحاكم نفسه .

* في الكفر البواح من أفراد المسلمين بالإرتداد عن الإسلام دون ما نكير من الحاكم .

---

[1] نقلاً عن كتاب : الجهاد و القتال في السياسة الشرعية ، للدكتور محمد خير هيكل ، و لم أجد مصدراً للحديث إلا في كتاب : كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ، للشيخ علاء الدين بن قاضي خان ج ١ ص ١٠٤ ، و بدون تصنيف لدرجة الحديث .

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٩ ص ٤٧ .

* في الكفر البواح المتمثل في النظام الحاكم - أي : قيام نظام الحكم على عقيدة كفر - و لو لم يكفر الحاكم [1] .

مبحث ج - الحاكم مرآة عن رعيته و كما يكونـون يولى عليهم :

يقول عبد الملك بن مروان : تريدون منا أن نسير فيكم بسيرة أبي بكر و عمر! وأنتم لا تسيرون فينا بسيرة رعية أبي بكر و لا رعية عمر رضي الله عنهما !

فإذا أردنا حُكّاماً كأبي بكر و عمر رضي الله عنهما ، فعلينا أن نكون مثل رعيتهم عثمان و علي رضي الله عنهما ، فالحكام إفرازات طبيعية للشعوب و كما يكونوا يولى عليهم .

قال الله تعالى : **{وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [2]، فكما سلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس ، فكانوا أولياء لهم ، نسلِّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا ؛ بسبب ما يعملونه من المعاصي و الآثام .
قال قتادة في تفسـير الآية : إنما يولي الله الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان ، وحيث كان ، **والكافر ولي الكافر** أينما كان وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي . واختاره الطبري ، ويكون معنى الآية : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض ، يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور، بما كانوا يكسبون من معاصي الله ويعملون .

وقال الفضيل بن عياض : إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم ، فقف وانظر متعجباً.
وروى أبو الشيخ ابن حيان عن منصور بن أبي الأسود ، قال : سألتُ الأعمش عن قوله تعالى :**{ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [3] ، ما سمعتهم يقولون فيه ؟ قال : سمعتهم يقولون : إذا فسد الناس أُمِّرَ عليهم شرارُهم ، أي أن الولاية والإمارة تكون لأشرارهم ، كما قال تعالى: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا }** [4] ، أمرنا مترفيها بالطاعة ، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله ، وخلافهم أمره ، أي أن التولية بين الظالمين إما بالتعاطف والتناصر

[1] انظر كتاب : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لـ بكري أحمد حلاق ص ٥٢ - ٥٦ ، نقلاً عن كتاب : الجهاد و القتال في السياسة الشرعية .
[2] سورة الأنعام ، آية / ١٢٩ / .
[3] سورة الأنعام ، آية / ١٢٩ / .
[4] سورة الإسراء ، آية / ١٦ / .

فيما بينهم ، وإما بتسلط بعضهم على بعض وتأمّرهم عليهم ، فما من ظالم إلا سيبلى بأظلم منه . و الظلم عام يشمل الظالمين لأنفسهم ، والظالمين للناس من الحكام وغيرهم ، فكل فريق يتولى شبهه في الخلق والعمل ، وينصره على غيره .

قال ابن عباس رضي الله عنه : « إذا رضي الله على قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط على قوم ولَّى أمرهم شرارهم » .

وهذا تهديد عام لكل ظالم في الحكم والسلطة و غير ذلك [1] .

وجاء في قراءة عن ابن عباس ، قوله تعالى : **{ أمَّرْنا مُترَفِيها }** يقول : سلَّطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله : **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا}** [2] . وعن أبي العالية ، قال : **{ أمَّرْنا }** مثقلة: جعلنا عليها مترفيها : مستكبريها [3] .

فكما تكونوا يولى عليكم ... مقولة وحكمة مأخوذة من خلال النظر في تاريخ الناس ، أما عزوها و نسبتها للنبي صلى الله عليه و سلم على أنها حديث فليس بصحيح ، والله سبحانه و تعالى أعلم .

---

[1] انظر كتاب : التفسير المنير للشيخ الدكتور : وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ٨ ص ٤٦ ، بتصرف .
[2] سورة الأنعام ، آية / ١٢٣ / .
[3] انظر كتاب : جامع البيان في تأويل القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، ج ١٧ ص ٤٠٤ بتصرف .

الباب الثالث

فتنــة المـال . . .

الفصل الأول : حب المال و التعلق به .

مبحث أ - حكم الغنى و جمع الأموال .

مبحث ب - الغني الشاكر و الفقير الصابر .

مبحث ج - الإنفاق في سبيل الله سبب في زيادة الرزق .

الفصل الثاني : إنما أموالكم و أولادكم فتنة .

مبحث أ - طريقة الشكر على نعمة المال .

مبحث ب -الأثر السلبي في كثرة الغنى عند بعض الناس .

مبحث ج - محاسبة الإنسان عن المال من أين اكتسبه و فيما أنفقه .

الباب الثالث

فتنـــة المـال . . .

يقول الله سبحانه و تعالى في سورة الكهف : { الْمَالُوَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [١] . و سُمِّيَ " المال "مالاً لأنه يميل بصاحبه من حياة الفقر والعَوَز والحرمان إلى حياة الغنى والثراء والعطاء ، أو سُمِّيَ " المال" مالاً لأنه يميل من غيرك إليك ، ثم منك إلى غيرك و هكذا ... فالمال ظلٌّ زائل ، وعاريةٌ مسترجعة ، والدنيا مهما طالت فهي قصيرة ، ومهما عَظُمَتْ فهي حقيرةٌ ، فالليل مهما طال فلا بُدَّ من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بُدَّ من دخول القبر . و عَبَّر الله سبحانه و تعالى عنه بلفظ الزينة، لأن الزينة لها فرحتها و لها بهجتها ، و لها مناسباتها في الأعياد و الأفراح و جلب السعادة ، و لا يطول وقت وضعها كزينة ، و إلا فلن تكون زينة لو طالت ، و لا يصبح للزينة بهجتها و فرحتها و أُنسها . فكذلك حال المال فإن الله عَبَّر عنه بلفظ الزينة لأنه لا يدوم وجوده ، وإذا دام فلن يجلب لك السعادة المفقودة .

وإنما كان المالوالبنون زينة الحياة الدنيا لأن في المال جمالاً ونفعاً ، وفي البنين قوةً ودفعاً ، فصارا زينة الحياة الدنيا . ولكن معه قرينة الصفة للمال والبنين ، لأن المعنى : المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلاتُتْبِعُوهَا نفوسكم . وهو رد على عيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف ، فأخبر الله تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمرُّ ولا يبقى ، كالهشيم حين ذرته الريح ؛ إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعُدَدِ الآخرة .

وكان يُقال : لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيءٌ ذاهبٌ ، ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ، ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك . ويكفي في هذا قول الله تعالى :{ إِنَّمَاأَمْوَالُكُمْوَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [٢] . وقال أيضاً: يَا{أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ } [٣] .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٤٦ / .

[٢] سورة التغابن ، آية / ١٥ / .

[٣] سورة التغابن ، / ١٤ / ، و انظر كتاب : الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - للإمام محمد القرطبي ، ج ١٠ ص ٤١٤ .

وهنا لا بُدَّ وأن نُبَيِّنَ كما بَيَّنَتِ الآيات الكريمات و وضَّحت ، أنه ليس كل الأبناء أعداءً ، و ليستْ كل الزوجاتِ عدوات ؛ بل **(إنَّ مِنْ)** و هي للتبعيض و ليست للعموم ، أي إنَّ بعضاً مِن أزواجكم ، وبعضاً من أولادكم أعداء لكم ، يصدونكم عن سبيل الله تعالى ، ويُثَبِّطُونكم عن طاعة الله ، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم في كل ما أرادوا ، حتى لا يجعلوكم بخلاءَ ، فعندما يريد المرءُ الصدقة مثلاً يأتيه إبليس و يقول له : أولادك وزوجتك أولى بذلك المال و تلك الصدقة ، فهم يحتاجون كذا و كذا ، وإذا أراد الجهاد في سبيل الله قال له إبليس : من سيرعى أولادك من بعدك لو قُتلتَ ؟ و من سينفق عليهم ؟ و من سيربيهم ؟ فيجبُنُ و لا يذهب ، و يَبْخَلُ فلا يتصدق . كما جاء في الحديث الصحيح : عن يعلى العامري رضي الله عنه ، أنه قال : جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فَضَمَّهُمَا إليه و قال : « إنَّ الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ » [١] .

و رحم الله تعالى من قال :

إنَّ الغنيَّ و إن تكلَّم بالخطأ * * * قالوا : أصبتَ وطبَّقوا ما قال

و إذا الفقير تكلم قالوا كلهم : * * * أخطأتَ يا هذا و قلتَ ضلالا

إنَّ الدراهم في المجالس كلها * * * تكسو الرجال مهابةً و جلالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحةً * * * وهي السلاح لمن أرادَ قتالا

ومع ذلك كله فلا تحسب أن كل ذي مالٍ سعيد ؛ ولعل البعض منا قد تابع قصة أغنى امرأة في العالم على وسائل الإعلام ، فتاة في العشرين من عمرها ، إنها : كريستينا أونسيس ابنة الملياردير الشهير أونسيس ، لما هلك أبوها ورثتْ منه هذه الفتاة مع زوجة أبيها هذه التركة الضخمة ؛ المليارات ، والأساطيل ، والشركات ، وتزوجتْ هذه الفتاة برجل أمريكي عاشت معه فترة قصيرة ثم طلقته ، ثم تزوجت برجل يوناني عاشتْ معه فترة قصيرة فطلقها أو طلقته ، ثم تزوجتْ برجل روسي شيوعي ، فتعجب الصحفيون في حفل زفافها ، وقال لها صحفي : كيف تلتقي قمةُ الرأسمالية بالشيوعية؟ فقالت الفتاة بصدق ووضوح : أبحثُ عن السعادة ، ثم عاشتْ معه وطلقته ، ثم تزوجت للمرة الرابعة برجلٍ فرنسي فتقدمت صحفيَّةٌ لتقول لها : هل أنتِ أغنى امرأة ؟ قالت :

---

[١] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٢٠٩ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

نعم . أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة . ثم وجدوها جثة هامدة في إحدى الشاليهات بدولة الأرجنتين . **فليس كل صاحب مال سعيد ...**

ولستُ أرى السعادةَ جَمْعَ مالٍ * * * و لكنَّ التقيَّ هو السعيدُ

تَأَمُّلات و نَظَرَات في الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف ؛ التي تحدثت عن قصة رجلين من الأمم السابقة ، أحدهما مؤمن و الآخركافر عنده الأموال الكثيرة ، و كان يظن أن ماله و غناه ، يمنعانه عقاب الله تعالى ، حتى نزل به ما كان يحذر و يخاف :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [١] .

[١] سورة الكهف ، آية / ٣٢ - ٤٤ / .

بين يدي الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف :

﴿ ٣٢ ﴾ واضربـلقومك يا رسول الله مثلاً ، قصة رجلين من الأمم السابقة : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر ، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب ، وأحطناهما بنخل كثير ، وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة .

﴿ ٣٣ ﴾ وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها ، ولم تُنْقِص من أنواع الثمار و الفواكه شيئًا ، و من شدة الجمال شققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر .

﴿ ٣٤ ﴾ و كان لصاحب الحديقتين الكافر ثمر وأموال أخرى ، فقال لصاحبه المؤمن ، وهو يحاوره في الحديث ، والغرورُ يملأ قلبه و كيانه : أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ أنصارًا وأعوانًا، و خدماً و حشَماً .

﴿ ٣٥ ﴾ ودخل الكافر حديقته ، وهو ظالم لنفسه بالكفر وعدم الإيمان بالبعث والنشور ، وهو يشكُّ في قيام الساعة ، بعد أن أعجبته ثمارحدائقهو كثرتها قائلاً : هذه الخيرات لا تبيد و لا تفنى أبداً .

﴿ ٣٦ ﴾ لا أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة ، وما أعتقد أن القيامة واقعة ، وإنْ فُرِضَ وقوعها كما تزعم أيها المؤمن و رُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا ؛ لكرامتي ومنزلتي عنده ، فأنا ذو مال و مكانة .

﴿ ٣٧ ﴾ قال له صاحبه المؤمن ، وهو يحاوره واعظًا لهو مرشداً : كيف تكفر بالله الذي خلقك مِن تراب ، ثم مِن نطفة الأبوين ، ثم سَوَّاك بشرًا معتدلَ القامة والخَلْق ! ؟ و لا شك في أن القادر على ابتداء الخلق ، قادر على إعادتهم و بعثهم من جديد .

﴿ ٣٨ ﴾ لكني أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك ، و إنكارك لنعم الله تعالى، وإنما أقول : إن المنعم المتفضل هو الله ربي وحده سبحانه ، ولا أشرك في عبادتي له أحدًا غيره أبداً .

﴿ ٣٩ ﴾ ويا ليتك حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدتَ الله ، وقلتَ : هذا ما تفضَّل الله عليَّ به و أراده لي ، لا قوة لي على تحصيله إلا بقوة الله وقدرته و إرادته .

﴿ ٤٠ ﴾ فإنْ كنتَ تراني أنني أقل منك مالاً وأولادًا ، و هذا ليس مقياس المكانة أو الخيرية عند الله تعالى ، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك .

﴿ ٤١ ﴾ فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك ، ويسلبك النعمة التي أنت فيها بكفرك ، ويُرسل على حديقتك عذاباً من السماء ، فتصبح أرضًا ملساء جرداءَ ، لا نبات فيها و لا ماء ، و لا تثبت عليها قدم ، ولا ينبت فيها ثمر ، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائرًا في الأرض ، فلا تقدر على إخراجه أبداً .

﴿ ٤٢ ﴾ وتحَقّقَ ما قاله الرجل المؤمن ، ووقع الدمار بالحديقة ، فهلك كل ما فيها ، فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها من أموال كثيرة ، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض ، وهو يقول : يا ليتني عرفتُ نِعَمَ الله وقدرته و عظمته ، ولم أشركْ به أحدًا . وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم ، لأنه جاء متأخراً .

﴿ ٤٣ ﴾ ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم ، و اغْتَرَّ بقوتهم و عددهم ، ليمنعونه مِن عقاب الله عزَّ و جلَّ النازل به، وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته أو قادراً على دفع ما نزل به من انتقام الله له .

﴿ ٤٤ ﴾ في مثل هذه الشدائد و في كل لحظة تكون الولاية والنصرة لله الحق وحده سبحانه ، هو خيرٌ جزاءً ، و أفضل من يجزي على الأعمال في الدنيا و الآخرة و يعطي ثوابها ، لأن خيرها سيكون له و لذريته من بعده ، فهذا عطاء الله لمن تولاهم من عباده المؤمنين ، و اعتمدوا عليه و توكلوا .

الفصل الأول

حب المال و التعلق به :

لقد استخدم القرآن الكريم في أكثر من آية كلمة : " **الخير** " بدل كلمة : " **المال**" قال الله تعالى مخبراً إيانا عن نبي الله سليمان عليه الصلاة و السلام : **{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}** [1] . أي : إنني آثرتُ حب المال عن ذكر ربي عندما انشغلتُ به حتى غابتِ الشمس أو كادت أن تغيب ، وانشغلتُ عن ذكر الله .

وكذلك أخبرنا الله تعالى عن حقيقة الفطرة الإنسانية التي جُبِلَ عليها : **{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}** [2] . إن الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص ، فإذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى ، وإذا أعطيناه المال و فتحنا عليه باب الخير فهو كثير المنع والإمساك ، مع أن الله تعالى جعل في أموالهم نصيباً معيَّناً فرضه عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم المعونة ، ولمن يتعفف عن سؤالها .

وكذلك أخبرنا الله تعالى عن طبيعة الإنسان بأنه يحب المال ،**{ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ }** [3] ، أي حبُّ المال شديدٌ لدى الفطرة البشرية ، فهو لأجل حب المال بخيلٌ ، أو وإنه لحب المال وإيثاره قوي مطيق ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس . فليس المقصود بالخير هنا هو الخير المعروف نفسه ، و إنما المقصود به **المال** .

ولما تحدث الله تعالى عن حقيقة الإنسان البشرية ، وصف الإنسان بشكل عام ولم يخص بكافراً أو عاصياً أو مؤمناً أو طائعاً ، بل الإنسان بكل ما تعنيه الإنسانية ، قال تعالى :**{ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا }** [4] ،حباً مفرطاً، فليس الأمر كما يظن هذا الإنسان و يحسب ، بل الإكرام من الله تعالى للإنسان هو بطاعته لربه جلَّ و علا ، والإهانة له بمعصيته ، كما قال تعالى **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**

---

[1] سورة ص ، آية / ٣٢ / .

[2] سورة المعارج ، آية / ٢١/ .

[3] سورة العاديات ، آية / ٨ / .

[4] سورة الفجر ، آية / ١٩ ـ ٢٠ / .

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [١]. فَمَحَطُّ نظر الخالق جلَّ و علا إلى الإنسان حتى يكرمه و يُفَضِّلَهُ على غيره ، هو قلبه و تقواه ، **" أَتْقَاكُمْ "** و لم يقل : أعلمكم ! أو أكثركم صلاة ! أو أكثركم صدقة ! لأنها كلها تزول بلحظة واحدة ، و يذهب أجرها ، و يضيع ثوابها ، إذا دخل الرياء قلب صاحبها ، **و أما التقوى** : فهي مخفية في قلب صاحبها لا يطّلع عليها إلا الله سبحانه و تعالى ، و لا يعرفها المخلوق لِيُقَيِّمَ بها الخَلْقَ ، وأنتم يا بني الإنسان - غالبِيَّتكم - لا تكرمون اليتيم ، ولا تحسنون معاملته ، ولا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المسكين ، بلتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلاً شديدًا ، و تتحايلون على بعضكم لتأخذوه و تأكلوه ، لأنكم تحبون المال حبًا مفرطًا .

فمن كان منكم يريد الآخرة برضا الله تعالى ؛ فسوف نزيده من العمل الصالح لنضاعف له أجره و ثوابه ، و يزداد قرباً منا ، و من كان منكم يبحث عن الدنيا الفانية وحطامها الزائل ، و التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، كما جاء في الحديث : عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربةَ ماء » [٢] ، قال الله جلَّ و علا : **{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ }** [٣] ، فمن كان يريد بعمله ثواب الآخرة وأدَّى حقوق الله التي أوجبها عليه ، وأنفق في الدعوة إلى دين الله تبارك و تعالى ، نَزِدْ له في عمله الحسن الصالح ، فنضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله تعالى من الزيادة ، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها ، نؤتِهِ **" منها "** ما قسمناه له ، وليس له في الآخرة شيء من الثواب ، و لفظ **" منها "** هنا يفيد التبعيض و التجزيئ ، أي : نؤته بقدر ما قسم الله له ، كما قال تعالى : **{ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا }** [٤] .

فمن كان طلبه الدنيا و زينتها العاجلة الفانية ، وكان يريد بعمله شهوات الدنيا نؤته منها ، ما قَدَّرناه له من حطامها وزخارفها ، **{وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ }** ،

[١] سورة الحجرات ، آية / ١٣ / .
[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٥٦٠ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[٣] سورة الشورى ، آية / ٢٠ / .
[٤] سورة الإسراء ، آية / ١٨ -١٩ / .

أي : ليس له في الآخرة نصيب من خيراتها الباقية ، ونعيمها الدائم ، لأنه لم يعمل للآخرة ، وسعى للدنيا وحدها دون الآخرة ، ولم يصدِّق بالآخرة ، ولم يعمل لها ؛ عجَّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده مما كتبه له في اللوح المحفوظ ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم ، يدخلها ملوماً مطرودًا من رحمته عز وجل ؛ وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة . ومَن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية ، وسعى لها بطاعة الله تعالى ، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولاً مُدَّخَراً لهم عند ربهم ، وسيثابون عليه .

فالله يعطي الدنيا و المال لمن يحب و لمن لا يحب ، و لكنه لا يعطي دينه إلا لمن أحب . كما جاء في آية أخرى تبين جانباً من ذلك : **{ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ }** [1] . فمن يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتَعها و كلَّ ما فيها ، نعطهم ما قُسِم لهم من ثواب أعمالهم في الحياة الدنيا كاملاً غير منقوص .

مبحث أ - حكم الغنى و جمع الأموال :

يقول الله سبحانه و تعالى : **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** [2] . فيا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله تعالى في كل شيء ، ولا تستغنون عنه لحظة أو طرفة عين ، وهو سبحانه وحده الغنيُّ عنكم وعن الناس جميعاً وعن كل شيء من مخلوقاته ، فإنَّ كل نعمة نراها هي منه سبحانه و تعالى .

و لم يُحَرِّم الله سبحانه وتعالى علينا جَمْعَ المال عندما يكون حلالاً ، و ما دام المال زينةَ الحياة الدنيا ؛ فإنه سيكون داخلاً تحت قول الله عزَّ وجل : **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }** [3] . أي : قل لهم يا رسول الله و أخبر هؤلاء الجهلة من المشركين : مَن الذي حَرَّم عليكم اللباس الحسن الذي جعله

---

[1] سورة هود ، آية / ١٥ / .
[2] سورة فاطر ، آية / ١٥ / .
[3] سورة الأعراف ، آية / ٣٢ / .

الله تعالى زينة لكم ؟ ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالمال الحلال الطيب من رزق الله تعالى ؟ فإنَّ ما أحله الله تعالى من الملابس الحسنة ، والطيبات من المطاعم والمشارب و **المال** الحلال ؛ حقٌّ للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركهم فيها غيرهم ، و هذه النعم كلها خالصة لهم يوم القيامة .

ولقد كان الكثير من الصحابة الكرام رضوان الله عنهم جميعاً أغنياء ؛ و يعملون بالتجارة وقد ملكوا المال الكثير الكثير ، كأمثال : أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والذيأعتق سبعةً من فقراء الصحابة كلهم يُعذَّبُ في سبيل الله : أعتق بلالًا رضي الله عنه ، وعامرَ بن فُهيرة رضي الله عنه، وزنّيرة رضي الله عنها ، والنهدية رضي الله عنها ، وابنتها ، وجارية بني المؤمل ، وأم عُبَيس رضي الله عنهم أجمعين . فكان أبو بكر رضي الله عنه معروفًا بالتجارة .

ومن **أغنياء الصحابة** عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد اشتهر عنه أنه جَهَّزَ جيشَ العُسْرَة ، وذلك في غزوةِ تَبُوك ، بتسعمائةٍ وخمسين بعيراً ، وأتَمَّ الألف بخمسين فرَساً .

ومن **أغنياء الصحابة** عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقد كان أهلُ المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف ، ثُلُثٌيُقرضهم ماله ، وثُلُثٌ يقضي دَينهم بماله، وثُلُثٌ يصِلهم بماله ، و مزاياه تكاد لا تحصى .

ومن **أغنياء الصحابة** طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه ، و كان يسمى بطلحة الفياض و طلحة الخير و طلحة الجود .

فلم يكن جمعُ المال الحلال يوماً من الأيام حراماً أو غير مباح ، أو فيه شبهة لأنه زينة الحياة الدنيا ، والله سبحانه و تعالىلم يَحْرِمْنَا خيراً فيه مصلحة لنا ، كما رأينا و علمنا ، **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ }** (١) . فلم يُحَجِّرْ علينا واسعَ رحمته و فضله ما دام حب المال في يد الإنسان و جيبه و ليس في عقيدته و قلبه .

---

(١) سورة الأعراف ، آية / ٣٢ / .

جاء في الحديث الصحيح : عن الزهري ، عن سالم : أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ عمر رضي الله عنه ، يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء ، فأقول : أعْطِهِ مَنْ هو أفقر إليه مني ، فقال : **« خُذْهُ ، إذا جاءك من هذا المال شيء و أنت غيرُ مُشْرِفٍ و لا سائل، فَخُذْهُ وما لا فلا تُتْبِعْهُ نفسك »** [1] ، قَالَ سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين : فَكَانَ أبي عَبدُ اللَّه لا يسأَلُ أَحداً شَيْئاً ، وَلا يَرُدُّ شَيئاً أُعْطِيه [2] .

وجاء في الحديث الصحيح أيضاً : أن النبي صلى الله عليه و سلم عَلَّمَ الصحابة الكرام والأئمةَ من بعدهم كيفية التعامل مع المال ، من خلال حُبِّهِ أو جَمْعِهِ أو طلبهِ : أنَّ حكيم بن حزام رضي الله عنه ، قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاني ، ثم سألته ، فأعطاني ، ثم سألته ، فأعطاني ثم قال : **« يا حكيم ، إن هذا المال خَضِرَةٌ حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه ، و من أخذه بإشرافِ نفسٍ لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى »** ، قال حكيم : فقلتُ : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضي الله عنه ، يدعو حكيماً إلى العطاء ، فيأبى أن يقبله منه ، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً ، فقال عمر : إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم ، أني أعرض عليه حَقَّهُ من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي [3] .

و معنى : (خَضِرَةٌ حلوة) ، كالفاكهة الخضرة في المنظر الحلوة في المذاق ولذلك ترغبه النفوس وتميل إليه وتحرص عليه . و معنى : (بسخاوة نفس) بغير إلحاح في السؤال ولا طمع ولا حرص ولا إكراه أو إحراج للمعطي . و معنى : (بورك له فيه) كَثُرَ ونما وكان رزقاً حلالاً يشعر بلذته . و معنى : (بإشراف نفس) بإلحاح في السؤال وتطلع لما في أيدي غيره وشدة حرصه على تحصيله مع إكراه المعطي وإحراجه . و معنى : (كالذي يأكل ولا يشبع) أي كالذي لا يقنع بما يأتيه وأصبح كمن

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ١٢٣ .
[2] انظر كتاب : رياض الصالحين للإمام النووي ، ج ١ ص ١٩٤ ، تجد قول سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ١٢٣ .

أصيب بمرض الجوع الكاذب الذي كلما ازداد أكلاً ازداد جوعاً فكلما جمع من المال شيئاًازداد رغبةً في غيره و ازداد شُحّاً وبخلاً بما في يده و حرصاً عليه . و معنى : (لا أرزأ) لاأُنْقِصُ ماله بالطلب أي لا آخذ . و معنى : (الفيء) ما أُخِذَ من الكفار من غير قتال . فلم يأخذ من أحدٍ شيئاً ، رضي الله عنه ، لأنه نَزَّهَ نفسه عن الجشع والطمع ، فيا لها من نزاهةٍ رفيعة القدر، بالغةِ الشأن .

فالترفع عن المكاسب المُحَرَّمَة والمشبوهة ، لا يكون إلا بالقناعة ، فهي كنز لا يفنى ، لأن الإنفاق منها لا ينقطع ، وكلما تعذر على القانع شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي بكل ما عنده . يقول النبي صلى الله عليه : **« أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإنَّ نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإنْ أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم »** [1] .

وإذا دخل الطمع قلب الإنسان لا تكفيه الدنيا بكل ما فيها ، و تضيق عينه ، و يحسد قلبه كل نعمة يراها على غيره ، لأنه يتمناها لنفسه ، ويتأثر و يغتاظ لو رآها على غيره ، و هذا داء خطير حلَّ في الأمة منذ زمن بعيد ، كما جاء في الحديث عن يعيش بن الوليد ، أن مولى للزبير، حَدَّثه أن الزبير بن العوام ، حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« دَبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، و لا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أفلا أنبئكم بما يُثَبِّتُ ذلك لكم ؟ أفشوا السلام بينكم »** [2] .

فالطمع في الدنيا و حطامها مرض لا نهاية له ، إلا إذا وُجِدَتِ القناعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **« لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب »** [3] .

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ٧٢٥ ، و **قال الألباني : حديث صحيح** .
[2] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٦٦٤ ، **وقال الألباني : حديث حسن** .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ٩٢ .

وجاء في الحديث : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : **« قد أفلح من أسلم ، ورُزِقَ كفافاً ، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه »** [1] . **فـالـقـنـاعـةُ كـنزٌ لا يـفـنى . . .**

مبحث ب - الغني الشاكر و الفقير الصابر :

يقول الله تعالى مخبراً عن حال **الشاكرين** و ما وعدهم به من خير و جزاء : **{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }** [2] ، أي : اذكروا حين أعلم ربكم إعلامًا مؤكّدًا ؛ لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله و كرمه ، ولئن جحدتم نعمة الله وأنكرتموها أو كفرتموها ؛ ليعذبنَّكم عذابًا شديدًا .

و قال أيضاً **{ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا }** [3] ، فماذا يفعل الله بهلاككم وعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله ، فإن الله سبحانه و تعالى غني عمَّن سواه ، وإنما يعذب الله العباد بذنوبهم و خطاياهم ، وكان الله شاكرًا لعباده على طاعتهم له ، عليمًا بكل شيء ، فلا يغيب عنه حالكم ، و لا تخفى عليه خافية. **{ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }** [4] . فمن شكر الله على نعمه فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه ، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره ، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم يوم القيامة ، و يعطي كل مخلوق جزاء ما عمل .

فـاللـهُ قدْ وَعَدَ الشـاكـرين و الصـابـرين بـالـجنـة . . .

كما ورد عن أحد الصالحين ، أنه تزوَّج امرأةً صالحة فائقةَ الجمال ، و كان هو دميَم الخلقة و المنظر ، فكانت إذا نظرتْ إليه ابتسمتْ و قالت : الحمد لله ... فقال لها يوماً : و ماذا تقصدين بقولك ؟ فقالت : لأنني أنا و أنت من أهل الجنة و الحمد لله ،

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٢ ص ٧٣٠ .
[2] سورة إبراهيم ، آية / ٧ / .
[3] سورة النساء ، آية / ١٤٧ / .
[4] سورة النمل ، آية / ٤٠ / .

فقال لها : و كيف عرفتِ أننا من أهل الجنة ؟ فقالت له : لأنكَ رُزقْتَ بمثلي فشكرتَ و ابْتُلِيْتُ بمثلك فصبرتُ ؛ و الله قد وعد الشاكرين و الصابرين بالجنة .

وقال الله سبحانه و تعالى مخبراً عن بعض جزاء الصابرين : **{وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا }** [(١)] ، و قال أيضاً : **{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }** [(٢)] ، و قال أيضاً : **{وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ }** [(٣)] ، وقال أيضاً : **{وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [(٤)] ، و قال أيضاً : **{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ }** [(٥)] ، وقال أيضاً : **{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا }** [(٦)] .

ويقول الله سبحانه و تعالى مخبراً إيانا أنه يعلم خفايا نفوس الشاكرين و ما انطوت عليه سرائرهم : **{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ }** [(٧)] . وهنا يكون المراد بالمَنّ إعطاء المال وحسن حال العيش، ويكون الاستفهام مستعملاً في التحير على سبيل الكناية ، والإشارة إلى المشركين معتبراً فيها ما عُرفوا به من الإشراك وسوء الاعتقاد في الله . والمعنى : وكذلك الفتون الواقع لعظماء المشركين ، وهو فتون الإعجاب والكبرياء حين ترفعوا عن الدخول فيما دخل فيه الضعفاء والعبيد من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته استكباراً عن مساواتهم ، كذلك كان فتون بعضٍ آخر وهم بعض المؤمنين حين يشاهدون طيب عيش عظماء المشركين في الدنيا مع إشراكهم بربهم ، فيعجبون كيف مَنَّ الله بالرزق الواسع على من يكفرون به ولم يَمُنَّ بذلك على أوليائه وهم أولى بنعمة ربهم . وقد أعرض القرآن عن التصريح بفساد هذا الخاطر النفساني اكتفاء بأنه سماه فتنة ، فعلم أنه خاطر غير حق ، وبأن قوله **{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}** مشير إلى إبطال هذه الشبهة . ذلك بأنها شبهة خلطت أمر شيئين متفارقين في الأسباب ،

---

(١) سورة الإنسان ، آية / ١٢ / .
(٢) سورة الزمر ، آية / ١٠ / .
(٣) سورة القصص ، آية / ٨٠ / .
(٤) سورة النحل ، آية / ٩٦ / .
(٥) سورة المؤمنون ، آية / ١١١ / .
(٦) سورة الفرقان ، آية / ٧٥ / .
(٧) سورة الأنعام ، آية / ٥٣ / .

فاشتبه عليهم الجزاء على الإيمان وما أعدَّ الله لأهله من النعيم الخالد في الآخرة ، المترتب عليه ترتب المسبب على السبب المجعول عن حكمة الله تعالى ، بالرزق في الدنيا المترتب على أسباب دنيوية كالتجارة والغزو والإرث والهبات . فالرزق الدنيوي لا تَسَبُّبَ بينه وبين الأحوال القلبية ولكنه من مسببات الأحوال المادية فالله أعلم بشكر الشاكرين ، وقد أعد لهم جزاء شكرهم ، وأعلم بأسباب رزق المرزوقين المحظوظين . فالتخليط بين المقامين من ضعف الفكر العارض للخواطر البشرية ، والناشئ عن سوء النظر وترك التأمل في الحقائق وفي العلل ومعلولاتها . وكثيراً ما عَرضَتْ للمسلمين وغيرهم شبهٌ وأغلاطٌ في هذا المعنى صرفتهم عن تطلب الأشياء من مظانها وقعدت بهم عن رَقْو أخلالهم في الحياة الدنيا ، أو غرتهم بالتفريط فيما يجب الاستعداد له ، كل ذلك للتخليط بين الأحوال الدينية الأخروية وبين السنن الكونية الدنيوية [١] .

و أجمل مافي هذا كله مارأيته في محل والد صديقي و اسمه عبد الغني و كنا طلاباً يومها في المدرسة الشعبانية ، فرأيتُ في المحل ورقة كبيرة فوق رأسه مكتوباً عليها : **كيف أخشى الفقر يوماً و أنا عبد الغني ! ؟**

و رحم الله من قال هذه الأبيات :

لاتخْضَعَنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ * * * فإنَّ ذلك نقصٌ منكَ في الدين

لنْ يقدرالعبدُ أن يعطيك خَرْدَلَةً * * * إلا بإذن الذي سَوَّاكَ من طين

فلا تصاحبْ غنياً تَسْتَعِزُّ بهِ * * * وكنْ عفيفاً و عَظِّمْ حُرْمَةَ الدين

واسترزق اللهَ مما في خزائنه * * * فإنَّ رزْقَكَ بين الكاف و النون

واستغن بالله عن دنيا الملوكِ كما * * * استغنى الملوكُ بدنياهم عن الدين

اللهم أغننا بالإفتقار إليك ، و لا تفقرنا بالاستغناء عنك . . .

[١] انظر كتاب : التنوير و التحرير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ج ٧ ص ٢٥٥ ، بتصرف .

مبحث ج - الإنفاق في سـبيل الله سـبب في زيادة الرزق :

يقول الله سبحانه و تعالى مبيناً ثواب الإنفاق في سبيله و جزاءه : **{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [١] . فمِن أعظمِ ما ينتفع به المؤمنون في حياتهم و بعد مماتهم ؛ الإنفاقُ في سبيل الله . ومثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة زُرعتْ في أرض طيبة ، فإذا بها قد أخرجت ساقًا تشعَّب منها سبع شعب ، لكل واحدة سنبلة ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف الأجر لمن يشاء ، بحسب ما يقوم بقلب المنفق من الإيمان والإخلاص التام ، لأن فضل الله واسع ، وهو سبحانه عليم بمن يستحقه ، مطلع على نيات عباده وخفايا نفوسهم . **{ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ }** [٢] . الذين صبروا على أذى عدوهم من أجل ربهم ، و صبروا على الطاعة ليتقربوا أكثر لخالقهم ، وصبروا عن المعصية طلبًا لرضا ربهم ، وأدّوا الصلاة على أتمّ وجوهها ، وأدَّوا من أموالهم زكاتهم المفروضة ، والنفقات المستحبة في الخفاء والعلن ، ويدفعون بالحسنة السيئة فتمحوها ، فلهم العاقبة المحمودة في الآخرة بفوزهم و نجاحهم .

وأثنى الله على المنفقين أموالهم في سبيله ، و وعدهم بالأجر من عنده ، و أمَّنهم من الخوف والحزن فقال : **{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }** [٣] .

ولذلك أكّدَ النبي صلى الله عليه و سلم مقسماً لأمته ، أنه لن ينقص مال إذا تصدق صاحبه أبداً ، كما جاء في الحديث عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« ثلاثة أُقْسِمُ عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه »** قال : **« ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها**

(١) سورة البقرة ، آية / ٢٦١ / .
(٢) سورة الرعد ، آية / ٢٢ / .
(٣) سورة البقرة ، آية / ٢٧٤ / .

إلا زاده الله عزاً ، و لا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها » [1] .

ولما كان إيمان الصحابة رضي الله عنهم ثابتاً و قوياً ، صاروا يتنافسون بالصدقات و إنفاق أموالهم في أبواب الخير ، لأن الصدقة ما سُمِّيتْ صدقة إلا لأنها تُصَدِّق إيمان صاحبها بالله عز وجل عندما صَدَّق قول الله و رسوله صلى الله عليه و سلم أنَّ الله سيخلف عليه و يجازيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، فأنفق ماله و هو واثق بهذا كله ، على حسب قوة إيمانه ، كأمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والفاروق عمر رضي الله عنه ، كما جاء في الحديث : عن زيد بن أسلم ، عن أبيه رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول : **« أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلتُ : اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً ، فجئتُ بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيتُ لأهلك ؟ قلتُ : مثله ، قال : و أتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيتَ لأهلك ؟ قال : أبقيتُ لهم الله ورسوله ، قلتُ : لا أسابقك إلى شيء أبداً »** [2] .

و لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم مادحاً صنيعه و فعله : **« ما نفعني مال قطُّ ، ما نفعني مال أبي بكر »** قال : فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، وقال : يا رسول الله ، هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ! ؟ [3] .

واشترى عُثمان رضي الله عنه بئر رُومة ، وكانت ليهوديّ يبيع المسلمين ماءَها ، وجعلها للمسلمين هدية و صدقة ، وجَهَّزَ عثمان أيضاً جيشَ العُسْرَة ، وذلك في غزوةِ تَبُوك ، بتسعمائة وخمسين بعيراً ، وأتَمَّ الألف بخمسين فرَساً .

وجاء في الصحيحين : عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنهما، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ، يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بِيْرَحَاء - وهو موضع يعرف بقصر بني جديلة

---

[1] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٥٦٢ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[2] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٢ ص ١٢٩ ، **و قال الألباني : حديث حسن** .
[3] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٣٦ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

قبلي المسجد النبوي وهو بستان يسمى بهذا الاسم و أرضه منكشفة ظاهرة - ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب ، قال أنس : فلما أنزلت هذه الآية : **{لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ}** [١] ، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول : **{لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ}** [٢] ، وإنَّ أحب أموالي إلي بِيْرَحَاء ، وإنها صدقة لله ، أرجو بِرَّهَا وذُخْرَها عند الله ، فضَعْهَا يا رسول الله حيث أراك الله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« بخٍ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعتُ ما قلتَ ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين »** فقال أبو طلحة : أفعلُ يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه [٣] .

وهكذا الصحابة الكرام و التابعون من بعدهم و الصالحون رضي الله عنهم ، كانوا يكثرون الصدقات ، و يتفقدون الفقراء و المساكين وينظرون في حالهم ، وينمو الحب بينهم و يتزايد ، لأن القلوب جُبِلَتْ على حُبِّ من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ، وهذا نراه حتى في الحيوانات ، إذا أطعمتها و مسحتَ عليها بعطف و حنان واعتنيتَ بها ، فإنها تجلس بقربك و تستأنس بك و تؤانسك ، و لا تعاديك أو تعتدي عليك ، بل ستدافع عنك و تحميك ، و العكس صحيح أيضاً ، و من باب أولى الإنسان.

و رحم الله من قال هذه الأبيات :

رأيتُ الناس قد مالوا * * * إلى مَن عنده مالُ

و من لا عنده مالوا * * * فعنَهُ الناس قد مالوا

و كان البعض يزيد و يقول :

رأيتُ الناس قد ذهبوا * * * إلى مَن عنده ذهبُ

و من لا عنده ذهبُ * * * فعنَهُ الناس قد ذهبوا

ثم يقول الآخر:

رأيتُ الناس مُنْفَضَّة * * * إلى مَن عنده فِضَّة

و من لا عنده فِضَّة * * * فعنَهُ الناس مُنْفَضَّة

---

[١] سورة آل عمران ، آية / ٩٢ / .

[٢] سورة آل عمران ، آية / ٩٢ / .

[٣] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ١١٩ ، و الإمام مسلم في صحيحه أيضاً ، ج ٢ ص ٦٩٣ .

ويقول الآخر: إلى ما لا نهاية ، و كلها لها معنى و فائدة ، لأنها تحكي الحقيقة و الواقع . فالإنسان كلما كان كريماً عفيفَ النفس يُذِلُّ ماله فإنه سيُعِزُّ نفسه و لا يهينها، ويحبه الناس أكثر، و كلما كان إخراج المال عزيزاً عليه لا يُخرجه إلا بشقّ الأنفس ، فإنه سيُعِزُّ ماله و يُذِلُّ نفسه ، و قديماً قالوا في المثل العامي :

[زِلْ مَالَكْ ، زِلْ مَالَكْ ... عِزْ مَالَكْ ، عِزْ مَالَكْ ...] .

وأجمل ما نختم به هذا المبحث الجميل ، حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم الشامل و الجامع في ذلك كله ، و هو يُعطِّ الأمة دروساً و عبراً لا تُنسَى أبداً عندما جاءه رجل يسأله كما يقول الصحابي الجليل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قال : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ ، فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »** [1] .

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٣٧٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

الفصل الثاني

إنما أموالكم و أولادكم فتنة :

يقول الله تبارك و تعالى : **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }** [١] . فما أموالكم أيها الناس ولا أولادكم إلا ابتلاء واختبار لكم . والله عنده ثواب عظيم لمن آثر طاعته سبحانه و تعالى على طاعة هواه ، وأدَّى حقَّ الله تعالى في ماله ، و لم يُقصِّر في تنقيذ كل ما أمر الله جلَّ و علا .

وقدَّم الأموال على الأولاد لأنها كانت أعلقَ بقلوبهم ، ونفوسُهم وأمْيَل إليها ، فإنهم كانوا يقتلون أولادهم خشية ذهاب أموالهم ، كما قال تعالى : **{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا }** [٢] . فإذا علمتم أن الرزق بيد الله سبحانه فلاتقتلوا أولادكم خوفًا من الفقر؛ فإنه سبحانه و تعالى هو الرزاق لعباده ، ذو القوة المتين ، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء ، فإنَّ قَتْلَهم فيه ذنب عظيم و إثم كبير .

جاء في الحديث : عن ابن شهاب ، أن أبا إدريس الخولاني عائذَ اللهِ ، أخبره أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - أخبره قال : كان لا يجلس مجلساً للذِكْر حين يجلس إلا قال : « **اللهُ حَكَمٌ قِسطٌ هَلَكَ المرتابون** » ، فقال معاذ بن جبل يوماً : " إن من ورائكم فتناً يَكثر فيها المال ، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل ، والمرأة ، والصغير ، والكبير ، والعبد ، والحر، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يَتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن ؟ ما هم بِمُتَّبِعِيَّ حتى أبتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابْتُدِعَ ، فإن ما ابْتُدِعَ ضلالةٌ وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق " ، قال : قلتُ لمعاذ : ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال : « بلى ، اجتنبْ من كلام الحكيم المشتهرات التي يُقال لها ما هذه و لا يُثْنِيَنَّكَ ذلك عنه ، فإنه لعله أن يراجِعَ ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سمعتَه فإنَّ على الحق نوراً » [٣] .

---

[١] سورة التغابن ، آية / ١٥ / .

[٢] سورة الإسراء ، آية / ٣١ / .

[٣] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، **و قال الألباني : حديث صحيح الإسناد موقوف .**

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى في قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ }** [1] : أدخل (مِنْ) للتبعيض ، لأن كلهم ليسوا بأعداء . ولم يذكر (من) في قوله تعالى : **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }** [2] . لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما . فعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه رضي الله عنهما ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران يعثران فيهما ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطع كلامه ، فحملهما ثم عاد إلى المنبر ، ثم قال : **« صدق الله : {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ }** [3] **، رأيتُ هذين يعثران في قميصيهما ، فلم أصبر حتى قطعتُ كلامي فحملتهما . ثم أخذ في خطبته : الله عنده أجر عظيم »** [4] . يعني الجنة ، فهي الغاية ، و لا أجر أعظم منها في قول المفسرين . كما في الصحيحين واللفظ للبخاري : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ؟ فيقولون : لبيك ربنا و سعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً »** [5] . ولا شك في أن الرضا غاية الآمال [6].

ولقد عرفنا من خلال ما تقدم كيف تكون فتنة الأولاد ، حيث إنهم يمنعوك من فِعْل الخيرات حرصاً على تأمين مستقبلهم ، فإذا أردتَ الصدقة مثلاً جاءك إبليس و قال لك : أولادك أولى من الغريب فادفعها لهم ، و عندها يبخل الإنسان . و إذا أردتَ الجهاد في سبيل الله جاءك إبليس و قال لك : هل تريد لأولادك أن يعيشوا أيتاماً من بعدك ؟ و من الذي سيرعاهم لو استشهدتَ في سبيل الله ؟ و عندها يجبن الإنسان . و هذا كله مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كما ورد عن يعلى العامري

---

[1] سورة التغابن ، آية / ١٤ / .
[2] سورة التغابن ، آية /١٥ / .
[3] سورة التغابن ، آية /١٥ / .
[4] رواه : الإمام النسائي في سننه ، ج ٣ ص ١٠٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[5] رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١١٤ .
[6] انظر كتاب : الجامع لأحكام القرآن ، للإمام محمد القرطبي ، ج ١٨ ص ١٤٣ ، بتصرف .

رضي الله عنه ، أنه قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه و سلم ، فضمهما إليه وقال : « **إن الولد مبخلة مجبنة** » [1] .

مبحث أ - طريقة الشكر على نعمة المال :

يقول الله سبحانه وتعالى مُعَلِّماً عباده المؤمنين أن يأكلوا الرزق الحلال الطيب ثم أمرهم أن يشكروه على نعمه الغزيرة التي لا تُعَدُّ و لا تُحصى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** } [2] . أي : يا أيها المؤمنون كلوا من الأطعمة الطيبة المستلَذَّة الحلال التي رزقناكم إياها ، ولا تكونوا كالكفار الذين يُحَرّمُون الطيبات، ويستحِلُّون الخبائث ، ثم إن الواجب عليكم أن تشكروا لله نعمه العظيمة عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، إن كنتم حقًا منقادين لأوامره ، سامعين مطيعين له ، تعبدونه وحده لا شريك له .

ثم أخبرنا الحق جلَّ و علا أنه أعطانا من كل ما سألناه و لم يحرمنا ، و مع ذلك فنحن لا نستطيع عدَّ نعمة واحدة من نعم الله علينا و من باب أولى عدَّ نعمه و من باب أولى شكر نعمه ، فإذا كان العبد لا يستطيع عدَّ النعم فلا شك أنه مقصِّرٌ في شكرها ، { **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** } [3] . فهو أعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدُّوا نِعَم الله عليكم لا تطيقوا عدها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها ؛ لكثرتها وتنوُّعها . لأن الإنسان كثير الظلم لنفسه ، كثير الجحود لنعم ربه { **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** } [4] . إن الله لذو فضل عظيم على الناس بنعمه الكثيرة ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم .

فحقيقة الشكر أن نستخدم نعمة المنعم في طاعته ، فلا تعصيه في نعمه التي وهبك و أهداك إياها ، فيجدك حيث أمرك ، و يفتقدك حيث نهاك ...

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٢٠٩ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[2] سورة البقرة ، آية / ١٧٢ / .
[3] سورة إبراهيم ، آية / ٣٤ / .
[4] سورة البقرة ، آية / ٢٤٣ / .

فإن أعضاء جسدك ، بل جسدك كله سوف يشهد عليك يوم القيامة بكل ما فعلتَ أو عملتَ { **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** } [1] .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ، فقال : « **هل تدرون مِمَّ أضحك ؟** » قال قلنا : الله و رسوله أعلم ، قال : « **من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه : انطقي ، قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يُخَلَّى بينه و بين الكلام ، قال فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسحقاً ، فعنكُنَّ كنتُ أناضل** » [2] .

وطرق الشكر كثيرة : منها : التحدث بالنعمة و إظهارها ، و نسبتها للمنعم لا لنفسك و جهدك و ذكائك ، قال تعالى : { **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** } [3] . و الله سبحانه لَفَتَ انتباهنا في نسبة النعمة له جلَّ وعلا عندما قال : نعمة ربك ، حتى لا يظنَّ الإنسان أن له من الأمر شيئاً ، فهي منه و إليه سبحانه و تعالى . و جاء في الحديث : عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، رضي الله عنهم جميعاً ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده** » [4] .

فالشكر يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، ويكون بالجوارح . **أما بالقلب** : فهو إظهار الشكر لله بالتحميد و نسبة النعمة للمنعم ، **وأما بالجوارح** : فهو استعمال نعم الله في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، فمِنْ شكر العينين مثلاً أن تستر كل عيب تراه من مسلم ، ومِنْ شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه ، و لا تسمع بهما الغيبة أو النميمة ، أو ما حرَّم الله تعالى . فهذا كله يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء . **وأما الشكر باللسان** : فهو إظهار الرضى عن الله تعالى ، وهو مأمور به . **فالتحدث بالنعم شكر ، و تركه كفر ...**

---

[1] سورة يــس ، آية / ٦٥ / .
[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٨٠ .
[3] سورة الضحى ، آية / ١١ / .
[4] رواه : ألإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ١٢٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

ومن طرق الشكر : الشكر بالجوارح على نعمة الجسم و الأعضاء و صحة البدن و العافية ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : لَمَ تصنعُ هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : **« أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كَثُرَ لحمُهُ صلى جالساً ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع »** [1] .

ولذلك أثنى الله على نبيه نوح عليه الصلاة و السلام وامتدحه في القرآن الكريم ، فقال **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا }** [2] .

فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله ، فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها ، لإقدامه على تلك المعصية .

ومن طرق الشكر : طلب العبد من الله بالدعاء ، أن يعينه على شكره جلَّ و علا ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : **« إني لأحبك يا معاذ »** ، فقلتُ : وأنا أحبك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« فلا تدعْ أن تقولَ في كل صلاة : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »** [3] .

ومن طرق الشكر : أن تعلم النعمة و لا تتجاهلها ، فالخلق لم يقصروا عن شكر النعمة إلا للجهل بها والغفلة عنها ، فإنهم مُنِعُوا بذلك عن معرفة النعم ، ولا يُتَصَوَّر شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا النعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول أحدهم بلسانه : الحمد لله ، والشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى حقيقة الشكر أن تستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها ، وهى طاعة الله تعالى .

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ١٣٥ .
[2] سورة الإسراء ، آية / ٣ / .
[3] رواه : الإمام النسائي في سننه ، ج ٣ ص ٥٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

مبحث ب - الأثر السلبي في كثرة الغنى عند بعض الناس :

قال الله تعالى مخبراً البشرية عن صنف من الناس ، إذا كثر عليهم المال و زاد طغوا و فسدوا : **{كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ *أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ }** [١] ، أي : حقًا إن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى ، فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله ، فيجازي كلَّ إنسان بعمله . قال الله تعالى **{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }** [٢] ، أي : لا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الله و كل خير ، فتضيّق على نفسك وأهلك والمحتاجين ، و تمنعهم من الخير و العطاء ، ولا تسرف في الإنفاق ، فتعطي فوق طاقتك ، فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك ، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك .

ولذلك قال الله تعالى **إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً** ... أي إنه سبحانه و تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك القدر من المال ، فهو خبير بصير بمن يستحق الغنى وبمن يستحق الفقر، فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل ، بل لأجل رعاية المصالح بين العباد ، قد يكون الغنى في حقّ بعض الناس استدراجاً ، وقد يكون الفقر في حق بعض الناس عقوبة، و قد يكون ابتلاء و امتحاناً ، لأن ما خبَّأه له في الآخرة أعظم و أجزل و أكبر .

والمقصود بالآية الكريمة هنا : أنه سبحانه وتعالى عرَّف رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم كونه ربّاً ، والربُّ : هو الذي يربي المربوب ويقوم بإصلاح مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب ، فيوسع الرزق على البعض ممن يشاء ، ويضيقه على البعض ممن يشاء ، فمن الناس من لا يصلح له إلا الفقر و لو زاد المال عنده لفسد حاله ، و كم رأينا هذا الصنف من الناس هذه الأيام **إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ، بل رأينا من ترك الدين كلياً ، أو ربما صار يعادي الدين و أهله بمجرد ما صار من الأغنياء . و إنَّ من الناس من لا يصلح له إلا الغنى ، و لو افتقر لفسد حاله .

---

[١] سورة العلق ، آية / ٦ – ٧ / .

[٢] سورة الإسراء ، آية / ٢٩ - ٣٠ / .

وبالنهاية فإنَّ الأمر بيد الله تعالى ، فدعِ الخلق للخالق و لا تتدخلْ في أموره وشؤونه وقُل : **{ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [1] .

إنَّ ما جاء في سورة الكهف أكبر دليل على هذا كله ، عندما أخبرنا الله تعالى عن قصة الرجلين ، **أحد هما :** فقير مؤمن بالله ، **والآخر :** أطغاه غناه حتى كفر بالله تعالى ، بعد أن صارت كل أنواع الرفاهية والترف متوفرةً لديه ، فاغترَّ بالمال و كثرته حتى بدأ يقول : هذه الجنات و تلك الخيرات يستحيل أن تبيد أبداً ، فأنا بنيتها و زرعتها بجهدٍ مني و ذكاء ، ثم أنكر يوم الحسابو الجزاء ، و كذّب قيام الساعة ، و قال باستهزاء : إنْ كان هناك حساب فالله سيعطيني خيراً من هذه الجنات فأنا غني .

ولما حان وقت الانتقام من الله تعالى ، جعلها خاوية على عروشها ، و أصبح يقلب كفيه ندماً و ألماً على ما أنفق فيها ، و يقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ، و لكن ماذا يفيد الندم بعد أن وقع أمر الله تعالى . و كان المال وبالاً على صاحبه و لم ينفعه بشيئ أبداً ، ولم يدفع عنه عذاب الله في الدنيا ، و من باب أولى يوم القيامة .

ومِنْ أجمل و أروع أمثلة القرآن الكريم في هذه القضية أيضاً قصة أغنى مخلوق وُجد أيام موسى عليه الصلاة و السلام ، و ربما في هذه الأيام يوجد أمثاله ، لأننا لم نسمع عن غني أنه بنى بيته أو قصره من الذهب و الفضة كما فعل قارون ، كما وصف الله عز و جل كثرة ماله بشيئ عجيب و غريب :**{ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ }** [2] ، فإذا كانت مفاتيح خزائنه يصعب حملها على المجموعة من الرجال الأقوياء ، فكيف بكنوزه و ماله !

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ

[1] سورة آل عمران ، آية / ٢٦ / .

[2] سورة القصص ، آية / ٧٦ - ٨١ / .

وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ إلى أن قال الله جلَّ و علا : **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾** [١] .

إن قارون كان من قوم موسى عليه الصلاة والسلام فتجاوز حدَّه في الظلم والكِبْر والتجبر عليهم و الطغيان ، وأعطاه الله من كنوز الأموال شيئًا عظيمًا ، حتى إنَّ مفاتحه لَيثقل حملها على العدد الكثير من الرجال الأقوياء ، عندما قال له قومه : لا تبطر فرحًا بما أنت فيه من المال ، فإن الله لا يحب مِن خلقه البَطِرين الذين لا يشكرون لله تعالى ما أعطاهم ، والتمس فيما أتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا ، ولا تترك حظك من الدنيا ، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف و لا تبذير ، وأحسن إلى الناس بالزكاة و الصدقة ، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة ، ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من الظلم والبغي على قومك ، و لا تفسد في الأرض لأن الله لا يحب المفسدين ، فما كان الجواب لقومه الذين وعظوه إلا أن قال بِعُجْبٍ و كِبْرٍ و غطرسة : إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة - و نسي اللهَ تمامَ النسيان - ، أوَلَمْ يعلم قارون أن الله قد أهلك مِن قبله من الأمم مَن هو أشد منه بطشًا ، وأكثر جمعًا للأموال ؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ؛ لعلم الله تعالى بها ، إنما يُسْألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما عَلِمَهُ منهم . فخرج قارون على قومه في زينته ، مريدًا بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله ، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا : يا ليتَلنا مثل ما أُعطي قارون من المال والزينة والجاه ، إنَّ قارون لذو نصيب عظيم من الدنيا . وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون : ويلكم اتقوا الله وأطيعوه ، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله ، وعمل الأعمال الصالحة ، خيرٌ مما أوتي قارون، ولا يَتَقَبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه ، ويصبر على طاعة ربه ، ويجتنب معاصيه .

فخسفنا بقارون وبداره الأرض ، فما كان له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان ممتنعًا من الله إذا أحلَّ به نقمته . وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم : إن الله يوسِّع الرزق لمن يشاء من

---

[١] سورة القصص ، آية / ٧٦ / .

عباده ، ويضيّق على مَن يشاء منهم ، لولا أن الله مَنَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لَخسف بنا كما فعل بقارون ، ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

و بالنهاية خسر الدنيا و الآخرة ، وكان ماله الكثير سببَ هلاكه ، و القضاء عليه ، ذلك هو الخسران المبين ...

مبحث ج - محاسبة الإنسان عن المال من أين اكتسبه و فيما أنفقه :

يقول الله تعالى : **{ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ }** [١] . أيظنُّ الإنسان الجاحد لنعم الله تعالى بما جمعه من مال و وجاهة بين الناس و مكانةٍ في المجتمع أنَّ الله لن يقدر عليه ؟ ! أم يحسب الإنسان أن لن يقدر أحد عليه فيأخذ ماله ؟ ! و هل يظن ابن آدم أن لن يُسألَ عن هذا المال الذي جناه من حِلِّهِ و حرامه : من أين اكتسبه ؟ ! وأين أنفقه ؟ !
ثم يقول متباهياً : لقد أنفقتُ مالاً لبداً، أي: كثيراً ، و أنا أملك الكثير ...

فهل يظنُّ الإنسان في فعله هذا أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يراه ، ولا يحاسبه على الصغيرة و الكبيرة ؟ !

جاء في الحديث : عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن مالِه من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه »** [٢] .

وقال الله تعالى و هو يخبرنا كيف سَنُسْألُ و نحاسب عن كل النعيم الذي أنعمه علينا ، و من أهم هذه النعم ، نعيم المال : **{ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }** [٣] .
لا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال و جمعها ، فلو تعلمون حق العلم لانزجرتم عن ذلك و لم تتمادوا به ، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك . فإذا أدركتم ذلك و علمتموه

---

[١] سورة البلد ، آية / ٥ - ٧ / .
[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٦١٢ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**
[٣] سورة التكاثر ، آية / ٨ / .

حقاً لتبصرُنَّ الجحيم ، ثم لتبصرُنَّها دون ريب أو شك، ثم لتسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم ، ولسوف تسألون عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة ، وتسألون عن أنواع نعيم الدنيا من أمْنٍ وصحةٍ وفراغٍ ومأكولٍ ومشروبٍ ومسكنٍ وغير ذلك من النعم ، حتى عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه و تطبيق ما أُمِرتم به .

فكل أعمال ابن آدم و أفعاله يُسْأل عنها و يحاسب مرة واحدة ، إلا المال فإنه يُسْألُ و يحاسب عنه لمرتين :

* من أين أتى به ، و كيف جمعه ، و ما هو المصدر ، أحَلالٌ أم حرامٌ ؟

* أين وضع ماله ، و كيف أنفقه ، أسرف به أم بَذّر ، وهل صرفه في معصية الله تعالى ، وشجَّع به على اللهو و المعاصي ، أم في طاعة الله تعالى و رضوانه ؟

فهل أعددتَ الجوابَ للسؤالين ِغداً ؟

و عليه : فإنَّ الإسلام منهجٌ متكامل لحياة البشر، يضمن لمن التزم أوامره واجتنب نواهيه سعادة الدنيا والآخرة ؛ ذلك لأنه لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية ، وإنما هو نظام شامل للحياة في كافة جوانبها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وغيرها ؛ فهو ينظم للناس أمور دينهم ودنياهم، ويقيم توازنًا دقيقًا بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، كما أنه يقيم توازنًا بين حاجات الإنسان المادية و الروحية ، و بين حقوق الأفراد و واجباتهم تجاه بعضهم بعضاً ، وبين المصالح الفردية ، والمصالح الجماعية .

وقد اهتمَّ الإسلام بالمال اهتمامًا كبيرًا ؛ بوصفه عصب الحياة ، وقوام المجتمع ، بما يجعل المال أداةً إيجابيةً في خدمة البشرية دون غلوٍ أو طغيان ، ولقد جعل الله المال زينة الحياة الدنيا كما علمنا ، ونَدَّدَ القرآن بمن يحَرّمون على أنفسهم ما أحلَّ الله لهم من طيبات هذه الدنيا ، فالإسلام لم يقف حائلًا بين أتباعه وبين امتلاك المال ؛ طالما أنَّ هذا المال جُمِعَ من حلال ، والقصد من جَمْعِهِ هو الاستعانة به على طاعة الله والتصدي لنوائب الدهر وشدائد الأيام ، إذ إن الفقر يحول بين الإنسان وبين

قيامه بواجبه تجاه ربه وتجاه الناس ، لذا نجد من دعاء رسولنا الكريم صَلّى الله عليه وسلم الذي كان يدعو به صباح مساء ، كما جاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه ، أنه قال لأبيه : يا أبتِ إني أسمعك تدعو كل غداة **« اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت ، تعيدها ثلاثاً ، حين تصبح ، وثلاثاً حين تمسي »** ، فقال : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهنَّ فأنا أحبَّ أن أستنَّ بسنته ، قال عباس فيه : وتقول : **« اللهم إني أعوذ بك من الكفر، و الفقر ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثاً حين تصبح ، وثلاثاً حين تمسي ، فتدعو بهن فأحبُّ أن أستنَّ بسنته »** قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوات المكروب **« اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، وبعضهم يزيد على صاحبه »** [1] .

فكان صلى الله عليه و سلم يستعيذ من الفقر لما له من تأثير على حياة الإنسان ، وكذلك كان يتعوَّذُ من غلبة الدَّين ، كما جاء في الحديث الصحيح : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاءِ الكلمات : « اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين ، وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء » [2] .

فجامع المال يشقى و يتعب بجمعه ، و في النهاية يَتْرُكُ مَالَهُ كُلَّهُ ، و يُسْأَلُ عن مالهِ كُلِّهِ . . .

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، و بطاعتك عن معصيتك ، و بفضلك عمن سواك ...

[1] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ٣٢٤ ، **و قال الألباني : حسن الإسناد** .
[2] رواه : الإمام النسائي في سننه ، ج ٨ ص ٢٦٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

الباب الرابع

فتنة العلم . . .

الفصل الأول : طلب العلم و فضله .

مبحث أ - فضل طالب العلم و مكانته .

مبحث ب – الخلق كلهم عيال الله ، و أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

مبحث ج – العلم الشرعي هو أشرف العلوم .

مبحث د - الصبر في طلب العلم يفتح باب العلم على متعلمه .

الفصل الثاني : الإخلاص في طلب في العلم

مبحث أ - التواضع هو من أجمل صفات طالب العلم .

مبحث ب - التقوى خير زاد .

مبحث ج - العالم هو أول من تسعر به النار يوم القيامة إذا لم يعمل بعلمه .

مبحث د - كثرة الســـؤال و القيل و القال ، تهلك صاحبها و تحرمه العلم

الباب الرابع

فتنة العلم . . .

يقول الله تعالى مبيناً لنا مكانة العلم و أهله ، بعد أن شهد هو سبحانه و تعالى أنه المتفرد بالإلهية ، وقَرَنَ شهادته و ثَنَّاها بشهادة الملائكةالكرام ، و ثلّثها بأهل العلم المخلصين ، على أجلِّ مشهود عليه ، وهو توحيده سبحانه وتعالى وقيامه بالعدل ، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ، الحكيم في أقواله وأفعاله : **{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** [1] .

ثم مدح الله العلماء الثابتين في علمهم ، و المتمكنين منه ، الذين يتقون الله في فتواهم ، فقال : **{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }** [2] .

فالله الذي أنزل عليك القرآن : منه آيات واضحات الدلالة ، هن أصل الكتاب الذي يُرجع إليه عند الاختلاف ، ويُرَدُّ كلُّ ما خالفه إليه ، ومنه آيات أخر متشابهات تحتمل بعض المعاني ، لا يتعيَّن المراد منها إلا بضمها إلى المحكم ، فأهل القلوب الزائغة المريضة ، يتبعون الآيات المتشابهات وحدها ؛ من أجل أن يثيروا الشبهات بين الناس ، ليضلوا الناس ، على حسب مذاهبهم الباطلة . ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله . والمتمكنون في العلم يقولون : آمنا بهذا القرآن جملة و تفصيلاً ، كله قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويردُّون متشابهه إلى محكمه ، وإنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة والقلوب المؤمنة .

---

[1] سورة آل عمران ، آية / ١٨ / .

[2] سورة آل عمران ، آية / ٧ / .

ثم يمتدح الراسخين في العلم { لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا } [1] .

فالمُتَمَكِّنون في العلم بأحكام الله من اليهود ، والمؤمنون بالله ورسوله عليه الصلاة و السلام ، يؤمنون بالذي أنزله الله إليك وهو القرآن ، وبالذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالتوراة والإنجيل ، ويؤدُّون الصلاة في أوقاتها ، ويخرجون زكاة أموالهم ، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء ، أولئك سيعطيهم الله ثوابًا عظيمًا ، وهو الجنة .

ثم بين الحق تبارك وتعالى مرتبة العلماء عندما قال : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [2] .

فالله يرفع مكانة المؤمنين المخلصين منكم ، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان ، وفي هذا بيان لمكانة العلماء وفضلهم ورفع درجاتهم ، لأنه خبير بهم و بأعمالكم ولا يخفى عليه شيء منها ، وهو مجازيهم عليها .

تَأَمُّلات و نَظَرَات في الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف ؛ والتي تتحدث عن الرحلة في طلب العلم ، وأدب المتعلم مع معلمه ، و الصبر على المعلم أثناء تحصيل العلم من معلمه .

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن

---

[1] سورة النساء ، آية / ١٦٢ / .

[2] سورة المجادلة ، آية / ١١ / .

شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [1] .

بعد أن ذكر الله قصة أصحاب الكهف لإثبات قدرته على البعث ، وذكر أمثلة ثلاثة لتقرير حقيقة أن الحق والعزة والعلو لا ترتبط بكثرة المال والسلطان ، وإنما بالعقيدة والإيمان ، ليدرك تلك الحقيقة المشركون الذين افتخروا على فقراء المؤمنين ، وأبوا مجالستهم ، بعد هذا أردف الله تعالى بقصة ثانية هي قصة موسى مع الخضر، ليتعلم منه العلم ، وذلك ليفهم المشركون أن موسى النبي كليم الله مع كثرة علمه وعمله، أُمِرَ أن يتعلم من العبد الصالح الخضر ، مما يدل على أن التواضع خير من الكبر [2] .

بين يدي الآيات الكريمات :

﴿ ٦٠ ﴾ واذكر يا رسول الله لأمتك حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون : لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح ؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم .

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٦٠ - ٨٢ / .

[2] انظر كتاب : التفسير المنير ، للدكتور الشيخ وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ١٥ ص ٢٨٩ .

﴿ ٦١ ﴾ قام الإثنان وجَدًّا في السَّيْر، إلى أن وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة ، ونسيا هناكحوتهما الذي أُمر موسى بأخذه معه قوتًا لهما ، وحمله يوشع في مِكْتَل ، فإذا الحوت يصبح حيًّاً وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقًا مفتوحًا.

﴿ ٦٢ ﴾ وعندما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت ، وحينها شعر موسى بالجوع ، فقال لخادمه : أحضرْ لنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً شديداً .

﴿ ٦٣ ﴾ قال له خادمه : أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها ؟ فإني نسيت أن أخبرك ما حصل هناك من الحوت ، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان ، فإن الحوت الميت دبَّتْ فيه الحياة ، وقفز في البحر مسرعاً ، واتخذ له فيه طريقًا ، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه ، و شأنه غريب .

﴿ ٦٤ ﴾ قال له موسى : إن ما حصل هو ما كنا نطلبه ، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح ، فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى تلك الصخرة .

﴿ ٦٥ ﴾ فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر عليه السلام ، و الذي وصفه الله في القرآن الكريم بقوله : آتيناه رحمة من عندنا ، وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا.

﴿ ٦٦ ﴾ فسلَّم عليه موسى ، وقال له : أتأذن لي أن أتبعك ؛ لتعلمني جزءاً من العلم الغزير الذي علمك الله إياه ، حتى أسترشد به وأنتفع ؟

﴿ ٦٧ ﴾ فقال له الخَضِر : إنك يا موسى لن تطيق أن تصبر معي على اتباعي وملازمتي ، و بالذات إذا رأيت ما لم تعتد على رؤيته .

﴿ ٦٨ ﴾ وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمور تخفى عليك مما علمنيه الله سبحانه و تعالى ؟

﴿ ٦٩ ﴾ فقال له موسى : ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما سأراه منك ، ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به و لن أعصيك في شيئ .

﴿ ٧٠ ﴾ فوافق الخَضِر وقال له لي بذلك شرط : إنْ صاحَبتني فلا تسألني عن شيء تنكره ، و لا تستعجل علي حتى أبيّن لك من أمره ما خفي عليك دون سؤال منك.

﴿ ٧١ ﴾ فانطلقا يمشيان على الساحل ، حتى مرت بهما سفينة ، فطلبا من أهلها أن يركبا فيها معهم ، فلما ركبا قام الخضر مباشرة و قَلَعَ لوحًا من السفينة فخرقها ، فقال له موسى : أَخَرَقْتَ السفينة؛ لتُغرق أهلَها ، وقد حملونا بغير أجر ؟ لقد فعلتَ أمرًا منكرًا .

﴿ ٧٢ ﴾ فقال له الخَضِر : لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر معي على ما ستراه أثناء صحبتي .

﴿ ٧٣ ﴾ فقال له موسى معتذرًا : لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليَّ ، ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك ، وعاملني بيسر ورفق ، و تحمَّل ما بدر مني .

﴿ ٧٤ ﴾ فقبل الخَضِر عذره ، ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان ، فجاء الخضر إليه و أخذه على جانب من طرف الطريق ثم قتله ، فأنكر موسى عليه و لم يصبرثم قال له غتضباً : كيف قتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف ، ولم تقتل نفسًا ، حتى تستحق القتل بها ؟ لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا .

﴿ ٧٥ ﴾ ردَّ الخَضِر مسرعاً على موسى و معاتبًا له ومذكرًا : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا على ما سترى من أفعالي مما لم تحط به خُبْرًا ؟

﴿ ٧٦ ﴾ فقال له موسى : إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني ، لأنك قد بلغتَ العذر في شأني ولم تقصر ؛ حيث أخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا .

﴿ ٧٧ ﴾ فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية ، و يبدو أنهم كانوا بخلاء، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة ، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما ، فوجدا فيها حائطًا مائلاً يوشك أن يسقط على الأرض ، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا ، فقال له موسى : لو شئتَ لأخذتَ على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا .

﴿ ٧٨ ﴾ فقال الخَضِر لموسى : هذا وقتُ الفراق بيني وبينك قد حان ، و لكني سأخبرك بكل ما أنكرتَ عليَّ من أفعالي التي فعلتها ، والتي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها .

﴿ ٧٩ ﴾ أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس مساكين يعملون في البحر عليها سعيًا وراء رزقهم ، فأردتُ أن أعيبها بذلك الخرق ؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبًا من أصحابها .

﴿ ٨٠ ﴾ وأما الغلام الذي قتلته من دون ذنب ؛ فإنه قد كان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن ، فخشينا لو بقي الغلام حيًا أن يحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجتهما إليه .

﴿ ٨١ ﴾ فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا وبرًا بهما .
﴿ ٨٢ ﴾ وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي كان فيها الجدار، وكان تحته كنزٌ لهما من الذهب والفضة ، وكان أبوهما رجلاً صالحًا ، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما ، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما .

وكأنَّ لسان حال الخضر يقول : أهَمُّ ما في هذه الرحلة و ذلك الموضوع كله : أنني يا موسى ما فعلتُ جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ، و من تلقاء نفسي ، وإنما فعلته عن أمر الله لي به ، وهذا كله الذي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنه .

وتبدأ القصة لحظة قام نبي الله موسى عليه الصلاة و السلام خطيباً في بني إسرائيل ، فسأله أحدهم : أي الناس أعلم يا نبي الله ؟ فنظر فلم يجد مقاماً أعلى من مقام النبوة و الرسالة ، فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه .

جاء في الحديث الصحيح : عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ، فَسُئِلَ : أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إنَّ لي عبداًبِمَجْمَعِ البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : يا رب فكيف لي به ، قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل ، فحيثما فقدتَ الحوت فهو ، ثمَّ فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتل ، ثمَّ انطلقَ وانطلقَ معه بفتاه يوشع بن نون ، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما ، واضْطَرب الحوتُ في المكتل ، فخرج منه فسقط في البحر **﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾** [1] ، وأمسك الله عن الحوت جَرْيَةَ الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد ، قال موسى لفتاه **﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾** [2] ، قال : ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به ، فقال له فتاه : **﴿أَرَأَيْتَ إِذْ**

---

(١) سورة الكهف ، آية / ٦١ / .
(٢) سورة الكهف ، آية / ٦٢ / .

أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا } (1) ، قال : فكان للحوت سرباً ، ولموسى ولفتاه عجباً ، فقال موسى: **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا }** (2) ، قال: رجعا يَقُصَّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجَّى ثوباً فسلم عليه موسى ، فقال الخضر :وأنَّى بأرضك السلام ، قال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمني مما عُلِمّتَ رشداً، قال : **{إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }** (3) ، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علَّمَكَهُ الله لا أعلمه ، فقال موسى :**{سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا }** (4) ، فقال له الخضر : **{فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا }** (5) ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرتْ سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نَوْلٍ ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم قد حملونا بغير نَوْلٍ عمدتَ إلى سفينتهم فخرقتها **{لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا }** (6) ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت الأولى من موسى نسياناً ، قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً ، فقال له الخضر : ما عِلْمِي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله ، فقال له موسى : **{أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }** (7) ، قال : وهذه أشد من الأولى ، قال : **{قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ }** (8) ، - قال : مائل - فقام الخضر فأقامه بيده ، فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم

---

(1) سورة الكهف ، آية / ٦٣ / .
(2) سورة الكهف ، آية / ٦٤ / .
(3) سورة الكهف ، آية / ٦٧ / .
(4) سورة الكهف ، آية / ٦٩ / .
(5) سورة الكهف ، آية / ٧٠ / .
(6) سورة الكهف ، آية / ٧١ - ٧٣ / .
(7) سورة الكهف ، آية / ٧٤ - ٧٥ / .
(8) سورة الكهف ، آية / ٧٦ - ٧٧ / .

يضيفونا ، {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [١] ، قال : {هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [٢] ، إلى قوله : {ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} [٣] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَدِدْنا أنَّ موسى كان صبر حتى يَقُصَّ الله علينا من خبرهما » قال سعيد بن جبير : فكان ابن عباس يقرأ : (وَكَانَ أمامهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) ، و كان يقرأ : (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كافراً و كان أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْن) [٤] .

المعنى العام للحديث :

يخبر النبي صلى الله عليه و سلم أمته في هذا الحديث عن قصة نبي الله موسى عليه الصلاة و السلام ، عندماقام يوماً خطيباً في بني إسرائيل ، فوقف رجل منهم ليسأله : من هو أعلم أهل الأرض يا نبي الله ؟ فنظر كليم الله موسى عليه الصلاة و السلام فلم يجد أعلى من مكانة النبوة و الرسالة ، و اللتان كانتا تتمثلان به عليه الصلاة و السلام ، فقالها بكل ثقة : أنا أعلم أهل الأرض ، فعاتبه الله تعالى ، لأنه نسب العلم لنفسه و لم ينسبه لله تعالى ، ثم أوحى الله إليه : إن هناك رجلاً بمجمع البحرين ، ليس رسولاً و لا كليماً ، بل هو عبد من عادي آتيته رحمة من عندي ، و علمته العلم اللدني مني ، فهو أعلم منك يا موسى ، فاذهب إليه لتتعلم منه ، (مجمع البحرين) هو مكان اجتماع البحرين وصيرورتهما بحراً واحداً ، وهما في رأي الأكثرين بحر فارس والروم، أي ملتقى البحر الأحمر بالمحيط الهندي عند باب المندب ، وقيل : إنه ملتقى بحر الروم والمحيط الأطلنطي ، أي ملتقى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق عند طنجة ، فهو المكان الذي وُعِدَ فيه موسى بلقاء الخضر .
و احمل سمكة في (مكتل) وعاء يشبه القفة . و حيثما تفقد الحوت ستجد الرجل الصالح هناك ، وهي من أصعب الدلالات على الأماكن أو الأشخاص ، لأنك أنتَ عندما تدلُّ شخصاً ما على مكان تقول له : حيثما تجدُ مَعْلَمَ كذا فإنك ستجد فلاناً ، أما أن تقول له : حيثما تفقد شيئاً ستجد فلاناً ، فهو لا يدري متى سيفقده حتى تكون له علامة ، و لعل فيها حكمة ، و بالفعل (اضطرب الحوت) تحرك مع أنه ميت وقيل كان مشوياً ،

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٧٧ / .
[٢] سورة الكهف ، آية / ٧٨ / .
[٣] سورة الكهف ، آية / ٨٢/ .
[٤] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ٨٨ .

(سربا) مسلكاً يذهب فيه ، أي بقي مسلكه كوة ولم يلتئم الماء خلفه ، (جرية الماء) حالة جريانه ، (الطاق) الثقب غير النافذ . (لموسى ولفتاه عجباً) تعجبا من أمره لأنه خارق للعادة ، (مسجى) مغطى . (وأنَّى بأرضك السلام) من أين ، (رشداً) ذا رشد أرْشَدُ به في ديني ، (على علم) لدي علم ومعرفة ، (علم الله) الواسع المحيط بكل شيء ، (شيء) أعلمه وأنت تنكره، (أحدث لك منه ذكر) فإياك أن تسألني تنكره علي حتى أذكره لك بعلته وأبين لك شأنه من غير أن تسألني أنت ، و لكن عليك أن تتحلى بالصبر لكل ما سترى .

وعلى هذه الشروط بدأت هذه الرحلة الجميلة ، فبينما هما يمشيان على الساحل ينتظران سفينة ليركبا فيها ، فمرت بهما سفينة ، فكلَّمَا أصحابَها أن يركبا فيها معهم ، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير أجر، تكرمة للخضر، فلما ركبوا وسارت بهم السفينة في وسط البحر، قام الخضر بخرقها بفأس ، مستخرجاً لوحاً من ألواحها ، ثم رقعها . قال له موسى : أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً إمراً أي : أخرقتها لتغرق أهلها ، فيصير الخرق سبباً في إغراق أهلها ، لقد جئتَ شيئاً عظيماً منكراً . قال الخضر: ألم أقل : إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ ألم أقل سابقا لك : إنك لن تتمكن من الصبر معي على ما ترى مني من أفعال ؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيتُ ، ولا ترهقني من أمري عسراً فاعتذر موسى للخضر قائلاً : لا تؤاخذني بنسياني ، حيث تركتُ وصيتك أول مرة ، ولا تكلفني أمراً شاقاً عسيراً علي ، بل لا تعَسِّر علي متابعتك ، ويسِّرها علي و تغاضى عن تقصيري ، (نول) أجرة ، (فنقر) أخذ قطرة بمنقاره ، ثم اعلم يا موسى بأن علمي و علمك و علم الأولين و الآخرين بالنسبة لعلم الله لعلم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر الكبير . ثم نزلا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل ، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله، فقال له موسى : أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفس ، فهو لم يقتل أحداً حتى تقتصَّ منه ، لقد جئتَ شيئاً نكراً ، قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ وهذه أشد من الأولى، ثم قال : إنْ سألتك عن شيء بعدها ، فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدني عذراً ، (زاكية) طاهرة لم تذنب ، وهذه قراءة حجازي وأبي عمرو ، و أما قراءة حفص :**{ زَكِيَّةً }** . (نكراً) منكراً . (قد بلغتَ من لدني عذراً) أعذرك في مفارقتي لأنك بلغتَ النهاية في التنبيه . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعماأهلها ، فأبوا أن يضيّفوهما ، فوجدا

فيها جداراً يريد أن ينقضَّ فيسقط على الأرض ، فقال الخضر بيده هكذا و أشار بيده فأقامه و أصلحه ، فقال له موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا ، لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجراً قال الخضر : هذا فراق بيني وبينك ، (استطعما أهلها) طلبا منهم الطعام ضيافة ، (فراق بيني وبينك) وقت مفارقتي إياك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : **« يرحم الله موسى ، لوددتُ أنه كان صَبَرَ حتى يقص علينا من أخبارهما »** [١] . فلو صبر ودأب لرأى العجب ، لكنه أكثر الاعتراض ، فتعين الفراق .

فهذه رحلة موسى بن عمران عليه الصلاة و السلام نبي بني إسرائيل مع فتاه يوشع بن نون عليه السلام ، للقاء العبد الصالح وهو الخضر عليه السلام ، لتعليمه التواضع في العلم ، وأنه وإن كان نبياًمرسلاً و كليماً مقرباً ، فقد يكون بعض العباد أعلم منه ، وفيه تشجيع على رحلة العالم لطلب الازدياد من العلم ، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب ، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء ، وإن بَعُدَتْ أقطارهم و تفرقت أوطانهم ، كما كان دأب السلف الصالح رضوان الله عنهم . و هنا يبدأ التعليل من المعلم للطالب ببيان كل ما كان يجول في صدره ، و يعكِر صَفْوَ مزاجه ، حتى لا يُسيئ الظنَّ بمن يتعلم منه و يستفيد ، سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاث التي أنكرتها عليَّ ولم تستطع عليها صبراً ، فهذا بيانٌ وتفصيل لهذه الأحداث العجيبة :

أما السفينة :

أما السفينة التي خرقتُها فكانتْ لأناسٍ ضعفاءَ لا يقدرون على مدافعة الظَّلمة يشتغلون بها في البحر بقصد التكسب { فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا } بخرقها فأجعلها معيبة لئلا يغتصبها الملك الظالم { وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ } أمامهم ملك كافر ظالمٌ { يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } يغتصب كل سفينة صالحة لا عيب فيها .

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٨٤٩ .

وأما الغلام :

وأما الغلام الذي قتلتُه {فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} و كان الغلام كافراً فاجراً وكان أبواه مؤمنين ، كما جاء في الحديث : عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الغلام الذي قتله الخضر طُبِع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً** » [1] ، {فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً} فخفنا أن يحملهما حبُّه على اتّباعه في الكفر والضلال {فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً}فأردنا بقتله أن يرزقهما الله ولداً صالحاً خيراً من ذلك الكافر وأقربَ براً ورحمة بوالديه .

وأما الجدار :

وأما الجدار الذي بنيتُه دون أجر{وَأَمَّا الجدار فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المدينة وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا} و كاد الجدار أن يسقط فقد خُبِّئ تحته كنزٌ من ذهب وفضة لغلامين يتيمين {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً} كان والدهما صالحاً تقياً فحفظ الله لهما الكنز لصلاح الوالد ، قال المفسرون : **إن صلاح الأباء ينفع الأبناء ، وتقوى الأصول تنفع الفروع** {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا} أي فأراد الله بهذا الصنيع أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار {رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} رحمةً من الله بهما لصلاح أبيهما {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} أي ما فعلتُ ما رأيتَ من خرْق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدارعن رأيي واجتهادي ، بل فعلتُه بأمر الله وإلهامه {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} أي ذلك تفسير التي لم تستطع الصبر عليها وعارضتَ فيها قبل أن أخبرك عنها [2] .

والنتيجة التي يجب أن يكون الإيمان بها ثابتاً و قوياً ، أن كل ما حصل من أفعال الخضر عليه السلام ، مِنْ خرق السفينة ، و قتل الغلام ، و إصلاحٍ دون أجر، لم يكن منه بمحض إرادته ، أو باختياره ، وإنما هو بأمر من الله تعالى {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَّلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} [3] .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٥٠ .

[2] انظر كتاب : صفوة التفاسير ، للشيخ محمد علي الصابوني ، ج ٢ ص ١٨٤ ، بتصرف .

[3] سورة الكهف ، آية / ٨٢ / .

وهذا تصريحٌ بما يزيل إنكار موسى عليه تصرفاته هذه بأنها رحمة ومصلحة فلا إنكار فيها بعد معرفة تأويلها ، ثم زاد بأنه فعلها عن وحي من الله ، لأنه لما قال وما فعلته عن أمري علم موسى أن ذلك بأمر من الله تعالى ، وقد أسند الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين ، لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سره ، لأن فيهما دفع فساد عن الناس بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين .

والفرق بين : (أردتُ و أردنا وأراد ربك) في المراحل الثلاثة التي تقدمت في قصة الخضر و موسى عليهما الصلاة و السلام ، **أنَّ الأولى :** لما كان عمل الخَرْق عملاً مشِيْناً و ليس بحسن ٍ ولا محمود ٍ ، لأن الرب سبحانه ينسب إليه الشيء الطيب ، والعيب ظاهره ليس من الشيء الطيب ، فهو من التأدب مع الله تعالى ، حيث نسب إرادة العيب إلى نفسه ، ولم ينسبه إلى الله تعالى مع أنه هو الذي قدَّره ، فنسب الفعل إلى نفسه تأدُّباً مع الله تعالى وقال : **{فَأَرَدتُّ }** ، **وأما في الثانية :** فالإرادة تخصه هو ، و هو نبي ، يفعل عن أمر من الله ، ولذلك قال : **{وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ }** فناسب ضمير الجمع لما كان ، فكأنه أضاف القتل إلى نفسه ، والتبديل إلى الله تعالى فقال**{:فَأَرَدْنَا }** **وأما في الثالثة :** فهو جار ٍعلى الأصل من نسبة الخير إلى الله تعالى فقال : **{فَأَرَادَ رَبُّكَ }** ، وهذا من جنس قول الجن في سورة الجن ، حيث قال سبحانه عنهم : **{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا }** [1] ، فالشر لم يضيفوه إلى الله سبحانه وتعالى ، ولما جاء الرشد قالوا : **{أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا }** فنسبوا الرشد إلى الله سبحانه وتعالى ، لأن الرشد خير فنسبوه إلى الله ، وأما الشر فلا ينسب إليه ، **كما جاء في الحديث الصحيح :** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة ، قال : **« وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له، وبذلك أمرتُ وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي ، وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرفْ عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك**

---

[1] سورة الجن ، آية / ١٠ / .

وإليك ، تباركتَ وتعاليتَ ، أستغفرك وأتوب إليك » ، وإذا ركع ، قال : « اللهم لك ركعتُ ، وبك آمنتُ ، ولك أسلمتُ ، خشع لك سمعي ، وبصري ، ومخي ، وعظمي ، وعصبي » ، وإذا رفع ، قال : « اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات ، وملء الأرض، وملء ما بينهما ، وملء ما شئتَ من شيء بعد » ، وإذا سجد ، قال : « اللهم لك سجدتُ، وبك آمنتُ ، ولك أسلمتُ ، سجد وجهي للذي خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » ، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أسرفتُ ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت » [١] .

وكأنَّ حالَ الخضرِ عليه السلام يريد أن يقول لموسى عليه الصلاة و السلام ، يا موسى ثلاثة بثلاثة :

* يا كليم الله عجبتُ لك ، لقد لمْتَنِي على أنني خرقتُ السفينة خوفاً من أن يغرق أهلها ؛ أنسيتَ الذى حفظك من الغرق يوم ألقتك أمك في التابوت ، ثم في الماء ، و حفظك الله و لم تغرق ! ؟

* يا كليم الله لقدلُمْتَنِي على أنني قتلتُ غلاماً بغير نفس ؛ أنسيت يوم أنْ قتلتَ أنترجلاً من آل فرعون وقلتَ : ربى إني ظلمتُ فاغفر لي فغفر لك ! ؟

* يا كليم الله لقدلُمْتَنِي على أنني اقمتُ الجدار بدون أجر ؛ أنسيتَ يوم سقيتَ الغنم لبنات شعيبٍ بدون أجر ! ؟

فهذه الثلاثة بتلك الثلاثة يا موسى . . .

والذي يتبادر إلى الذهن ، إذا كان الأمر هو تعليم سيدنا موسى ، فما علاقة الأحداث التي جرت معه هو والخضر عليهما الصلاة و السلام ، وبين الدرس الذي سيتعلمه سيدنا موسى من سيدنا الخضر عليهما الصلاة و السلام ، فهناك علاقة وثيقة بين الدرس وبين الأحداث التي وقعت كما رأينا و الله تعالى أعلم ، **حتى لا يُفْتَتَنَ المرءُ بعلمهِ الذي علَّمَهُ الله إياه ، لأنه : {فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}** [٢] .

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ٥٣٤ .

[٢] سورة يوسف ، آية / ٧٦ / .

الفصل الأول

طلب العلم و فضله :

يقول الله تبارك وتعالى مخبراً إيانا عن برنامج وضعه لنا من أجل أن تستقيم الحياة على شكل صحيح : **{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }** [١].

أي : ما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم ، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعًا فلا يقاتلون العدو ، و إنما الأولى لهم : أن يخرج من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود ؛ من أجل أن يطلبوا العلم ويتفقهوا في دين الله عزَّ و جلَّ ، وما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم ، لعلهم يحذرون عذاب الله عندما يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه سبحانه و تعالى .

جاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من يردِ اللهُ به خيراً يُفقِّههُ في الدين »** [٢] ، والفقه في الدين هو العلم الذي يورث الخشية في القلب ويَظهر أثره على الجوارح ، ويترتب عليه الإنذار . كما يشير إليه قوله تعالى : **{ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }** [٣] ، فالفقيه هو : الزاهد في الدنيا ، الراغب في الأخرة ، البصير بأمر دينه ، المداوم على عبادة ربه سبحانه و تعالى .

وجاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة »** [٤] ، و كلمة : **(مسلم)** تشمل الذكر و الأنثى .

وجاء أيضاً : عن قيس بن كثير رضي الله عنه ، قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء رضي الله عنه ، وهو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما جئتَ لحاجة ؟ قال :

---

[١] سورة التوبة ، آية / ١٢٢ / .
[٢] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٨٠ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[٣] سورة التوبة ، آية / ١٢٢ / .
[٤] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٢٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

لا ، قال : أما قدمتَ لتجارة ؟ قال : لا ، قال : ما جئتُ إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رضاءً لطالب العلم ، وإنَّ العالم ليَسْتَغْفِرُ له مَن في السموات و مَن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر »** [1] .

ولقد وَجَّهَ الله الأمة بأسرها إلى العلماء ليسألوهم ، و يتعلموا منهم ، و يأخذوا من علمهم : **{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [2] ، فالعلماء هم أمناء الله على خلقه ، وهذا شرفٌ للعلماء عظيم ، ومحلٌ لهم في الدين خطير ؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والرجوع والتعويل في أمر الدين عليهم ، فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل ، كما تقدم في الآية الكريمة .

فطلب العلم فرض على كل إنسان مسلم ، كما صحَّ في الحديث : عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« طلب العلم فريضة على كل مسلم »** [3] .

والفَرْضِيَّةُ هنا كفائيةٌ و ليستْ فرضَ عين ، إلا فيما يكون من اختصاص ما تقوم به من عمل ، فإنها ستصبح فرض عين لا محالة ، فإذا أردت أن تصلي فإنه فرض عين عليك أن تدرس و تتعلم أحكام الطهاة ، و أحكام الوضوء ، و أحكام الصلاة ، حتى تكون عبادتك و صلاتك صحيحة .

وإذا كنتَ مستطيعاً لأداء فريضة الحج و قادراً على تأدية هذا الركن و تلك الفريضة ، فإنه يفترض عليك فرض عين أن تدرس و تتعلم أحكام الحج ، و أنواعه و أركانه و شروطه ، و واجباته و سننه و كل أحكامه ، حتى تُؤدي فريضة الله عليك على الوجه الصحيح الذي يُرضي الله تعالى ، و لا تشوبه شائبة ، و هكذا في كل أمر

---

[1] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٤٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

[2] سورة النحل ، آية /٤٣ / ، و سورة الأنبياء ، آية / ٧ / .

[3] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٨١ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** بدون زيادة فيه .

تريد فعله أو العمل به ؛ لأن الفقير غيرَ المستطيع ، لا يفترض في حقه حج بيت الله الحرام .

وإذا كنتَ صاحب مالٍ و تريد أن تؤدي الزكاة كما أمر الله تعالى ، فيفترض عليك أن تدرس و تتعلم أحكام الزكاة ، حتى تُبرّئ ذمتك من المسؤولية بشكل صحيح أمام الله تعالى .

وإذا أردتَ أن تعمل بالتجارة فيُفترض عليك أن تتعلم أحكام البيع و الشراء و المرابحة ، والديون و العقود ، و ما يتبعها من أحكام حتى لا تقع في الحرام و أنتَ تظن نفسك أنك تحسن صنعاً .

فليس الغاية من فرضية العلم هنا أن يصير كل الناس علماء شريعة متخصصين - و إن كان هو الأولى بكل مسلم **- و إنما المقصود طلب العلم الذي يبعدك عن الانزلاق و الوقوع في المحرمات ، لكل ما تقوم به من عمل الدنيا و الآخرة .**

فلو صار كل الناس علماء شريعة متخصصين مثلاً ، فمن الذي سيطبِّبُهُم إذا مرضوا ؟ ومن الذي سيُخَطِّطُ لهم بيوتهم و يهندسها إذا أرادوا أن يبنوا ؟ و من الذي سيزرع لهم إذا بدروا ؟ و من الذي سيحصد لهم إذا زرعوا ؟ و من الذي سيبيع لهم إذا حصدوا ؟ و من الذي سيخبز لنا الخبز إذا عجنوا ؟ ومن الذي سيصنع لهم السلاح إذا تقاتلوا ؟ و من الذي سيقوم بالأمور الضرورية التي يحتاجها الناس و يكمِّلُ بها بعضهم بعضاً ؟

و جاء في الحديث : عن زر بن حبيش رضي الله عنه ، قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلتُ : أَبْطُ العلم - أي أُظْهره وأفشيه من الإنباط ، أي جئتُ لإظهار العلم وتحصيله من العلماء - ، قال : فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ما مِنْ خارجٍ خرج من بيته في طلب العلم ، إلا وضعتْ له الملائكةُ أجنحتها رضاً بما يصنع** » [1] .

و قد شجَّعَ النبي صلى الله عليه و سلم على طلب العلم في أحاديث كثيرة ، و مواقف عدة ، كما ورد في الحديث عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثةُ نفر، فأقبل

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٨٢ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فأما أحدهما** : فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، **وأما الآخر** : فجلس خلفهم ، **وأما الثالث** : فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم : فأوى إلى الله فآواه الله ، و أما الآخر : فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر : فأعرض فأعرض الله عنه »** [1] .

وهذا يدل على مكانة العلم و فضل طالبه ، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ، قال آلله ِ ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ عنه حديثاً مني ، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : **« ما أجلسكم ؟ »** قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنَّ به علينا ، قال : **« آلله ِ ما أجلسكم إلا ذاك ؟ »** قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : **« أمَا إني لم أستحلفكم تُهْمَةً لكم ، و لكنه أتاني جبريل فأخبرني ، أنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكة »** [2] .

وقال الله تعالىمبيناً للأمة أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين العالم و غير العالم ، و أنه لن يستطيع التمييزفي هذه النقطة إلا أصحاب القلوب الفطنة الواعية : **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }** [3] ، قل لهم أيها الرسول : هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك ؟ لا يستوون ، إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة .

وضرب النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث مَثَلَ الذي يتعلم و يعلم غيره ، و ينتفع بهذا الخيرو ينفع غيره ، ومثل الجاهل الذي رفض العلم ، كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى ، والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانتْ منها طائفة

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ١ ص ٢٤ .
[2] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٧٥ .
[3] سورة الزمر ، آية / ٩ / .

طيبة ، قبلتِ الماء فأنبتتِ الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكتِ الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأً ، **فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فعلم و علم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »** [1] .

يقول الله تعالى مُعَلِّماً حبيبه إمام الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، سيدنا محمداً صلى الله عليه و سلم ، كيف يدعوه ، و بأي شيئ يستزيده : **{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا }** [2] . فالله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم ، والمراد بالعلم هنا ، العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الشرعية .

وجاء في الحديث : عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **« لا حسد إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته في الحق ، ورجلٌ آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها »** [3] . والمراد بالحسد الغبطة ، وهو أن يتمنى مثله .

يقول الإمام القرطبي : قال الربيع سمعت الشافعي يقول : **طلب العلم أوجب من الصلاة النافلة** [4] .

مبحث أ - فضل طالب العلم و مكانته :

يقول الله تعالى مبيناً للبشرية جمعاء مكانة العلماء ، و كيف رفعهم على الناس و فضّلهم عليهم درجات **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }** [5] .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٧٨٧ .
[2] سورة طه ، آية / ١١٤ / .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ١٠٨ .
[4] انظر كتاب : تفسير الإمام القرطبي ، ج ٨ ص ٢٩٦ .
[5] سورة المجادلة ، آية / ١١ / .

وقال أيضاً : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [١] .

والآيات في فضل العلم و أهله كثيرة و غزيرة ، و قد تقدم أغلبها في هذا البحث، وأما الأحاديث في هذا المجال أيضاً فتكاد لا تحصى ، ويكفي طالب العلم شرفاً و مكانة ، ما قاله عنه النبي صلى الله عليه و سلم ، كما جاء في الحديث : عن قيس بن كثير رضي الله عنه ، قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء ، و هو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما جئتَ لحاجة ؟ قال : لا ، قال : أما قدمتَ لتجارة ؟ قال :لا ، قال : ما جئتُ إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم ، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضلُ العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر** » [٢] .

فيكفي طالب العلم شرفاً و قدراً و مكانة ، أنه وَريْثُ الأنبياء الكرام عليهم الصلاة و السلام ، و أنه يستغفرُ له كل من في السموات من الملائكة ، و كل من في الأرض من الإنس و الجنّ و الحيوانات حتى الأسماك و حيتان الماء ، وفضله على العابد كفضل القمر ليلة البدر على كل الكواكب في السماء .

جاء في الحديث : عن أبي حازم رضي الله ، قال : أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأُعْطِيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » ، قال : فباتَ الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غَدَوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب » . فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » . فأتي به فبَصَقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأنْ لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال

---

[١] سورة الزمر ، آية / ٩ / .

[٢] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٤٨ ، و **قال الألباني : حديث صحيح** .

علي : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : « انْفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهُم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، **فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم »** [١] .

مبحث ب - الخلق كلهم عيال الله ، و أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله :

يقول الله تعالى مبيناً لنا أنه خلقنا و قدَّر لنا معيشتنا في هذه الحياة الدنيا ، و رفع بعض الناس فوق بعض لتتكامل الحياة ، فيُسَخِّرَ بعضهم بعضاً في حوائجهم الدنيوية ، فالكل بحاجة للكل ، و ليس أحد بمستغنٍ عن أحد ، و لا يستطيعون الاستغناء عن بعض ، لأن كل واحد مكمِّل لصاحبه ، حتى يحصل التكامل الإنساني الاجتماعي ، و الكل في الأول و الآخر بحاجة ماسَّةٍ إلى من خلقهم سبحانه و تعالى : **{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }** [٢] ، أي : هل هؤلاء المخلوقات هم من يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات ، و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات : هذا غنيٌّ وهذا فقير ، وهذا قويٌّ وهذا ضعيف ؛ ليكون بعضهم مُسَخَّرًا لبعض في المعاش . ورحمة الله خير مما يجمعون من حطام هذه الدنيا الفانية ، و الله سيجازي الجميع يوم القيامة بما عملوا ، أحسنوا أم أساؤوا ، حفظوا أم ضيعوا .

فنظرةُ الناس إلى الرزق بكثرته أو قلته ، لا تدلُّ على مكانة الشخص عند الله تعالى ، برفعتها أو تَدَنِّيْهَا ، فهي وسيلة و ليست غاية – و إن كان البعض يراها كل شيئ في الدنيا - ، فإذا قلَّ المال عند العبد المؤمن و نقُصَ ، فلا يدلُّ على أن الله يبغضه و لا يحبه ، وإذا كثُر المال عند العاصي و الكافر ، فلا يدلُّ على أنَّ الله يحبه فأعطاه المال ، فالله يرزق كل مخلوقاته ، إنسهم و جنهم ، وحيواناتهم و حشراتهم ، ولا ينسى أحداً من خلقه ، فهو الذي يرى النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويرى منها مخَّها و عروقها ، و يسمع دبيبها ، و يؤتيها رزقها . فالله يعطي النيا لمن يحب و لمن لا يحب ، و لكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فالدراهم تُعِيْرُ

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٥ ص ١٣٥ .
[٢] سورة الزخرف ، آية / ٣٢ / .

صاحبها ثوب العزّ مؤقتاً ، ثم تنزعه عنه حين يأذن الله ، لأنه ظِلٌّ زائل و عاريةٌ مسترجعة ، و إن كانت نَظْرَةُ الناسِ له على أنه هو كل شيئ .

و رحم الله من قال :

إنْ قلَّ مالي فلا خلٌ يصاحبنـي* * * وإنْ زادَ مالي فكلُّ الناس خِلَّاني

فكمْ عدو لاجلِ المال صاحبنـي* * * وكمْ صديق لفقدِ المال عاداني

قال الله تعالى : **{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }** [١] .

فالله فَضَّل بعضكم على بعض فيما أعطاكم في الدنيا من الرزق ، فمنكم غنيٌّ ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك ، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال ، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم ، فلماذا رضوا أن يجعلوا لله شركاء من عبيده ؟ إنَّ هذا لَمِن أعظم الظلم والجحود لِنعم الله عز وجل .

فالتقسيم في الرزق من الله تعالى للناس ، فيه العدل كل العدل منه جلَّ وعلا كما قال : **{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ}** [٢] ، لأنه لما أعطى الغني المال جعل للفقير فيه نصيب معلوم ، **{ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }** [٣] ، فلو أخرج الغني زكاة ماله المفروضة عليه ، لَمَا وجدنا فقيراً واحداً في الكون كله ، ولَمَا رأينا في الطريق سائلاً ، و لا في السجون قاتلاً ، و في البيوت عاطلاً ، و استراح القاضي ، و بات كلٌ عن أخيه راضٍ، فمن باب أولى الصدقات ، و لذلك شجَّع الله على الصدقات بمضاعفة الأجر إلى أضعاف كثيرة ، في آيات كثيرة ، منهاَّ: **{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }** [٤] ، و كذلك في سورة الحديد : **{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }** [٥] .

---

[١] سورة النحل ، آية / ٧١ / .

[٢] سورة الزخرف ، آية / ٣٢ / .

[٣] سورة المعارج ، آية / ٢٤ - ٢٥ / .

[٤] سورة البقرة ، آية / ٢٤٥ / .

[٥] سورة الحديد ، آية / ١١ / .

فالله ليس بحاجة إلينا و لا إلى أموالنا لأنه هُوَ **{ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }** [١]، فهو الذي أعلن للناس قاطبة قائلاً لهم :**يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** [٢] ، فمن ذا الذي ينفق مالهفي سبيل الله إنفاقًا حسنًا احتسابًا للأجر، دون أن يكون له هدف دنيوي ، فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً لا تُحصى من الثواب وحسن الجزاء ؟ والله يقبض الرزق ويبسطه لمن يشاء ، فأنفقوا ولا تبالوا ؛ فإنه هو الرزاق ، يُضيّق على مَن يشاء من عباده في الرزق ، ويوسعه على آخرين ، وله الحكمة البالغة في ذلك ، و **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }** [٣] ، وإليه ترجعون بعد الموت ، فيجازيكم على كل أعمالكم .

جاء في الحديث القدسي الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدْنِي ، قال : يا رب كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمتَ أنك لو عدتَّهُ لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتُك فلم تُطعمني ، قال : يا رب وكيف أُطْعِمُكَ ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان ، فلم تطعمه ؟ أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتُك ، فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدتَ ذلك عندي »** [٤] .

وجاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من نَفَّسَ عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا ، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّرَ على معسر، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عَوْن العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سَهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا**

---

[١] سورة الذاريات ، آية / ٥٨ / .

[٢] سورة فاطر ، آية / ١٥ / .

[٣] سورة الأنبياء ، آية / ٢٣ / .

[٤] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٩٩٠ .

نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحَفَّتْهُمُ الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بَطَّأ به عمله ، لم يُسْرِعْ به نسبه » [١] .

وجاء في الحديث أيضاً : عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« لا يؤمن أحدكم ، حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه »** [٢] .

مبحث ج - العلم الشرعي هو أشرف العلوم :

يقول الله تعالى : **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** [٣] . فالعلماء هم أمناء الله على خلقه ، وهذا شرفٌ للعلماء عظيم ، ومحلٌ لهم في الدين خطير ؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والرجوع والتعويل في أمر الدين عليهم ، فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل ، والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين ، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم .

ولقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو ربه كل صباح ، أن يرزقه العلم النافع ، فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : إذا صلى الصبح حين يسلم **« اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً »** [٤] .

ولكن بالمقابل كان يستعيذ من علم لا ينفع ، كما جاء في الحديث الصحيح : عن سعيد بن أبي سعيد المقبري رضي الله عنه ، عن أخيه عباد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه ، يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« اللهم إني أعوذ بك من الأربع : مِنْ علم لا ينفع ، و من قلب لا يخشع ، و من نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يُسمع »** [٥] .

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٧٤ .
[٢] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ١ ص ١٢ .
[٣] سورة النحل ، آية / ٤٣ / ، و سورة الأنبياء ، آية / ٧ / .
[٤] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٢٩٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**
[٥] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٢٦١ ، و الإمام أبو داود في سننه ، ج ٢ ص ٩٢ ، و الإمام النسائي في سننه ، ج ٨ ص ٢٦٣ ، **و كل الروايات قال فيها الألباني : حديث صحيح .**

وقد أوصى النبي صلى الله عليه و سلم بطالب العلم خيراً ، كما جاء في الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم : مرحباً مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقنوهم » [١] ، قلت للحكم : ما اقنوهم ، قال : علموهم . و كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول :

كل العلوم سوى القرآن مشغلةٌ * * * إلا الحديثَ و علَم الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال : حدثنا * * * و ما سوى ذاك وسواس الشياطين [٢].

مبحث د - الصبر في طلب العلم يفتح باب العلم على متعلمه :

يقول الله تبارك و تعالى : **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** [٣] ، أي : اصبر نفسك يا رسول الله مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده ، ويدعونه في الصباح والمساء ، يريدون بذلك وجهه ، واجلس معهم وخالطهم ، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا . فإذا كان الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، في أن يصبر على طاعة الله و عبادته و ذكره ، ولا يوجد شيئ تتقرب فيه إلى الله أسما و أعلى ، مثل **عبادة طلب العلم** ، و هي بأمس حاجة إلى الصبر و المصابرة و التحمل و التأني ، حتى ينال العبد بذلك الدرجات الرفيعة التي وُعِدَ بها أهل العلم ، كما قال ربنا تبارك و تعالى **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [٤] .

فينبغي على طالب العلم أن يكون حريصًا على التعلم ، مواظبًا عليه في جميع أوقاته ، ليلاً ونهارًا ، سفرًا وحضرًا ، لا يُذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر الضرورة ، فليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثمَّ يضيعها ، ولن يكون تحصيل

---

[١] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٩٠ ، **و قال الألباني : حديث حسن** .

[٢] انظر كتاب : البداية و النهاية ، للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ١٠ ص ٢٧٧ .

[٣] سورة الكهف ، آية / ٢٨ / .

[٤] سورة المجادلة ، آية / ١١ / .

شيئ غالٍ و ثمين و نفيس بهذه الدرجة و المكانة ، على البارد المستريح - كما يقولون - وإنما لا بُدَّ من البذل و العطاء و الجهد و التعب والسهر و المثابرة و العناء ، لتنال هذا الشرف العظيم ، و هو إرث الأنبياء عليهم الصلاة و السلام .

فقد كان الواحد من العلماء قديماً ، يسافر من بلد إلى بلد ، و يقطع المسافات الطويلة من أجل حديث واحد يسمع أنه موجود عند فلان من الصحابة أو التابعين ، أو تابعيهم ، و أكبر شاهد نبي الله موسى عليه الصلاة و السلام ، عندما أخبره الله تعالى إن عبداً من عبادنا آتيناه من لدنا علماً في مجمع البحرين ، هو أعلم منك يا موسى ، فاذهب إليه لتتعلم منه ، فلم يستنكف ، أو يستكبر ، لأنه كليم الله ورسوله الذي اصطفاه، بل أقسم لفتاه قائلاً : **{ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا }** [١] ، أي : ولو كلفني البحث عنه زمناً طويلاً، سأذهب إليه لأتعلم منه . فكيف حال طلاب العلم أيامنا ! ؟ بل ما الذي حلَّ في علماء الأمة زماننا ! ؟ و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولما كان العلم الشرعي من أشرف النعم و أسماها ، وأعلى المنازل والرتب ، ولما كان كذلك ميراث الأنبياء ، وكان الطريق المؤهل إلى الجنة ، فلابد أن يكون تحصيله بمجهودٍ عظيم ، وتضحيةٍ ثمينة ؛ وكيف لا والمكارم منوطة بالمكاره ، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسرٍ من التعب و العناء .

وبَيَّنَ الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم ، و أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة بصفة عامة صعبٌ ، وأن تحصيل الآخرة متعسرٌ لا يحصل إلا بسعي حثيث و دؤوب ، **كما جاء في الحديث :** عن بكير بن فيروز ، قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »** [٢] .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٦٠ / .

[٢] رواه الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٦٣٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

و من أجمل ما رأيتُ في أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، في هذا الباب بالذات ، **ما رواه الإمام مسلم في صحيحه :**

عن يحيى بن يحيى التميمي ، قال : أخبرنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير، قال : سمعت أبي يقول : **« لا يُسْتَطاع العلمُ براحة الجسم »** [1] .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ٤٢٨ .

الفصل الثاني

الإخلاص في طلب في العلم :

يقول الله تعالى و هو يعلم الأمة كيف تعبده العبادة الصحيحة الخالصة له وحده دون إشراك أحد معه أو رياء : **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }** [١] ، أي : وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه وحده دون غيره ، مائلين عن الشرك إلى الإيمان الصحيح ، فيقيموا الصلاة ، ويُؤَدُّوا الزكاة ، و ذلك هو دين الاستقامة ، وهو الإسلام القَيِّمُ .

ويقول الله تبارك و تعالى و هو يبين ، أنه لا يَقبل عملَ عاملٍ إذا أشرك به غير الله من خلال الرياء : **{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }** [٢] . فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه ، فليعمل عملاً صالحاً لربه موافقاً لشرعه ، ولا يشرك في العبادة معه أحداً غيره .

وإذا كان الإخلاص هو أساس كل عبادة ، و لا تصحُّ العبادة بدونه ، بل تبطل و تتلاشى إذا دخلها الرياء ، ويحاسب عليها الإنسان ، لأنه أشرك بها غير الله تعالى ، يقول جلَّ و علا و هو يفصِّل لنا ذلك كله من خلال آية واحدة من عشرات الآيات التي تكلمت عن هذا المرض الخطير ، و ضرب لنا المثل : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }** [٣] .

هو نداء لكل مؤمن : يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تُذْهِبُوا ثواب ما تتصدقون به بالمنّ والأذى ، لأنه لا يختلف عن الذي يخرج ماله ليراه الناس ، ويُثنوا عليه و يمدحوه ، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه

---

[١] سورة البينة ، آية / ٥ / .
[٢] سورة الكهف ، آية / ١١٠ / .
[٣] سورة البقرة ، آية / ٢٦٤ / .

تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه ، **فهؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله ، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه** .

جاء في التفسير المنير ما نصه في توضيح هذه الآية : (وهذا المرائي في الواقع لا يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً ، حتى يرجو ثواباً أو يخشى عقاباً ، ومثله الذي يمن ويؤذي السائل ،وصفة عمل كل من المرائي والذي يَمُنُّ ويؤذي ، كصفة تراب على حجر أملس ، نزل عليه مطر شديد ، فأزال التراب وترك الحجر أملس لا شيء عليه ، أي أنه لا ثمرة ولا بقاء لعمله، وإنما يَضْمَحِلُّ ويتبدد بالظواهر الطارئة ، ويبقى فارغاً لا أثر لعمله ، ولا ينتفع بشيء مما فعل لا في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الدنيا فلأنَّ المنَّان بغيضٌ إلى الناس ، والمرائي مذمومٌ منبوذٌ لدى المجتمع ، وأما في الآخرة فإنَّ الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتُغِيَ به وَجْهُهُ ، والرياء ومثله المنُّ والأذى ينافي الإخلاص ، **وهو نوع من الشرك بالله إذ هو الشرك الخفي فإن صاحبه يقصد به غير الله** . والله لا يهدي القوم الكافرين لما فيه خيرهم و رشادهم ما داموا على الكفر ، أو لا يهديهم في أعمالهم وهم على الكفر ، وأما الإيمان فهو الذي يهدي صاحبه إلى الإخلاص والخير وابتغاء وجه الله ، والتأدب بالإنفاق بما أدب الله به أهل الإيمان. وهذا يشير إلى أن كلاًمن الرياء والمنّ من صفات الكافرين لا من صفات المؤمنين .

ولقد تضمنت الآية بيان مثالٍ لشرفِ النفقة في سبيل الله ، والتحريض والحث على الإنفاق في سبيل الله ، فصاحب المنّ والأذى مثل المرائي المنافق ، عملُ كل منهما باطلٌ لا فائدة فيه ، ولا فضل له ، ولا دوام لأثره . وإنما ينمحي بسرعة ، كما تعصف الرياح بالغبار الموجود على الحجارة أو الصخور الصلبة الملساء ، وتُعَدُّ أفعال المرائي الواجبة أو الخيرية من صلاة وصيام وتطوع كلها باطلة ، لاتجاه قلبه إلى من يرائيه ، لا إلى الله الصمد الذي يستحق العبادة دون سواه . ويوصف كل من المرائي والمنان أيضاً بأنه لا يؤمن حقاً بالله ولا باليوم الآخر ، لأن قصده من فعله مدح الناس له ، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكره الناس أو ليقال : إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية . ولا يقدر المرائي الكافر والمانُّ على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم وهو كسبهم ، عند حاجتهم إليه إذ كان لغير الله، فعَبَّر عن النفقة بالكسب لأنهم قصدوا بها الكسب . وفي قوله تعالى : لا يقدرون على شيء مما كسبوا تعريض بأن كلا من الرياء

والمن والأذى من صفات الكافرين ، لا المؤمنين ، فلا ينبغي للمؤمنين الاتصاف بها ، وعليهم تجنبها **لأن الإخلاص لله هو من صفات الإيمان)** [(١)] .انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

ولأنَّ الإخلاص يجعل العمل مقبولاً عند الله تعالى ، و الرياء يبطله و يمحقه و يزيله ، فقد سُئِلَ الإمام الحسن البصري عن **الإخلاص** و**الرياء** فقال : من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك ، ولا تحب أن تكتم سيئاتك ، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول : هذا من فضلك وإحسانك ، وليس هذا من فعلي ولا من صنيعي ، و تذكر قوله تعالى : **{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }** [(٢)] ، وقوله سبحانه : **{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }** [(٣)] ، يؤتون الإخلاص ، وهم يخافون ألا يقبل منهم . وأما الرياء فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا قيل له : كيف يكون هذا ؟ قال : **من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله والدار الآخرة ، فهو رياء** [(٤)] .

ولقد عَلَّمَنَا نبيُّ الله زكريا عليه الصلاة و السلام ، درساً عظيماً في الإخلاص وهو يدعو ربه بأدب و خضوع و خشوع ، كما أخبرنا الله تعالى عندما قال : **{ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا }** [(٥)] ، أي هذا ذكرُ رحمةِ ربِّك لعبدِهِ زكريا نقصُّه عليك يا محمد : **{ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا }** [(٦)] ، أي حين ناجى ربه ودعاه بصوتٍ خفي لا يكاد يُسمع ، قال المفسرون : **لأنَّ الإخفاء في الدعاء أدخلُ في الإخلاص وأبعدُ من الرياء { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي }** [(٧)] ، أي دعا في ضراعة فقال يا رب : لقد ضَعُفَ عظمي ، وذهبتْ قوتي من الكِبر **{ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا }** ، أي انتشر الشيب في رأسي انتشار النار في الهشيم **{ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا }** ، أي لم تخيّبْ دعائي

[(١)] انظر كتاب : التفسير المنير ، للشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ٣ ص ٤٦ - ٥٠ ، بتصرف .
[(٢)] سورة الكهف ، آية / ١١٠ / .
[(٣)] سورة النور ، آية / ٦٠ / .
[(٤)] انظر كتاب : التفسير المنير ، للشيخ الكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ١٦ ص ٤٥ ، و كتاب : تفسير الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ، ج ١١ ص ٧١ .
[(٥)] سورة مريم ، آية / ٢ / .
[(٦)] سورة مريم ، آية / ٣ / .
[(٧)] سورة مريم ، آية / ٤ / .

في وقت من الأوقات بل عودتني الإحسان والجميل فاستجب دعائي الآن كما كنتَ تستجيبه فيما مضى [١] .

فالإخلاص في طلب العلم أساس العلم النافع ، حتى ينتفع به صاحبه ، ثم ينفع به غيره ، حتى لا يصير العلم سبباً في دخول صاحبه نار جهنم ، جاء في الحديث : عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه ، فهو في النار »** [٢] .

وأنا اخترتُ الكلام هنا عن صفة الإخلاص فقط ، مع أن هناك صفات كثيرة يجب أن يتحلى بها طالب العلم قبلها ؛ لأنه لا يوجد الإخلاص في المرء إلا إذا وجدت فيه كل الخصال الحميدة أولاً ، حتى ينال درجة المخلصين بعد ذلك ، فهي الأصل و الأساس ، نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في كل أعمالنا .

وجاء في الحديث أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من تعلم علماًمما يُبْتَغَى به وجهُ الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضَاً من الدنيا ، لم يجدْ عرف الجنة يوم القيامة »** [٣] ، يعني ريحها .

مبحث أ - التواضع هو من أجمل صفات طالب العلم :

يقول الله تبارك و تعالى معلماً نبيه و حبيبه محمداً صلى الله عليه و سلم التواضع و خفض الجناح لكل مؤمن : **{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }** [٤] ، وقال في سورة الشعراء : **{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }** [٥] ، أي :أَلِنْ جانبك وكلامك تواضعًا ورحمة لمن ظهر لك منه إجابة دعوتك ، و آمنَ و صدَّق رسالتك ، و اتبع دينك ، ولا تجافهم ولا تقسُ عليهم ، وتواضَعْ لكل المؤمنين بالله تعالى ورسوله .

---

[١] انظر كتاب : صفوة التفاسير ، للشيخ محمد علي الصابوني ، ج ٢ ص ١٩٤ .
[٢] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٩٣ ، **و قال الألباني : حديث حسن** .
[٣] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ١ ص ٩٢ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .
[٤] سورة الحِجْر ، آية / ٨٨ / .
[٥] سورة الشعراء ، آية / ٢١٥ / .

فما أجمل التواضع في الإنسان ، و لكنه يكون أكثر جمالاً في طالب العالم ، و تلجاً على رؤوس العلماء ، ويكون ذلك بأن لا يظنَّ أنَّه أعلم مِن غيره ، أو أتقى مِن غيره ، أو أكثر ورعًا مِن غيره ، أو أكثر خشية لله مِن غيره ، أو يظنُّ أنَّ هناك مَن هو شرٌّ منه ، فحقيقة التواضع أن لنفسه مقاماً و لا حالاً ، و ألّا يَعْظُم في عينك عملك ، إن عملتَ خيرًا ، أو تقرَّبتَ إلى الله تعالى بطاعة ، فإنَّ العمل قد لا يُقبَل .

وأجمل ما في التَّواضُع عندما تسمع نصيحة ، فإنَّ الشَّيطان يدعوك إلى ردِّها ، وسوء الظَّنِّ بالنَّاصح ؛ لأنَّ معنى النَّصيحة أنَّ أخاك يقول لك : إنَّ فيك مِن العيوب كيتَ وكيت .

فمِن كمال الإنسان أن يقبل النَّقد والملاحظة بدون حساسيَّة أو انزعاج أو شعور بالخَجَل والضَّعف ، ورحم الله الإمام الشَّافعي لما جلس ذات يوم مع تلميذه الإمام أحمد ابن حنبل ، فنظر إليه وقال :

أحبُّ الصَّالحين ولستُ منهم * * * لعلِّي أن أنال بهم شفاعه

وأكرهُ مَن تجارته المعاصي * * * وإن كنا سويا في البضاعة

فنظر إليه تلميذه الإمام أحمد بن حنبل ، ثمَّ قال :

تحبُّ الصَّالحين وأنتَ منهم * * * ومنكم سوف يلقون الشَّفاعة

وتكره مَن تجارتهم معاصي * * * وقاك الله مِن شرّ البضاعة

فالمسلم يخالط النَّاس ويدعوهم إلى الخير، وإلى الأخلاق الإسلاميَّة ، و من باب أو طالب العلم ، فمِن طبيعة النَّاس أنَّهم لا يقبلون قول مَن يعظِّم نفسه ويحقرهم ، ويرفع نفسه ويضعهم، وإن كان ما يقوله حقًّا ، بل عليه أن يعرف أنَّ جميع ما عنده هو فضلٌ مِن الله ، فالمسلم المتواضع هو الذي لا يعطي لنفسه حظًّا في كلامه مع الآخرين ، ومِن تواضع المسلم مع النَّاس : أن يجالس كلَّ طبقات المجتمع ، ويكلِّم كلًّا بما يفهمه ، ويجالس الفقراء والأغنياء، و لا يحتقر أحداً ، أو يُدخلَ ناساً الجنة و آخرين النار . جاء في الحديث : عن جندب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدَّث **« أن رجلاً قال : والله لا يغفرُ الله لفلانٍ ، وإنَّ الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أنْ لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرتُ لفلان ، وأحبطتُ عملك »** [1] .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٢٣ .

و لذلك فإنَّ مَن مَنَّ الله عليه بالعلم ، أو المال ، أوالجاه ، أوالقوَّة ، أوالنُّفوذ ، فإنه أحوج الخَلْق إلى خُلُقالتَّواضُع ؛ لأنَّ هذه النِّعم مدعاة إلى الكِبْر والفخر و الرياء .

ولذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة في التَّواضُع و الأخلاق الكريمة ، لا يعتريه كِبرٌ ولا بَطَرٌ على رِفْعَة قَدْره وعلوّ منزلته ، يخفض جناحه للمؤمنين و لا يتعاظم عليهم ، ويجلس بينهم كواحد منهم ، ولا يُعْرَف مجلسه مِن مجلس أصحابه ؛ لأنَّه كان يجلس حيث ينتهي به المجلس ، ويجلس بين ظهرانيهم فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل عنه ، كما جاء في الحديث : عن أبي ذر، وأبي هريرة رضي الله هنهما ، قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه ، فيجيء الغريبُ فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، قال : فبنينا له دُكَّاناً من طين ، فجلس عليه ، وكنا نجلس بجنبتيه ، وذكر نحو هذا الخبر ، فأقبل رجل فذكر هيئته ، حتى سلم من طرف السماط ، فقال : السلام عليك يا محمد قال : « فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم » [١] .

و **روى الإمام مسلم في صحيحه :** عن أبي قتادة رضي الله عنه ، قال : خَطَبَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء إن شاء الله غداً** » ، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد ، قال أبو قتادة : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابْهَارَّ الليل - انتصف - ، وأنا إلى جنبه ، قال : فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمال عن راحلته ، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، قال : ثم سار حتى تهور الليل - ذهب أكثره - ، مال عن راحلته ، قال : فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السَّحَر، مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين ، حتى كاد ينجفل ، فأتيته فدعمته ، فرفع رأسه ، فقال : « **من هذا ؟** » قلت : أبو قتادة ، قال : « **متى كان هذا مسيرك مني ؟** » قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة ، قال : « **حفظك الله بما حفظتَ به نبيه** » ، ثم قال : « **هل ترانا نخفى على الناس ؟** » ، ثم قال : « **هل ترى من أحد ؟** » قلت : هذا راكب ، ثم قلت : هذا راكب آخر، حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب ، قال : فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ، فوضع

---

[١] رواه : الإمام أبو داود في سننه ، ج ٤ ص ٢٢٥ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

رأسه ، ثم قال : « **احفظوا علينا صلاتنا** » ، فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره ، قال : فقمنا فزعين ، ثم قال : « **اركبوا** » ، فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعتِ الشمس نزل ، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء ، قال : فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء ، قال : وبقي فيها شيء من ماء ، ثم قال لأبي قتادة : « **احفظ علينا ميضأتك ، فسيكون لها نبأ** » ، ثم أذَّنَ بلالٌ بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، ثم صلى الغداة ، فصنع كما كان يصنع كل يوم ، قال : وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبنا معه ، قال : فجعل بعضنا يهمس إلى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟ ثم قال : « **أما لكم فيَّ أسوة** » ، ثم قال : « **أما إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يصلّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها ، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها** » ، ثم قال : « **ما ترون الناس صنعوا ؟** » قال : ثم قال : « **أصبح الناس فقدوا نبيهم** » ، فقال أبو بكر ، وعمر : رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم ، لم يكن ليخلفكم ، وقال الناس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم ، فإن يطيعوا أبا بكر ، وعمر يرشدوا ، قال : فانتهينا إلى الناس حين امتدَّ النهار، وحمي كل شيء ، وهم يقولون : يا رسول الله هلكنا ، عطشنا ، فقال : « **لا هلك عليكم** » - أي لا هلاك - ، ثم قال : « **أطلقوا لي غمري** » - أي إيتوني بقدح مائي الصغير - قال : ودعا بالميضأة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ ، وأبو قتادة يسقيهم، فلم يَعْدُ أن رأى الناس ماءً في الميضأة تكابُّوا عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أحسنوا الملأ كلكم سيُروى** » قال : ففعلوا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري ، وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : « **اشرب** » ، فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال : « **إن ساقي القوم آخرهم شرباً** » ، قال : فشربتُ ، وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأتى الناس الماء جامِّين رواء - أي مستريحين قد رُووا من الماء - ، قال : فقال عبد الله بن رباح : إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع ، إذ قال عمران بن حصين انظر أيها الفتى كيف تحدث ، فإني أحد الركب تلك الليلة ، قال : قلت : فأنت أعلم بالحديث ، فقال : ممن أنت ؟ قلت : من الأنصار ، قال : حَدِّثْ ، فأنتم أعلم بحديثكم ، قال : فحدثتُ القوم ،

فقال عمران : لقد شهدتُ تلك الليلة ، و ما شعرتُ أن أحداً حفظه كما حفظتُهُ [1] .

فما أجمله من خلق حسن ، و ما أحلاه و أروعه من تواضع و كرم أخلاق ، و طيب عشرة !

مبحث ب - التقوى خير زاد للإنسان العاقل :

يقول الله تعالى و هو يعلم البشرية جَمْعَاء ، أنَّ خير رصيدٍ للإنسان ، و أعظم زادٍ للمؤمن التقوى ، ولا يستطيعها إلا أصحاب العقول الناضجة : **{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** [2] ، فكل ما تفعلوه من خير يعلمه الله ، ولا يغيب عنه ، لأنه سيجازي كلاً على عمله ؛ فخذوا لأنفسكم من صالح الأعمال للدار الآخرة ، فإن خير الزاد تقوى الله ، وخافوني يا أصحاب العقول السليمة ، فحقيقة التقوى خوفٌ من الجليل ، و عملٌ بالتنزيل ، و استعدادٌ ليوم الرحيل .

فالتقوى هي السلاح الأقوى . . .

والتقوى تُكسِبُ العبدَ محبة الله تبارك و تعالى ، كما في آيات كثيرة من القرآن الكريم: **{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** [3] ، **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** [4] ، فليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون ، فإن المتقي حقاً هو من أوفى بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة والإيمان به وبرسله والتزم هديه وشرعه ، وخاف الله عز وجل فامتثل أمره وانتهى عما نهى عنه . والله يحب المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي ، إن الله يحبالمتقين الموفّين بعهودهم .

ويقول الله تعالى وهو يعلمنا : إن **التقوى** تزيد في علم الإنسان ، وترفع من شأنه أمام الناس و عند الله تعالى ، و أحوج ما يحتاجه طالب العلم ، تقوى الله تعالى : **{وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [5] ، أي : خافوا الله في جميع ما

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه في المقدمة ، ج ١ ص ٤٧٢ .
[2] سورة البقرة ، آية / ١٩٧ / .
[3] سورة آل عمران ، / ٧٦ / .
[4] سورة التوبة ، آية / ٤ / و آية / ٧ / .
[5] سورة البقرة ، آية / ٢٨٢ / .

أمركم به ، ونهاكم عنه ، ويعلمكم الله جميع ما يُصلح دنياكم وأخراكم . والله بكل شيء عليم ، فلا يخفى عليه شيء من أموركم ، وسيجازيكم على ذلك ، لأن علماً بدون تقوى ، كجسد بلا رأس ، فإبليس كان أعلم مني و منك و من أكثر المخلوقات ، و لكن لم ينفعه علمه لأنه لم يكن متوجاً بالتقوى ، فالعلم وحده لا يكفي ، لأنه قد يصير وبالاً على صاحبه ، كما قال الحافظ إبراهيم :

لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدَه * * * ما لــم يتوَّج ربُّه بخلاق

والعلمُ إن لم تكتنفهُ شمائلٌ * * * تُعْليهِ كان مطيةَ الإخفاق

كم عالمٍ مدَّ العلومَ حبائلاً * * * لوقيعةٍ وقطيعةٍ وفراق

وفقيهِ قومٍ ظل يرصدُ فقهُ * * * لمكيدةٍ أو مُسْتَحِلّ طلاق

وطبيبِ قومٍ قد أحلَّ لطبهِ * * * ما لا تحلُّ شريعةُ الخلاق

وأديبِ قومٍ تستحقُّ يمينهُ * * * قطعَ الأنامل أولظى الإحراق

ولقد تَعَهَّدَ الله سبحانه و تعالى أن يكتب رحمته الواسعة لعباده المتقين الذين يخافونه ويخشونه ويؤتون الزكاة ويؤمنون بكل آيات الله :**{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }** [(١)] ، و هذا إذا كان مؤمنا من أهل التقوى ، فكيف إذا كان طالب علم أوعالم إمام للمتقين ! كما أخبر الله تعالى :**{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }** [(٢)] .

والتقوى تجعلك قريباً من الله تعالى ، و يكون الله معك في كل شؤونك ، معيناً و مؤيداً ، و نصيراً ، **{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }** [(٣)] ، اعلموا أن الله مع الذين يتقونه ويطيعونه بأداء فرائضه وتجنب محارمه ، وقد وردت هذه الآية في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، **{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }** [(٤)] ، و كأنَّ الله

---

(١) سورة الأعراف ، آية / ١٥٦ / .

(٢) سورة الفرقان ، آية / ٧٤ / .

(٣) سورة البقرة ، آية / ١٩٤ / .

(٤) سورة التوبة ، آية / ٣٦ / ، و آية / ١٢٣ / .

تعالى يريد أن يؤكِّ للناس جميعاً ، أن يعلموا علم اليقين ، بل عين اليقين ، بل حق اليقين ، أنَّ الله مع المتقين و لن يتخلى عنهم أو عن نصرتهم ،

فما أحوج طالب العلم للتقوى ، بل ما أحوج العالم أن يتحلى بها ، لأن من يتقي الله يجعل له مخرجاً من كل كرب و ضيق ، ثم يكافئه برزقٍ وفيرٍ من حيث لا يحتسب ، **{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }** [1] ، بل إن التقوى تيسر كل أمر عسير **{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }** [2] ، بل إن التقوى تكفر سيئات العبد و ذنوبه ، و تجزل له الأجر و الثواب و دخول الجنة **{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }** [3] .

مبحث ج - العالم هو أول من تُسَعَّرُ به النار يوم القيامة إذا لم يعمل بعلمه :

بعد كل الحِظِ التي أعطاها الله لطالب العلم و العالم ؛ و رفع مقامه في الدنيا و الآخرة ، و الثناء عليه في القرآن الكريم و الأحاديث الصحيحة ، كما قال تعالى : **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }** [4] ، **{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }** [5] ، والأحاديث التي تجعل الملائكة أجنحتها لطالب العلم ، واستغفار كل المخلوقات له ، حتى الحيتان في بحرها ، و أنه وريث الأنبياء كما جاء في الحديث : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم ، **وإنَّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضلُ العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر »** [6] .

---

[1] سورة الطلاق ، آية / ٢ - ٣ / .
[2] سورة الطلاق ، آية / ٤ / .
[3] سورة الطلاق ، آية / ٥ / .
[4] سورة المجادلة ، آية / ١١ / .
[5] سورة العنكبوت ، آية /٤٣ / .
[6] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٤٨ ، **و قال الألباني : حديث صحيح** .

فإذا لم يكن طالب العلم أو العالم ، أهلاً لهذا العطاء و تلك المنزلة و المرتبة ، و لم يَصُن الإرث النبوي ، فإن الله سينتقم منه شرَّ انتقامٍ ، و يجعله من أول من توقد بهم نار جهنم يوم القيامة ، لأنه خاب و خسر خسراناً مبيناً .

جاء في الحديث الصحيح : عن سليمان بن يسار رضي الله عنه ، قال : تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فقال له ناتل أهل الشام - وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين ، وهو تابعي ، وكان أبوه صحابياً وكان ناتل كبير قومه - : أيها الشيخ ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : نعم ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأُتِي به فعَرَّفَهُ نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ ، قال : كذبتَ ، ولكنك قاتلتَ لأنْ يُقال : جَرِيْءٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، **ورجل تَعَلَّم العلم ، وعَلَّمَهُ وقرأ القرآن ، فأتي به فعَرَّفَهُ نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم ، وعَلَّمْتُهُ وقرأتُ فيك القرآن ، قال : كذبتَ ، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار** ، ورجل وسَّعَ الله عليه ، وأعطاهُ من أصناف المال كله ، فأُتي بهفَعَرَّفَهُ نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك ، قال : كذبتَ ، ولكنك فعلتَ ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار » [١] .

لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ... اللهم اجعلنا من عبادك المُخْلِصِيْنَ المُخْلَصِيْن ، الذين لا خوفٌ عليهم و لا هم يحزنون ...

مبحث د - كثرة الســـــؤال و القيل و القال ، تهلك صاحبها و تحرمه العلم:

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [٢] ، يا

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٥١٣ .
[٢] سورة المائدة ، آية / ١٠١ / .

أيها الذين آمنوا بالله و رسوله ، و صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ، لا تسألوا عن أمور من أمور الدين التي لم تؤمروا فيها بشيء ، كالسؤال عن الأمور غير الواقعة ، أو التي يترتب عليها تشديدات في الشرع ، ولو كُلِّفتموها لشقَّتْ عليكم ، وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه تُبيَّنُ لكم ، وقد تُكلّفون بها فتعجزون عن أدائها ، لأن الله تركها معافيًا لعباده منها .

وقد زال هذا المانع باكتمال التشريع ، و بوفاة النبي صلى الله عليه و سلم ، لأن الدين اكتمل ، و لم يعد هناك تخوف أن يشدد علينا لكثرة سؤالنا ، بل صار الواجب أن نسأل عن كل شيئ لنتعلم و نستفيد ، و نعرف أمور ديننا المتكامل .

وجاء في الحديث الصحيح : عن الشعبي ، حدثني كاتب المغيرة بن شعبة ، قال : كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة : أن اكتبْ إليَّ بشيء سمعتَه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **« إنَّ الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال »** [١] .

وجاء في الحديث أيضاً : أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدث ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« ما نهيتكم عنه ، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم »** [٢] .

فالله تعالى لا يحب كثرة القيل و القال ، و يكره كثرة السؤال في كل ما يأمرنا به أو ينهانا عنه ، إنما قول المؤمن أن ينفذ على الفور دون اعتراض أو توقف و هو يقول : سمعاً و طاعة ، فقد هلكت الأمم من قبلنا عندما أكثرت سؤالها ، و اختلفت على أنبيائها ، بكثرة مجادلتها .

ومن أروع الأمثلة على هذا كله من القرآن الكريم : ما جاء في أطول سورة في القرآن الكريم و هي سورة البقرة ، و التي سميت السورة باسمها لما حدث فيها من

---

[١] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٢ ص ١٢٤ .
[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٨٣٠ .

أمر غريب و عجيب ، فبنو إسرائيل قوم مصابون بعقدة البقرة ، لأنهم عبدوها من دون الله ، فأمرهم الله أن يذبحوا إلههم بأيديهم ، حتى يعلموا أنه لا معبود إلا الله وحده .

ففي أيام كليم الله موسى عليه الصلاة و السلام ، عندما أمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة من أجل أن يعرفوا من الذي قتل الرجل الغني منهم ، و الذي لم يكن له وريث إلا ابن أخيه ، **﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾** [1] ، أي: اذكروا حين قتلتم نفسًا فتنازعتم بشأنها ، وكلٌّ منكم يدفع عن نفسه تهمة القتل ، والله مخرج ما كنتم تخفون مِن قَتْل القتيل ، فقلنا لكم : اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة المذبوحة ، فإنَّ الله سيبعثه حيًا ، ويخبركم عن قاتله ، ثم يموت من جديد ، فضربوه ببعضها فأحياه الله وأخبرهم بقاتله . كذلك يُحيي الله الموتى يوم القيامة ، ويريكم معجزاته الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى ؛ لكي تتفكروا بعقولكم ، فتمتنعوا عن معاصيه ، و ها هو حوارهم مع نبيهم و كثرة سؤالهم له ، حتى صار الأمر عليهم صعباً و عسيراً ، و لم يجدوا إلا بقرة واحدة تمتلك الصفات التي هم جعلوها على أنفسهم ، عندما أكثروا السؤال عن أوصافها ، **فكلما كَثُرَتِ الشروطُ قلَّ المشروط** ، فلو ذبحوا أية بقرة عندما جاءهم الأمر من الله لكفتهم ...

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [2] .

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [3] .

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ [4] .

---
[1] سورة البقرة ، آية / ٧٢ - ٧٣ / .
[2] سورة البقرة ، / ٦٧ / .
[3] سورة البقرة ، / ٦٨ / .
[4] سورة البقرة ، / ٦٩ / .

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [1] .

فكم مرة ذُكرت كلمة : (قال) و رَدُّوا عليه (قالوا) وهم يجادلونه و يسألونه بطريقة لا أدب فيها و لا حياء {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ } و كأنه رباً لموسى فقط ، و ليس رباً و خالقاً لهم ، حتى أتعبوه و أتعبوا أنفسهم ، ثم نفذوا الأمر وليسوا بمقتنعين ، و ما كادوا يفعلون ...

فقد يُحْرَمُ الإنسان العلم بسبب كثرة سؤاله ، و جداله ، نسأل الله العفو و العافية.

[1] سورة البقرة ، / ٧٠ - ٧١ / .

الباب الخامس

فتنة الملك و السلطان و الحكم ...

الفصل الأول : ذو القرنين هو أحد أربعة حكموا الأرض كلــها

مبحث أ- المــؤمن القــوي خير و أحب إلــى الله مـــن المؤمن الضعيف

مبحث ب - من كان أخوه تحت يده فلا يظلـــمه ، و لا يخذله .

مبحث ج - العدل يجب أن يكون في الحاكم .

مبحث د - الأخذ علـى يد الظالم .

الفصل الثاني : الفساد والإفساد و حكم ذلك كله .

مبحث أ - يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض .

مبحث ب - الأحـــاديث التـــي وردت فـي وصـف يأجوج و مأجوج .

مبحث ج - آراء العلماء حول مكان يأجوج و مأجوج .

مبحث د - زمن ظهور يأجوج و مأجوج .

الباب الخامس

فتنة الملك و السلطان و الحكم ...

يقول الله عزوجلّ في محكم كتابه ، و هو يبين لنا حقيقة أمر يغفل عنه الكثير من الناس و أهل الملك و النفوذ و السلطة و الحكم بشكل خاص ، لأنهم يظنون و يحسبون أنهم هم من فعلوا حتى وصلوا ، و هم من فكروا حتى حكموا و تسلطوا ، و هم من خطّطوا و دبّروا حتى ظفروا ، ناسين قول الله الواضح البيّن في ذلك : **{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [1] ، قل يا مَن لك الملك كلُّه ، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَن تشاء مِن خلقك ، وتسلب الملك ممن تشاء ، وتهب العزة في الدنيا والآخرة مَن تشاء ، وتجعل الذلّة على من تشاء ، بيدك الخير أنت وحدك ، لا شريك لك و لا نِدَّ ، فأنت على كل شيء قدير ، و لا تحتاج إلى مخلوق من مخلوقاتك ، فما أجمل التدبُّر في قوله تعالى : **{ تُؤْتِي }** و **{ تَنزِعُ }** و بين **{ تُعِزُّ }** و **{ تُذِلُّ }** و كأنها تقول لك يا إنسان : **{ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ }** [2] ، فهو وحده سبحانه إذا أراد أعطاك ملكاً وحكماً ، و إذا أراد نزعه منك متى شاء ، و لم يقل : تأخذ الملك ممن تشاء ، و إنما قال : **{ تَنزِعُ }** ، لأن من طبيعة الإنسان إذا ملك تَعَلّقَ بما يملك ، و لا يتخلى عنه بسهولة و لا يتنازل – إلا المؤمن التقي - ، إلا إذا نُزِعَ منه الملك انتزاعاً ، **لأن الملك و الحكم و السلطة فتنة** ، كما أخبر القرآن الكريم عن حال رسول الله سليمان عليه الصلاة و السلام ، عندما رأي عرش بلقيس بما فيه و من فيه مستقراً عنده أمام عينيه ، لأن القوة فتنة و الملك و السلطان فتنة ، و عرف أنه اختبار و امتحان و ابتلاء من الله تعالى : **{ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }** [3] ، قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك

---

[1] سورة آل عمران ، آية / ٢٦ / .

[2] سورة آل عمران ، آية / ١٢٨ / .

[3] سورة النمل ، آية / ٤٠ / .

عندما تتحرك للنظر في شيء . فأذن له سليمان فدعا الله ، فأتى بالعرش ، فلما رآه سليمان عليه الصلاة و السلام حاضرًا لديه ثابتًا عنده أمامه قال : هذا مِن فضل ربي الذي خلقني و خلق الكون كله ؛ ليختبرني : أأشكر نعمته عليَّ بكل ما آتاني ، أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله على نعمه فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه ، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره ، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والجاحد الكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة على كل ما فعلوا .

تَأَمُّلات و نَظَرَات في الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف ؛ والتي تتحدث عن قصة ذي القرنين ، الذي مكّن الله لهفي الأرض ، قوةً و مالاً و سلطة و حُكماً ، ثم تتحدث عن يأجوج و مأجوج و فسادهم في الأرض ، و كيف بنى السدَّ بين الناس الذين استغاثوا به ، و بين قوم يأجوج و مأجوج .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [1] .

---

[1] سورة الكهف ، آية / ٨٣ -٩٩ / .

بين يدي الآيات الكريمات :

﴿ ٨٣ ﴾ يسألك هؤلاء المشركون من قومك ، عن خبر ذي القرنين ، ذلك الملك الصالح الذي حكم الأرض بأسرها ، قل لهم : سأقصُّ عليكم منه ذِكرًا وخبراً تعرفون من خلاله حكايته ، وتعتبرون به .

﴿ ٨٤ ﴾ إنا مكّنّا له في الأرض فحكمها، وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريدهمِن فَتْح البلاد ، وقهر الأعداء وغير ذلك .

﴿ ٨٥ ﴾ فأتبع سبباً وأخذ بتلك الأسباب والطرق بجد واجتهاد و عزم .

﴿ ٨٦ ﴾ حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس ، وجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود ، ووجد عند مغربها قومًا . قلنا : يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غيره ، إن لم يقروا بتوحيد الله ، وإما أن تحسن إليهم، فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد .

﴿ ٨٧ ﴾ قال ذو القرنين : أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه ، فسوف نعذبه في الدنيا ، ثم يرجع إلى ربه يوم القيامة ، فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم .

﴿ ٨٨ ﴾ وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به سبحانه و تعالى ، ووحَّده وعمل بطاعته ، فله الجنة ثوابًا من الله ، وسنحسن إليه ، ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة.

﴿ ٩٠ ﴾ حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم من نورها أوحرها ، ولا شجر يظلهم من الشمس .

﴿ ٩١ ﴾ كذلك وقد أحاط عِلْمنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة ، حيثما توجَّه وإلى أين سار .

﴿ ٩٢ ﴾ ثم سار ذو القرنين آخذًا بالطرق والأسباب و الأساليب التي منحناها إياه ، وعرَّفناه كيفية التعامل معها .

﴿ ٩٣ ﴾ حتى إذا وصل ذو القرنين إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قومًا ، لا يكادون يعرفون الكلام مع غيرهم إلا ما تعارفوا عليه من لغة بينهم .

﴿ ٩٤ ﴾ قالوا - إما بلغة الإشارة أو كان بينهما ترجمان - يا ذا القرنين : إنَّ قوم يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل ، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالاً على أن تجعلحاجزاً وسداً يحول بيننا وبينهم ؟

﴿ ٩٥ ﴾ أجاب ذو القرنين قائلاً : ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي مِن مالكم ، و أجركم و عطائكم ، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا .

﴿ ٩٦ ﴾ أعطوني قطع الحديد و برادته ، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين ، قال للعمال : أجِّجوا النار ، حتى إذا صار الحديد كله نارًا ، قال : أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه حتى يتماسك و يكون أقوى .

﴿ ٩٧ ﴾ فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد ؛ لارتفاعه وملاسته ، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته و طول مسافته . أو فما اسطاعوا أن يظهروه و يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته. وما استطاعوا له نقبا لصلابته وسمكه .

﴿ ٩٨ ﴾ قال ذو القرنين : هذا الذي فعلته من السد و الحاجز ، ليحجز و يمنع فساد يأجوج ومأجوج عنكم ، هو رحمة من ربي بالناس ، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض ، والله لا يخلف الميعاد .

﴿ ٩٩ ﴾ و يوم يحين الوقت المعلوم سنتركنا يأجوج ومأجوج يموج بعضهم موجاً في بعض مختلطين ؛ لكثرتهم ، ونفخ في الصور للبعث ، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء ، و إقامة العدل الحقيقي المنتظر .

الفصل الأول

ذو القرنين هو أحد أربعة حكموا الأرض كلــها :

يقول الله سبحانه و تعالى مخبراً إيانا كيف سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قصة و خبر الملك الصالح ذي القرنين ، فقل لهم يا رسول الله : سأخبركم عن شيئ يسير من خبر ذلك الرجل الذي حكم الأرض كلها : **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ... ﴾** [١] .

جاء في كتاب : صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني عن مجاهد قوله : ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان ، وكافران فالمؤمنان « سليمان بن داود » و « ذو القرنين » والكافران « النمرود » و « بختنصّر » الذي خرّب بيت المقدس [٢] .

وجاء في كتاب : التفسير المنير للشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، وهي من أجمل ما كُتِبَ في هذا الموضوع ، حيث يستدل بهذه الآيات من سورة الكهف ، والتي تذكر قصة ذي القرنين ، ويُعَدِّدُ ما يُستفاد منها قائلاً :

(يُسْتَدَلُّ بالآيات على ما يأتي :

* إن ذا القرنين أحد الملوك المؤمنين الذين ملكوا الدنيا وسيطروا على أهلها ، فقد آتاه الله ملكاً واسعاً ، ومنحه حكمةً وهيبة وعلماً نافعاً ، ونحن لا نقطع بمعرفته بالذات ، ولا نؤمن إلا بالْقَدْر الذي حكاه القرآن المجيد .

قال ابن إسحاق : وكان من خبر ذي القرنين ، أنه أُوْتِيَ ما لم يُؤتَ غيره ، فمُدَّتْ له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضاً إلا سلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٨٣ -٨٥ / .

[٢] انظر كتاب : صفوة التفاسير ، للشيخ محمد علي الصابوني ، ج ١ ص ١٥١ . **علماً بأنه لم يرد حديث صحيح يُعتمد عليه في هذا الشأن .**

* هَيَّأ الله تعالى لذي القرنين الأسباب التي توصله إلى مراده ، **وأخبرنا عن وقائع ثلاثة حدثت له في المغرب و المشرق و الوسط** .

أما في مغرب الشمس : فقد وجد قوماً كافرين ، فخَيَّرَهُ الله بين أمرين : **إما** التعذيب بالقتل والإبادة جزاء كفرهم وطغيانهم ، و**إما** الاستبقاء والإرشاد إلى الحق والهدى وتوحيد الله ، فاختار ذو القرنين الإمهال والدعوة إلى الله ، وأقام فيهم مدةً رَدَعَ فيها الظالم ، ونصر المظلوم ، وأقام العدل ، ودعا إلى الله تعالى .

وأما في المشرق : فوجد قوماً بدائيين يعيشون في بقعة رملية لا يستقر فيها بناء ، ولا يستترون فيها بظل شجر أو سقف بيت .

قال الحسن البصري : كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، وكانت لا تحمل البناء ، فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا ، فيتراعون كما تتراعى البهائم .

وقال **قتادة** : لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وهم يكونون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم رجعوا إلى معايشهم وحروثهم ، يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها .

والقولان يدلان : على ألَّا مدنية هناك ، وربما يكون منهم من يدخل في الماء ، ومنهم من يدخل في السرب ، فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة .

وهذا تأريخ لحال جماعة بدائية تعيش على صيد الأسماك ، دون ستر و لا مأوى ، مما يستوجب على أهل المدينة شكر النعمة العظمى على العيش بأمان وارتياح تحت ظلال الأشجار وفي ردهات المنازل .

وأما رحلة ذي القرنين إلى الشمال : بين الشرق والغرب وبين السدين وهما جبلان بين أرمينية وأذربيجان ، فكانت إنقاذاً لشعب مقهور مستضعف يتعرض لغارات القبائل المتوحشة ، فيفسدون في الأرض ، فبنى لهم سداً منيعاً حصيناً حماهم من تلك الموجات الغازية ، وأعلمهم أن بقاءه مرهونٌ بإرادة الله .

وهذا مثلٌ فيه عبرة للدول القوية التي يجب عليها المحافظة على الشعوب الضعيفة ، والإبقاء على ثرواتها دون أخذ شيء منها ، منعاً من الاسهام في إضعافها ، وأخذاً بيدها نحو الأفضل ، وإغاثتها وإنقاذها من التخلف والضياع ، فإن ذا القرنين ملك الدنيا أبى أن يأخذ شيئاً من أموال أولئك الأقوام ، بالرغم من بناء السد الحصين .

* **قال القرطبي :** - وما زال الكلام للشيخ الزحيلي ينقل عن القرطبي - في هذه الآية **(آية السد)** دليل على اتخاذ السجون ، وحبس أهل الفساد فيها ، ومنعهم من التصرف لما يريدونه ، ولا يُتركون وما هم عليه ، بل يوجعون ضرباً و يحبسون ، أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه .

* إنَّ أهل الصلاح والإخلاص يحرصون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله، دون انتظار مقابل أو عوض دنيوي من الناس ، فإنَّ ذا القرنين الذي أيده الله قال : **(ما مكَّنِّي فيه ربي خير)** ، أي ما بسطه الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم ، ولكن أعينوني بقوة الأبدان ، أي بالرجال وعمل الأبدان والآلة التي أبني بها السد **(الردم)** .

وهذا بداية النجاح في العمل ، فإن القوم لو جمعوا له خرجاً ، لم يعنه أحد ، ولتركوه يبني ، فكان عونهم أسرع في إنجاز العمل وإنجاح المشروع .

* تدل الآية أيضاً : **(ما مكني فيه ربي خير)** على أنَّ من واجب الملك أو الحاكم أن يقوم بحماية الخلق في حفظ ديارهم ، وإصلاح ثغورهم ، من أموالهم ، بشروط ثلاثة هي :

١- ألا يستأثر عليهم بشيء .

٢- أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم .

٣- أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم .

فإذا احتاج الحاكم إلى دعم رعيته ، بذلوا أنفسهم قبل أموالهم ، ويُؤخذ بقدر الحاجة من أموالهم ، وتُصرف بتدبير ، فهذا ذو القرنين أبى أخذ شيء من أموال

القوم ،قائلاً : إنَّ الأموال عندي ، و الرجال عندكم ، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى .

وضابط الأمر : أنه لا يحل مالُ أحدٍ إلا لضرورة تعرض ، فيُؤخذ ذلك المال جهراً لا سراً ، ويُنْفَقُ بالعدل لا بالاستئثار ، وبِرَأْيِ الجماعة لا بالاستبداد بالأمر .

* إن الحديد والنحاس من مرتكزات الصناعة الثقيلة قديماً وحديثاً ، فقد كانا أداة بناء السد المنيع على يد ذي القرنين ، وهما الآن المادة الأساسية في الصناعات المختلفة الحربية والسلمية) [1] . انتهى كلام الزحيلي رحمه الله تعالى .

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في التفسير ، كلاماً حلواً في قضية الأجر الذي عُرض على ذي القرنين ، ليبني السد لهم ، ما نصه :

(في تفسير قوله تعالى **{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا }** [2] ، قال ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس : أجراً عظيماً ، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه ، حتى يجعل بينهم وبينهم سداً . فقال ذو القرنين بعفة وديانة و صلاح وقصد للخير : **{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ }** [3] ، أي : إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه ، كما قال سليمان عليه الصلاة و السلام : **{قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ }** [4] ، وهكذا قال ذو القرنين : الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ، ولكن ساعدوني **{ بقوة }** أي : بعملكم وآلات البناء ، **{ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ }** [5] ، والزُّبَرُ : جمع زبرة ، و هي القطعة منه ، قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، رضي الله عنهم) [6] . انتهى كلام الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

---

[1] انظر كتاب : التفسير المنير ، للشيخ الدكتور : وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ١٦ ص ٣٠ ، بشيئ قليل من التصرف .

[2] سورة الكهف ، آية / ٩٤ / .

[3] سورة الكهف ، آية / ٩٥ / .

[4] سورة النمل ، آية / ٣٦ / .

[5] سورة الكهف ، آية / ٩٥ – ٩٦ / .

[6] انظر كتاب : تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ٥ ص ١٩٦ .

وجاء في كتاب : التحرير والتنوير ، للشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى ، كلاماً جميلاً في قصة ذي القرنين ، ما نصه :

(وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها :

* أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً .
* أنه كان ملهماً من الله .
* أنَّ ملكه شمل أقطاراً شاسعة .
* أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً وهو "عين حَمِئَة" .
* أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج ، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية ، فكانت وسطاً بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه .
* أنه أقام سداً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين .
* أنَّ ياجوج وماجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فساداً وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك .
* أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء .
* أنَّ خَبَرَهُ خَفِيٌّ دقيقٌ لا يعلمه إلا الأحبار علماً إجمالياً كما دلَّ عليه سبب النزول .

وأنتَ إذا تَبَرَّتَ جميع هذه الأحوال نفيتَ أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني لأنه لم يكن ملكاً صالحاً بل كان وثنياً فلم يكن أهلاً لتلقي الوحي من الله وإن كانت له كمالات على الجملة ، وأيضاً فلا يُعرف في تاريخه أنه أقام سَدّاً بين بلدين .

وأما نسبة السَّدِّ الفاصل بين الصين وبين بلاد يأجوج ومأجوج إليه في كلام بعض المؤرخين فهو ناشيء عن شهرة الإسكندر ، فَتَوَهُّمٌ) [1] . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

يقول الإمام ابن حجر العسقَلاني رحمه الله تعالى في فتح الباري ، ما نصه :

(قوله : (**جَعَلَهُ دَكَّاءَ**) ، ألزقه بالأرض ، ويقال : ناقة دكاء لا سَنَامَ لها ، والدكداك من الأرض مثله حتى صَلُبَ ولَدَّبَّدَ .

---

[1] انظر كتاب : التحرير و التنوير ، للشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى ، ج ١٦ ص ٢٠ .

قال أبو عبيدة : جعله دكاءَ ، أي : تركه مدكوكاً ، أي : ألزقه بالأرض ، ويقال ناقة دكاء ، أي : لا سنام لها مستويةٌ الظهر ، والعرب تصف الفاعل والمفعول بمصدرهما ، فمن ذلك : جعله دكا ، أي : مدكوكاً . قوله : وقال قتادة حَدَبٌ أكَمَةٌ ، قال عبد الرزاق في التفسير عن مَعْمَرٍ عن قتادة في قوله : **(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)** قال : من كل أكَمَةٍ ، و (يأجوج و مأجوج) : قبيلتان من وَلَدِ يافث ابن نوح عليه الصلاة و السلام ، و " روى بن مردويه والحاكم من حديث حذيفة مرفوعاً : **يأجوج** أمة و**مأجوج** أمة كل أمة أربعمائة ألف رجل ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ، ويأكلون من مات منهم " وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى .

و قد أشار النووي وغيره إلى حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بتراب فتولد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله **وهو قولٌ منكرٌ جداً** ، لا أصل له ،إلا عن بعض أهل الكتاب .

و ذكر ابن هشام في التيجان : أن أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السَّدَّ بأرمينية فسموا الترك لذلك . قوله وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم رأيتُ السد مثل البرد المحبر ، قال رأيته ؟ وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : قد رأيتُ سد يأجوج ومأجوج ، قال كيف رأيتَهُ ؟ قال مثلَ البُرْد المُحَبَّر طريقةٌ حمراء وطريقةٌ سوداء قال قد رأيته [١] . و رواه الطبراني من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة ، أنرجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : فذكر نحوه **وزاد فيه زيادة منكرة** وهي : " والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة أسري بي لبنة من ذهب ولبنة من فضة . وأخرجه البزار من طريق يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكرة ورجل رأى السد ، فساقه مُطَوَّلاً ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث موصولة :

أحدها حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها ، في ذكر ردم يأجوج و مأجوج و سيأتي شرحه مستوفى في آخر كتاب الفتن .

ثانيها حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، نحوه باختصار ويأتي هناك أيضاً .

---

[١] قال في الدرر السنية ، الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : الحديث مرسل ، و الزيادة فيه من رواية الطبراني منكرة ، وهي : " والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة أسري بي لبنة من ذهب ولبنة من فضة " .

ثالثها حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، في بعث النار ، وسيأتي شرحه في أواخر الرقاق .

و الغرض منه هنا ذكر يأجوج و مأجوج و الإشارة إلى كثرتهم و أن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر ، وأنهم من ذرية آدم رداً على من قال خلاف ذلك) [1] . انتهى كلام الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى .

وهنا لا بُدَّ من توضيحٍ لما تقدم من كلام الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى ، في قصة ذي القرنين مع يأجوج و مأجوج :

إنَّ ما ذكره الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى ، كلامٌ جميلٌ جداً ، و أكثر من رائع ، و لكنَّ أكثر الأحاديث التي استدلَّ بها رحمه الله تعالى هنا ، لا تكاد ترقى إلى درجة الصحيح ، بل هناك الضعيف منها و غير ذلك ، **وعليه :** فالاستدلال بها ضعيف ، لأن هذه القضية - قصة ذي القرنين مع يأجوج و مأجوج - وردتْ في القرآن الكريم في أكثر من موطن ، و كلها موجزة كما رأينا لا تفصيل فيها ، و لم تأتي الأحاديث الصحيحة القوية لشرح القصة مفصلة ، فوجب علينا أن نُؤمن بها جملة و تفصيلاً ، دون أن نُحَمِّلَ النص ما لا يحتمل ، فنزيد في الشرح و التفصيل حتى نُذْهِبَ النصَّ القرآني رَوْنَقَهُ ، و نسرح و نمرح في التأويل و التفصيل ، دون دليل صحيح قوي نستند عليه ، أو مرجع مُجْمَعٍ عليه نلجأ إليه ، و لذلك أحببتُ أن أذكر هذا الأنموذج في هذه القصة ، ليكون شاهد عيان على ما يكون في التأويل عادة ، إذا لم يكن هناك حديث صحيح يحسم الأمر من أساسه .

يقول الدكتور مصطفى محمود رحمه الله تعالى ، و هو يتكلم عن الإعجاز القرآني في قصة ذي القرنين مع يأجوج و مأجوج ، ما نصه :

(القرآن الكريم يصف ذا القرنين بأنه رجل رحَّالة ، جاب الأرض من مشرقها إلى مغربها ، و من جنوبها إلى شمالها ، و معجزة ذي القرنين في القرآن الكريم ، ترحاله عن طريق أسباب و وسائل خارقة ، و تمكين إلهي في أزمنة لم تكن فيها المواصلات ، أو أية طرق لقطع مثل هذه المسافات الطويلة الشاسعة الواسعة ،

---

[1] انظر كتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر العسقلاني ، ج ٦ ص ٣٨٦ .

{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا } [١] ، و هذا المدد من الأسباب الخارقة ، هو معجزة ذي القرنين التي خصه الله بها ، ثم يقول رحمه الله : وأنا دائماً عندما أقرأ مثل هذه الآيات التي تحدثت عن هذه الرحلة ، دائماً أتوقف عند آية أتمعنها طويلاً ، و هي قول الله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا } [٢] ، و الستر هو الليل إذا غشيها و غطاها ، يعني إن الشمس تظل مشرقة على تلك المنطقة التي رآها ذو القرنين ، كما أرادها الله تعالى .

فهل يا ترى هي إشارة إلى أقصى الشمال كما قال الكثير من المؤرخين ، و رسموا خرائطهم على ذلك ! ؟ و هو المكان الوحيد الذي لا تغيب الشمس فيه ، و لذلك جعلوه المكان الافتراضي ليأجوج و مأجوج على حسب علمهم .

والسؤال الثاني : لماذا قال : { مَطْلِعَ الشَّمْسِ } و لم يقل : { مشرق } ، مع أنه عندما تكلم عن غروبها قال : {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } [٣] ؟ فكان المتوقع أنه سيقول في الآية الثانية : { مشرق الشمس } حتى يكون مشرقاً و مغرباً ؟

و الجواب : لأن المشهدية مختلفة ، فالشمس هنا مستمرة لا تغرب و ليس لها ستر بوجود الليل ، فيُخَيَّلُ للناظر أن هذا هو مطلع الشمس الحقيقي و ليس مسألة شروق و غروب فقال : { مَطْلِعَ } ، و لم يقل : { مشرق } ، و لذلك أطلق كلمة : { مَطْلِعَ } .

وهذا يؤيد الفهم العلمي الذي يقول : إنَّ ذي القرنين في تلك اللحظة كان أمام الشمس القطبية التي **هي شمس منتصف الليل** ، و التي ليس بينها و بين الناس ستر ، لأنه لا يوجد ليل ، و هي مجرد ملاحظة ، و لكن إذا لم نأخذ بهذا التفسير ، سيظل هناك سؤال يقول : لماذا جميع الجغرافيين العرب حددوا مكان يأجوج و مأجوج في المنطقة القطبية في أقصى الشمال ؟ و من أين عرفوا أن مكان يأجوج و مأجوج في أقصى الشمال ؟ و الآيات على مات هي عليه مبهمة و غير محددة المعنى ؟

ثم يتابع قائلاً الدكتور مصطفى محمود رحمه الله تعالى : هو رأي أستريح إليه كلما شاهدتُ هذا الفيلم ، و رأيت الشمس ليس بينها و بين الناس ستراً طبيعياً ،

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٨٣ - ٨٤ / .
[٢] سورة الكهف ، آية / ٩٠ / .
[٣] سورة الكهف ، آية / ٨٦ / .

فالليل ما عاد يسترها ، فأقول لنفسي : ربما يكون في مكانٍ ما قريبٍ من هذه الشمس التي لا تغرب ، ربما في مكانٍ ما قريب يأجوج و مأجوج ، في كهفهم أو المخبأ الذي هم فيه .

و هل الأرض المجوفة هي أنها مجوفة مفتوحة من ناحية القطبين الجنوبي و الشمالي ، و أنها مسكونة و مضاءة من داخلها بالصخور المشعَّة ، و بعدها قصة شهادة الطيار الذي تاه ثم رأى أناساً أقزاماً يخرجون من جهة فتحة عند القطب الشمالي ، و شهادة رحَّالة آخرين ، شاهدوا سيقان أشجار استوائية ، و نباتات و ورود استوائية ، عائمة في الماء في منطقة القطب الشمالي ، و هذا يدل على وجود حياة في نفس المكان ، فهل يكون قوم يأجوج و مأجوج هم سكان الجوف ؟ الله أعلم .

و هذه القصة - يأجوج و مأجوج - من أسرار الله تعالى في القرآن الكريم ، و لذلك اختلف المفسرون فيها ، و أغلب ما كُتِبَ هو من الإسرائيليات ، و لا يجوز الاعتماد عليها ، و لا أخذها كدليل .

فهل هم من سلالة بشرية ؟ أم ضرب من الخلائق لهم أصول مختلفة ؟ و هل مدلول الآيات في حكاية يأجوج و مأجوج رمزي أم حرفي ؟

و لماذا نصَّتِ الآيات على أنَّ ذا القرنين جَلَبَ الحديد و النحاس فقط ، و ليس هذا فحسب ، بل إن الآيات نصت على صَهْر الحديد و النحاس من أجل بناء السد ؟ مع أننا عندنا أعظم سد في العالم ، و هو السد العالي ، و هو مبني من بناء طبيعي ، و لم نرَ فيه كُتَلاً من النحاس أو الحديد ، و لم نرَ في حياتنا يوماًسداً مبنياً من كتل نحاس و حديد ، و هذا ينفي تفسير البعض بأن حكاية السد ليأجوج و مأجوج أنه سد يقوم من أجل الحفاظ على الناس من الفيضانات المتكررة ، و بعضهم قال : يأجوج و مأجوج من الموج ، لا ... و هذا ليس صحيحاً ، لأن السدود التي تقوم من أجل الفيضانات ، لا يضعون فيها كتلاً من نحاس أو حديد ...

ألغازٌ كثيرةٌ بلا حلٍ ، و أصدقُ الكلام هنا ، أن نقول : إنَّ تأويل هذه الآيات هو حدوثها ؛ و لكن الفضول دائماً يأخذ الناس كي يعرفوا علامات الساعة ، ويوم القيامة ، و ما الذي سيحصل بالضبط . لكن أفضل من ذلك كله : أن نستعد لهذا اليوم

بالأعمال الصالحة ، و هذا هو كلام العارفين ، و الله أعلم) [١] . انتهى كلام الدكتور مصطفى محمود رحمه الله .

وَقَالَ الشَّـــاعِرُ وَهُوَ تُبَّعٌ الْيَمَانِيُّ [٢] :

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْن قَبْلِي مُسْـلِمًا * * * مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَسْـجِدُ

بَلَغَ الْمَغَـارِبَ وَ الْمَشَـارِقَ يَبْتَغِي * * * أَسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِـدْ

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا * * * فِي عَيْن ذِي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدْ

مبحث أ - المـؤمن القـوي خير و أحب إلـى الله مـن المؤمن الضعيف :

قال الله تعالى مخبراً إيانا ، بأيّ صفاتٍ نختار الأجير أو العامل أو الموظف :

{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } [٣] ، أي : يا أبتِ استأجره ليرعى لك ماشيتك ؛ **إنَّ خير من تستأجره : (القوي)** على حفظ ماشيتك ، **(الأمين)** الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه .

وجاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« المؤمن القوي ، خيرٌ و أحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خيرٌ ، احرصْ على ما ينفعك ، واستعنْ بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ، و لكن قل: قَدَّرَ الله و ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »** [٤] .

والمراد بالقوة هنا : عزيمةُ النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد ، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك

---

[١] هي حلقة تلفزيونية أذيعت على قناة : إقرأ ، و موجودة على اليوتيوب بعنوان : الدكتور مصطفى محمود رحمه الله و مكان سد يأجوج و مأجوج .

[٢] انظر كتاب : تفسير القرآن للإمام القرطبي رحمه الله تعالى ، ج ١١ ص ٤٩ .

[٣] سورة القصص ، آية / ٢٦ / .

[٤] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٠٥٢ .

واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشطُ طلباً لهاومحافظةً عليها ونحو ذلك ، ثم يقول النبي صلى الله عليه و سلم : وفي كلٍ خير، أي : في كلٍ من القوي والضعيف خير، لاشتراكهما في الإيمان ، ثم يُقَدِّمُ النبي صلى الله عليه و سلم نصيحة أخرى فيقول : احرصْ على ما ينفعك ، أي : احرصْ على طاعة الله تعالى ، والرغبة فيما عنده ، واطلبْ الإعانة من الله تعالى على ذلك ، ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة من الله تعالى القوي المتين .

يقول الله تعالى : **{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ }** [١] .
وهو نداء لكل المسلمين أن يُعِدّوْا أنفسهم بكل ما تعنيه الكلمة من معاني الاستعداد لمواجهة أعدائهم مِن عدد وعُدَّةٍ و قوة ، حتى يخافهم العدو ، و يحسب لهم حساباً ، فلا يتعدى عليهم أحدٌ أو يُهينهم أو يَطّهدَهم ،**فلو نَفَّذَ المسلمون كلام الله عز وجل ، و وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لما عاشوا اليوم عبيداً تحت رعايات و وصايات الآخرين . فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، عندما كنا مطبقين لدين الإسلام ، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، لأننا تركنا الله و دينه ، و ذهبنا نعتمد على أعداء الله و محاربيه ، ولن نخرج من هذا الذل إلا إذا رجعنا إلى الله تعالى . . .**

مبحث ب - من كان أخوه تحت يده فلا يظلـــمه ، و لا يخذله :

يقول الله تعالى وهو يبين حال الظالمين و مآلهم، و النتيجة التي يُحَصِّلُونها : **{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }** [٢] ، فحياتهم لا فلاح فيها ، و آخرتهم لا نجاة فيها ، إنه لا يفلح مَن ظَلَمَ فَفَعل ما ليس له فعله .

ويقول الله أيضاً وهو يذكر لنا ما خبَّأه من عقوبة و عقاب و جزاء للظالمين ، و إمهال الانتقام منهم ليكون العذاب أشدَّ و أخزى : **{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ }** [٣] ، فلا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمله الظالمون : من التكذيب بك وبغيرك من الرسل ، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك

---

[١] سورة الأنفال ، آية / ٦٠ / .
[٢] سورة يوسف ، آية / ٢٣ / .
[٣] سورة إبراهيم ، آية / ٤٢ / .

من المعاصي ، إنما يؤخِّرُ عقابهم ليوم شديد الأهوال ، ترتفع فيه عيونهم و لا تَغْمَض ؛ مِن هول ما تراه من العذاب الذي ينتظرها .

جاء في الحديث الصحيح : عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع ، إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ، إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسُكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَري فتضروني ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني ، يا عبادي لو أنَّ أوّلَكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقَصَ ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ، ما نقَصَ ذلك مما عندي إلا كما ينقُصُ المخيط إذا أُدْخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً ، فليحمدِ الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يَلُوْمَنَّ إلا نفسه » [١] .

وجاء في الحديث الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبعْ بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى هاهنا »** ويشير إلى صدره ثلاث مرات **« بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم - أي يكفيه إثماً - ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه »** [٢] .

وجاء في الحديث الصحيح : عن المعرور بن سويد رضي الله عنه ، قال : لقيتُ أبا ذر رضي الله عنه بالرَّبْذَة - موضع قريب من المدينة - ، و عليه حُلَّة - ثوبان إزار ورداء - ، و على غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببتُ - شاتمتُ -

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٩٩٤ .
[٢] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ١٩٨٦ .

رجلاً - هو بلال الحبشي رضي الله عنه -فعَيَّرْتُه بأمه - قلتُ له : يا ابن السوداء - ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « **يا أبا ذر أعيرتَه بأمه ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية - أي : فيك خصلة من خصال الجاهلية وهي التفاخر بالآباء - ، إخوانكم خولكم - من العبيد والخدم و العمال و الموظين ، هم إخوانكم في الدين و الآدمية ، جعلهم الله تحت أيديكم - أي : في رعايتكم و تحت سلطانكم - ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، و ليلبسه مما يلبس ، و لا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم** » [1] .

مبحث ج - العدل يجب أن يكون في الحاكم :

يقول الله تعالى : **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }** [2] ، أي : الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به ، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه ، ويأمر بالإحسان وإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولاً أو عملاً ، وعن الكفر والمعاصي ، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم ، والله يَعِظكم ويذكِّركم العواقب ؛ لكي تتذكروا أوامر الله و تنتفعوا بها ، فلا تقعوا بالذي وقع به غيركم من الأمم السابقة التي أهلكناها .

جاء في الحديث الصحيح الذي يبين فيه النبي صلى الله عليه و سلم صنفاً من الناس يظلهم الله تعالى يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : إمامٌ عادل ، و شاب نشأ في عبادة الله ، و رجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، و رجل قلبه معلق في المسجد ، و رجلان تحابا في الله ، و رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها ، قال : إني أخاف الله ، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه** » [3] .

---

[1] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ١ ص ١٥ .
[2] سورة النحل ، آية / ٩٠ / .
[3] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٨ ص ١٦٣ .

فالحاكم إذا عدل بين رعيته و شعبه ، وأقام الحق بين الناس ، صار خليفة الله في الأرض كما أراد الله ، و كان الجزاء في المحشر والشمس قد دنت من رؤوس البشر ، أن يكون هو تحت ظل عرش الله تعالى ، فيا لها من مكانة عظيمة لو عدل !

ورحم الله تعالى من قال :

إذا خانَ الأميرُ و كاتباه * * * و قاضي الأرض داهنَ في القضاء

فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ * * * لقاضي الأرض من قاضي السماء

جاء في الحديث الصحيح : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا »** [1] ، أي : ما كانت لهم عليه ولاية وسلطة أو حكم .

وجاء في حديث صحيح جامع شامل : عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ذات يوم في خطبته : **« ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتُم ، مما علمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلالٌ ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمَقَتَهُمْ عَرَبَهم وعَجَمَهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان ، وإنَّ الله أمرني أن أحرق قريشاً ، فقلتُ : ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة ، قال : استَخْرِجْهُم كما استخرجوك ، واغْزُهم نغزك ، و أنفق فسنُنْفِق عليك ، و ابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال . قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْرَ له ، الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع ، وإنْ دقَّ إلا خانه ،**

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٣ ص ١٤٥٨ .

ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك « وذكر » البخل أو الكذب والشنظير الفحاش » [١] .

المعنى بشكل عام للحديث الشريف :

(كل مال نحلتُه عبداً حلال) أي : كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال ، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك ، **(حنفاء كلهم)** أي : مسلمين و طاهرين من المعاصي و مستقيمين منيبين لقبول الهداية ، **(فاجتالتهم)** أي : استخفوهم فذهبوا بهم إلى غير ما كانوا عليه من الفطرة السليمة ، وأزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل ، **(فمقتهم)** المقت هو أشد البغض ، **(إلا بقايا من أهل الكتاب)** أي : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل و لا تحريف ، **(إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)** أي : لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك ، وأختبر بك من أرسلتُك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ، ويُخلص في طاعته ، ومنهم من يتخلف وينابذ بالعداوة والكفر أو النفاق ، **(كتاباً لا يغسله الماء)** أي : محفوظ في الصدور قبل السطور ، و لا يتطرق إليه الذهاب على ممر الزمان ، **(إذاً يثلغوا رأسي)** أي : يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز و يكسر **(نغزك)** أي : نعينك ، **(لا زَبْرَ له)** أي : لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي ، أو هو الذي لا مال له ، **(لا يتبعون)** أي : يَتبعون ويُتبعون**(والخائن الذي لا يخفى له طمع)** أي : ظاهر الأطماع ،**(الشنظير)** أي : الفحاش المتفحش السيئ الخلق ، و الله تعالى أعلم .

وهذا كله يدلُّ على أن الحاكم يجب أن يتوفر فيه القسط و العدل ، و الرأفة و الرحمة ، لأنه يجب أن يسع كل من استرعاهم بأخلاقه الحسنة ، إن كان لا يقدر أن يسعهم بعطائه و ماله ، فلا يظلمهم أو ينقص عطاءهم ، فيعطيهم ما يريدون حتى يأخذ منه ما يريد . . .

جاء في الحديث : عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله**

---

[١] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢١٩٧ .

مغلولاً ، يوم القيامة يَدُهُ إلى عنقه فكَّهُ بِرُّهُ أو أوبقه إثمُهُ ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، و آخرها خزيٌ يوم القيامة » [1] .

وهذا الكلام النبوي الشريف ، لو وعاه أهل العقول السليمة ، لَمَا تقاتلوا على المناصب الفانية العفنة ، و التي تكون : أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، و آخرها خزي يوم القيامة .

وكما قالوا قديماً : **إذا غرتك قوتك على ظلم الآخرين ، فتذكر قوة الله من فوقك ...**

مبحث د - الأخذ على يد الظالم :

يقول الله تعالى في محكم آياته ، محذرّاً البشرية جميعهم ، أن يسيروا على طريق بني إسرائيل ، الذين كفروا و عصوا أنبياءهم ، فلعنهم الله لأنهم كانوا يرون المنكر و لا يتناهون عن فعله ، و يسكتون على الظالم و ظلمه و طغيانه ، مع أنه من أعظم المنكرات **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }** [2] . فهنا يخبر الله تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله ، فقد كانوا يُجاهرون بالمعاصي و يرضونها ، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيّ منكر فعلوه ، حتى استحقوا أن يُطْرَدُوا من رحمة الله تعالى .

جاء في الحديث : عن طارق بن شهاب رضي الله عنه ، قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان . فقام إليه رجل ، فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعتُ رسول

---

[1] رواه : الإمام أحمد في مسنده ، ج ٣٦ ص ٦٣٥ ، و جاء في موقع الدرر السنية للشيخ : علوي بن عبد القادر السقاف ، **قال الألباني : حديث حسن صحيح** .

[2] سورة المائدة ، آية / ٧٨ -٧٩ / .

الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإنْ لم يستطع فبلسانه ، فإنْ لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »** [1] .

وأكثر الأمة اليوم بدأت بالحديث من آخره ، و تجاهلت أوله ، أو نسيته ، فما عدنا نعرف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، إلا بأضعف الإيمان فقط ، و إلى الله المشتكى .

وجاء في الحديث : عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »** [2] .
و للأسف هذا هو الذي أوصل الأمة إلى ما هي عليه هذه الأيام ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فالمتأمل في حال كثير من المسلمين اليوم ، يرى أنهم تركوا الاتباع والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبحت السنة عندهم أمراً مستغرباً مستنكراً و مستهجناً ، لجهلهم بها ، و عدم معرفتهم بصاحبها عليه الصلاة و السلام ، و بعدهم عنها ، واستبدالهم ذلك بالبدع التي لا أصل لها ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاتخذوها ديناً يدينون به ، فانعكست بذلك الموازين لديهم فأصبحوا يرون الحق باطلاً والباطل حقاً ، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ، فلا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا من المصحف إلا رسمه ، و اتخذوا إلههم هواهم ، فضلوا و أضلوا غيرهم ، و باؤوا بإثمهم جميعاً ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، في المقدمة ، ج ١ ص ٦٩ .
[2] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٤ ص ٤٦٨ ، **و قال الألباني : حديث حسن .**

الفصل الثاني

الفساد والإفساد و حكم ذلك كله :

يقول الله تعالى وهو يصف صنفاً من الناس لا يحبهم ، هوايتهم الفساد بين الناس ، و الفساد في الأض بشكل عام ، ثم ذكر مصيرهم و مآلهم يوم القيامة : { وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [(1)] . فإذا خرج المفسدون الفاسدون من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ، جَدَّوا ونَشِطوا في الأرض ليفسدوا فيها ، ويتلفوا زروع الناس ، و يسلبوا خيراتهم و ممتلكاتهم . والله لا يحب الفساد ، وإذا نُصِحَ هؤلاء المنافقون المفسدون ، وقيل لهم : اتقوا الله وخافوا عقابه ، وكُفّوا عن الفساد في الأرض ، لم يقبلوا النصيحة ، بل يحملهم الكبر و التكبر وحميَّة الجاهلية على مزيد من الآثام ، فَحَسْبُهم جهنم تكفيهم عذابًا و عقاباً .

ويقول سبحانه و تعالى :{ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [(2)] ، أي : التمس فيما أتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا ، ولا تترك حظك من الدنيا ، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف أو تبذير ، و أحسن إلى الناس بالصدقات و الهبات و العطايا ، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة ، ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من البغي على قومك ، أو الفساد في الأرض ، لأن الله لا يحب المفسدين .

ويقول الله جلّ جلاله : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [(3)] ، أي : ظهر الفساد في البر والبحر، من جميع أنواع المعاصي و الأمراض والأوبئة ؛ وما ذلك إلا بسبب المعاصي التي يقترفها البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا ؛ لعلّهم يتوبوا إلى

---

(1) سورة البقرة ، آية / ٢٠٥- ٢٠٦ / .

(2) سورة القصص ، آية / ٧٧ / .

(3) سورة الروم ، آية / ٤١ / .

الله تعالى ، و يرجعوا عن محاربته بمعاصيهم و آثامهم ، حت تنصلح أحوالهم ، وتستقيم أمورهم .

ولا شك أنه إذا كثر الفساد في الأرض و زاد ، فإن الله سَيَصُبُّ على الأمة جام غضبه و انتقامه ، بما كسبت أيديهم ، و ليس ظلماً ، كما قال تعالى : **{ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ }** [1] ، فهؤلاء الذين استبدُّوا ، وظلموا في أرض الله وأفسدوا، وأكثروا فيها بظلمهم و بغيهم الفساد ، فصبَّ عليهم ربُّك عذاباً شديداً ، لأنه بالمرصاد لكل من يعصيه و يتعدى حدوده، يمهله قليلاً ثم يأخذه أخْذَ عزيز مقتدر .

و أعظم الفساد : أن يفسد الإنسان في الأرض ، ويؤذي المخلوقات ، و هو يستشعر في نفسه و ذاته أنه مصلح ، قال الله تعالى : **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ }** [2] .

مبحث أ - يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض :

قال الله تعالى و هو يصف لنا حالهم الذي هم عليه من الفساد و العصيان :
{ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ } [3] .

ومن خلال ما تقدم من آيات كريمة ، و أحاديث صحيحة ، علمنا أنَّ يأجوج و مأجوج قبيلتان من ذرية آدم عليه الصلاة و السلام ، من ولد آدم و حواء ، و ليسوا من الجن أو ما شابهها من المخلوقات ، و أقوى دليل على ذلك الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ومسلم ، و اللفظ هنا للإمام مسلم : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« يقول الله عز وجل : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، قال يقول : أخرج بعث النار قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال : فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله**

---
[1] سورة الفجر ، آية / ١٢ - ١٣ / .
[2] سورة البقرة ، آية / ١١ - ١٢ / .
[3] سورة الكهف ، آية / ٩٤ / .

شديد » قال : فاشتدَّ ذلك عليهم قالوا : يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ فقال : **« أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ، ومنكم رجل »** قال : ثم قال : **« والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة »** فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : **« والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة »** فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : **« والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إنَّ مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة في ذراع الحمار »** [1] .

ولقد حذرَّ النبي صلى الله عليه و سلم صحابته الكرام ، و أمته من بعدهم من شرّ ياجوج و ماجوج ، لأنهم إذا خرجوا خرج الفساد معهم ، و جرى على أيديهم ، **كما جاء في الحديث :** عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل عليها فزعاً يقول : **« لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فُتِحَ اليوم من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثل هذه »** و حَلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فقلت يا رسول الله : أَنَهْلك و فينا الصالحون ؟ قال : **« نعم إذا كثر الخبث »** [2] .

ومن الجدير بالذكر أن عام ٦٢٧ ميلادية هو السنة الخامسة للهجرة ، وهو نفس العام الذي تزوج فيه الرسول صلى الله عليه و سلم من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، راوية حديث : ويل للعرب من شر قد اقترب .

ومن فسادهم وأعمالهم السيئة ، كما جاء في الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في السد قال : **« يحفرونه كل يوم ، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غداً ، فيعيده الله كأشدّ ما كان ، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس . قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله واستثنى »** ، قال : **« فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه ، فيخرجون على الناس ، فيستقون المياه ، ويفرُّ الناس منهم ، فيرمون بسهامهم في السماء فترجع مخضبةً بالدماء ، فيقولون : قهرنا من في الأرض**

---

[1] رواه : الإمام مسلم في صحيحه ، في المقدمة ، ج ١ ص ٢٠١ ، و الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٦ ص ٩٧

[2] رواه : الإمام البخاري في صحيحه ، ج ٤ ص ١٣٨ ، و الإمام مسلم في صحيحه ، ج ٤ ص ٢٢٠٧ ، وغيرهما.

وعلونا من في السماء ، قسوة وعُلُوّاً ، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيهلكون ، فو الذي نفس محمد بيده إنَّ دوابَّ الأرض تسمن و تبطر و تشكر شكراً من لحومهم » [١] .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، فهم شرٌّ ، و خروجهم فساد ، وقتالهم محال ، والمضي معهم هلاك ، أجارنا الله منهم و من شرهم و شر أتباعهم الذين يهيئون لخروجهم و يمهدون .

مبحث ب - الأحـــاديث التــي وردت فـي وصـف يأجوج و مأجوج :

جاء في الحديث : عن خالد بن عبد الله بن حرملة رضي الله عنه ، عن خالته قالت : **« خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال : إنكم تقولون : لا عدوَّ ، وإنكم لن تزالوا تقاتلون عدوَّاً، حتى يأتي يأجوج و مأجوج ، عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب الشعاف ، ومن كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المِجَانُّ المطرَقة »** [٢] .

ومعنى : **صهب الشغاف** ، أي : لون شعرهم أسود فيه حمرة ، ومعنى : **كأن وجوههم المجان المطرقة** ، أي : الترس وشبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها ، و معنى : **من كل حدب ينسلون** ، أي : من كل مكان مرتفع يخرجون سراعاً وينتشرون في الأرض .

وجاء في الحديث الصحيح : عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه رضي الله عنهما ، أنه سمع النواس بن سمعان رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله

---

[١] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٣١٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[٢] رواه : الإمام أحمد في مسنده ، ج ٣٧ ص ١٩ ، و الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، ج ٨ ص ٦ ، **و قال عنه في الدرر السنية الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : رجاله رجال الصحيح .**

صلى الله عليه وسلم : **« سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ، ومأجوج ، ونشابهم ، وأترستهم سبع سنين »** [1] .

وجاء في الحديث : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« إن يأجوج ومأجوج أقلُّ ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً من الذرية »** [2] .

مبحث ج - آراء العلماء حول مكان يأجوج و مأجوج :

لا شك أن من رأى الأدلة التي مرت معنا ، من الآيات الكريمة ، و الأحاديث الصحيحة ، يعلم أنَّ الثابت في الأمر أنَّ مكان يأجوج و مأجوج هو خلف السد الذي بناه ذو القرنين ، و أنَّ هذا المكان ربماكان معلوماً لدى البعض من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قد شاهد البعض بأمِّ عينه ، و حدَّث به النبي صلى الله عليه و سلم ، ثم لم يعد بعد ذلك معروفاً لهم ذلك المكان ، و الله تعالى أعلم ، كما جاء في الحديث : عن قتادة رضي الله عنه ، عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : **« قد رأيتُ سد يأجوج ومأجوج ، قال كيف رأيتَهُ ؟ قال مثلَ البُرْد المُحَبَّرِ طريقةٌ حمراء وطريقةٌ سوداء ، قال قد رأيته »** [3] .

و هذه القصة - يأجوج و مأجوج - من أسرار الله تعالى في القرآن الكريم ، و لذلك اختلف المفسرون فيها ، و أغلب ما كُتِبَ هو من الإسرائيليات ، و لا يجوز الاعتماد عليها ، و لا أخذها كدليل .

---

[1] رواه : الإمام ابن ماجه في سننه ، ج ٢ ص ١٣٥٩ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[2] انظر كتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام العسقلاني رحمه الله تعالى ، ج ١٣ ص ١٠٦ ، **و قال عنه في الدرر السنية الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : حديث صحيح .**

[3] قال في الدرر السنية ، الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف : الحديث مرسل ، و الزيادة فيه من رواية الطبراني منكرة ، وهي : " والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة أسري بي لبنة من ذهب ولبنة من فضة " .

ولقد كثرت آراء العلماء و تعددت و تنوعت ، عن مكان يأجوج و مأجوج ، و لا يوجد هناك شيئ مثبت بدليل نقلي تستريح له النفس و تطمئن ، كما ذكر الإمام ابن كثير عن قصة السد فقال : (أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ ما ذكر صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم - **وكان قد رأى في النوم كأن السد قد فتح** - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاة به ، وبعث معه ألفي بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوماً ، انتهوا إلى أرض سوداء منتنة حتى جعلوا يشمون الخل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فانتهوا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية و بالفارسية و يحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية ، ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضراً وإذا السد هناك من لبن حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفع جداً لا يكاد البصر ينتهي إليه ، وله شرفات من حديد ، وفي وسطه باب عظيم بمصراعين مغلقين ، عرضهما مائة ذراع ، في طول مائة ذراع ، في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع ، في غلظ باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل في كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً ، ويقال : أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفي إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله ، في سمك شبر ، وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات فهبت الريح فألقتهم إليهم ، فإذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر . والله تعالى أعلم) [١] .

انتهى كلام الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

---

[١] انظر كتاب : البداية و النهاية ، للحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ، ج ٧ ص ١٤١ .

<u>وفي النهاية أقول :</u>

إنهلا يوجد أدلة قاطعة تعيّنُ موقع الردم الذي يحجز يأجوج ومأجوج ، إلا أنه ذهب البعض إلى أن السدين المائيين هما بحر قزوين والبحر الأسود ، ومنطقة بين السدين ، هي تحديداً الحدود الفاصلة بين ما يعرف حالياً بأوسيتيا الجنوبية (التابعة لجورجيا) وأوسيتيا الشمالية (التابعة لروسيا) ، حيث أن بينهما مضيق جبلي يعرف حالياً بـ (مضيق دار يال) ، يعتقد أن يأجوج ومأجوج كانوا جنوبه ، وهذا كله اجتهاد و تخمين لا يقين فيه و لا دليل ، و لا يصح الوقوف عنده كمستند و دليل ، و أفضل شيئ أن نقول : **الله أعلم بذلك كله ...**

مبحث د ـ زمن ظهور يأجوج و مأجوج :

يقول الله تعالى في سورة الكهف ، وهو يخبرنا عن فتنة يأجوج و مأجوج و متى سيبدأ ظهورها ، ثم يبين للأمة أن ذا القرنين عندما بنى السد قال : **{قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }** [(١)] ، فمن رحمة الله تعالى بالبشرية جميعها ، أن جعل هذا السد القوي المنيع على يدي ذي القرنين ، ليحجز شرَّ هؤلاء القوم و فتنتهم عن الناس ، إلى أن يأتي اليوم الموعود الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، و لم يخبر به أحداً .

ولا شك أن خروج قوم يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى كما علمنا ، **فبعد أن يقضي نبي الله عيسى عليه الصلاة و السلام على الدجال و فتنته ، يكون قد خرج قوم يأجوج و مأجوج وبدؤوا الفساد في الأرض فساداً كبيراً** ، فيتضرع نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى الله تعالى فيهلكهم الله شر هلكة ، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد .

وأما كيفية خروجهم فهي كما وردت في الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في السد قال : **« يحفرونه كل يوم ، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غداً ، فيعيده الله كأشدّ ما كان ، حتى**

---

(١) سورة الكهف ، آية / ٩٨ / .

إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس . قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله واستثنى » ، قال : « فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه ، فيخرجون على الناس ، فيستقون المياه ، ويفرُّ الناس منهم ، فيرمون بسهامهم في السماء فترجع مخضبةً بالدماء ، فيقولون : قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء ، قسوة وعُلُوَّاً ، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيهلكون ، فو الذي نفس محمد بيده إنَّ دوابَّ الأرض تسمن و تبطر وتشكر شكراً من لحومهم » [١] .

فإذا هلك قوم يأجوج ومأجوج وتنظفت الأرض منهم و من شرهم و فسادهم ، عندئذٍ يطيب العيش وتكثر البركة ، و يعمُّ الخير أرجاء الأرض بعد موتهم ، وإفسادهم وعتوهم في الأرض وإهلاكهم للحرث والنسل ، و عندها يتضرع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الله سبحانه وتعالى ، ليكشف عنهم ما حل بهم من البلاء والمحن التي لم يجدوا بأنفسهم حيلة ولا قوة لدفعها ، فيستجيب الله لهم ، فيسلط الله عليهم الدود الصغير فيهلكهم فيصبحون موتى موت الجراد ، يركب بعضهم بعضاً ، فتمتلئ الأرض من نتنهم ، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم ، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله عز وجل فيرسل طيراً تحملهم وتطرحهم في البحر، ثم يرسل مطراً تغسل آثارهم ، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمارها ، فيعم الرخاء ، وتطرح البركة فيعيش عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وأصحابه في عيش رغيد.

جاء في الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**«لَيُحَجَّنَّ هذا البيت ،ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج و مأجوج »** [٢] .

---

[١] رواه : الإمام الترمذي في سننه ، ج ٥ ص ٣١٣ ، **و قال الألباني : حديث صحيح .**

[٢] رواه : الإمام أحمد في مسنده ، ج ١٧ ص ٣١٨ ، **و قال في الدرر السنية نقلاً عن الألباني أنه قال عنه : حديث صحيح .**

مسك الختام

لقد تحدثتِ السورة الكريمة - سورة الكهف - عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم : وهي قصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى مع الخضرعليهما الصلاة والسلام ، وقصة ذي القرنين .

* **أما قصة أصحاب الكهف** : فهي مثل عالٍ ، ورمزٌ سامٍ للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال في سبيل العقيدة ، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثني ، واحتموا في غار في الجبل ، فأنامهم الله ثلاث مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم ليقيم دليلاً حسياً للناس على قدرته على البعث .

واتبع الله تعالى تلك القصة بأمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتواضع ومجالسة الفقراء المؤمنين وعدم الفرار منهم إلى مجالسة الأغنياء لدعوتهم إلى الدين : **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ }** [١] .

ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق ، وذكر ما أعده لهم من العذاب الشديد في الآخرة : **{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ }** [٢] ، وقارَنَ ذلك بما أَعَدَّهُ سبحانه من جنات عدن للمؤمنين الصالحين .

* **وأما قصة موسى مع الخضر :** عليهما الصلاة و السلام ،فكانت مثلاً للعلماء في التواضع أثناء طلب العلم ، وأنه قد يكون عند العبد الصالح من العلوم في غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء ، بدليل قصة خرق السفينة ، وحادثة قتل الغلام ، وبناء الجدار .

* **وأما قصة ذي القرنين :** ففيها عبرة عظيمة للحكام والسلاطين ، إذ إن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم ، ومشرق الأرض ومغربها ، وبنائه السد العظيم بسبب ما اتصف به من التقوى والعدل والصلاح .

---

[١] سورة الكهف ، آية / ٢٨ / .

[٢] سورة الكهف ، آية / ٢٩ / .

وتخللت هذه القصص أمثلة ثلاثة بارزة رائعة مستمدة من الواقع ، لإظهار أن الحق لا يقترن بالسلطة والغنى ، وإنما يرتبط بالإيمان ، وأول هذه الأمثلة **:**

* **قصة أصحاب الجنتين :** للمقارنة بين الغني المغتر بماله ، والفقير المعتز بإيمانه ، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء المشركين .

* **مثل الحياة الدنيا :** لإنذار الناس بفنائها وزوالها . وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال ، وحشر الناس في صعيد واحد ، ومفاجأة الناس بضائف أعمالهم .

* **قصة إبليس وإبائه السجود لآدم :** للموازنة بين التكبر والغرور ، وما أدى إليه من طردٍ وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان ، وبين العبودية لله والتواضع ، وما حقق من رضوان الله تعالى .

وأردف ذلك بيان عناية القرآن بضرب الأمثال للناس للعظة والذكرى ، وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار ، والتحذير من الإعراض عن آيات الله .

وأن سياسة التشريع اقتران الرحمة بالعدل ، فليست الرحمة فوق العدل ولا العدل فوق الرحمة : **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ }** [1] .

وخُتمتِ السورة بموضوعات ثلاثة :

* إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة .
* تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدي الأخروي .
* أن علم الله تعالى لا يحده حد ولا نهاية له [2] .

و الله ولي التوفيق

ا . هـ

---

(١) سورة الكهف ، آية / ٥٨ / .

(٢) انظر كتاب : التفسير المنير ، للشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى ، ج ١٥ ص ١٩٨ - ١٩٩ ، بتصرف .

أهم المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

*** تفسير الطبري ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (٣١٠هـ /٩٢٢م) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، لبنان ، مؤسسة الرسالة** ، ط ١ ،١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٢٤ جزء

*** تفسير القرطبي ، القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرآن ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ،** ط ٢ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م ، ٢٠ جزءا / ١٠ مجلدات

*** تفسير إبن كثير ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع** ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م ، ٨ أجزاء

*** البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق صدقي محمد جميل ، بيروت ، دار الفكر** ، ط ١٤٢٠ ه / ١٩٩٩مـ

*** التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، تونس ، الدار التونسية للنشر** ، ط ١٤٠٤ه/١٩٨٤ م ، ٣٠ جزء والجزء الثامن في قسمين

*** صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، القاهرة ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع** ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م ، جزء واحد

* **التفسير المنير ، د . وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧** ، ٣٠ جزء

* **صحيح البخاري ، البخاري ، أبو عبدالله البخاري الجعفي محمد بن إسماعيل ، (٢٥٦ ه/٨٧٠م) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه و المعروف بـ صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م**

* **صحيح مسلم ، مسلم ، أبو الحسن القشيري النيسابوري مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ/٨٧٥م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و المعروف بـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١** ، ٥ أجزاء

* **سنن أبي داود ، أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني (٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية، صيدا** ، ٤ أجزاء

* **سنن الترمذي ، الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) و إبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥) ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي** ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ٥ أجزاء

* **سنن ابن ماجه ، ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، وماجه اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ/٨٨٦م) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، ط ١**

*** سنن النسائي ، النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ/٩١٥م) ، المجتبى من السنن المعروف بـ السنن الصغرى للنسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، حلب ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ ،** ١٤٠٦ ه/ ١٩٨٦م

*** مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ٨٥٥م) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ،** ط ١ ، ١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م

*** فتح الباري ، ابن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ ه/ ١٤٤٨م) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه و أشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، بيروت ، دار المعرفة** ١٣٧٩ه/١٩٥٩م ، ١٣ جزء

*** البداية و النهاية لابن كثير ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، قام بفهرسته عبد الرحمن الشامي ، دار إحياء التراث العربي ،** ط ١ ، ١٤٠٨، هـ /١٩٨٨ م

*** التذكرة للقرطبي ، القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، تحقيق الدكتورالصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ،** ط ١ ، ١٤٢٥ ه/ ٢٠٠٤مـ

* النهاية في الفتن و الملاحم ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، النهاية في الفتن والملاحم ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، بيروت – لبنان ، دار الجيل ، ط ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م

* مجمع الزوائد للهيثمي ، الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق حسام الدين القدسي ، القاهرة ، مكتبة القدسي ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م

* كنز العمال ، المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (٩٧٥هـ/١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق بكري حياني - صفوة السقا ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

* الصواعق المحرقة ابن حجر الهيثمي ، ابن حجر ، أبو العباس ، أحمد بن محمد ابن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م

* المستدرك على الصحيحين ، النيسابوري ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ/١٠١٤م) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ ه/١٩٩٠م ، ٤ أجزاء

* السنن الواردة في الفتن أبو عمرو الداني ، أبو عمر ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) ، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ، تحقيق د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، الرياض ، دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١٦ه / ١٩٩٥ م

*** أشراط الساعة ليوسف الوابل ،أبو مروان ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، (٢٣٨هـ/٨٥٢م) ، أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار ، تحقيق عبد الله عبد المؤمن الغماري الحسني ، أضواء السلف ،** ط ١ ، ١٤٢٦ه / ٢٠٠٥م

*** استعنتُ ببرنـامج القرآن الكريم (آيات) لنسخ الآيات القرآنية حتى تكون برسم المصحف الشريف ، و أخذت منه تفسير المفردات للآيات القرآنية الكريمة ، و هو النسخة المكتبية لموقع القرآن الكريم بجامعة الملك سعود .**

الفهرســـــــــــت

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بعون الله تعالى و توفيقه الانتهاء

من كتابة هذه الرسالة كتابة

وتنسيقاً وترتيباً وطباعة

بيدي و الحمد لله

صباح يوم الجمعة